كشف الشبهات

بشرح فضيلة الشيخ

وليد بن راشد السعيدان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

الدرس الأول من المحاضرة الأولى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

« المقدمة »

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ثم أما بعد:

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من المخلصين في أقوالهم وأعمالهم ونعوذ بالله جل وعلا من فساد البواطن والنوايا والبواعث والمقاصد ونسأله جل وعلا أن تكون علانيتنا أفضل فقد قال أهل العلم رحمهم الله تعالى أن ميزان الإيمان والعبرة فيه هو ما يفعله الإنسان فيما بينه وبين ربه في الخلوات إذ كل أحد يستطيع أن يحسن عبادة ربه في الجلوات وأما في الخلوات فإن عليها مدار الإخلاص نسأل الله جل وعلا أن يجعل سرنا أفضل من علانيتنا. إنني والله لأرحم العلم أن يخرج من بين شفتي أناس ليسوا من أهله وبئس هؤلاء الذين يتكلمون بالعلم وهم في بواطنهم لا يعملون به ولا يقيمون له وزنًا ولا يعرفون له فضلًا فما أجملنا عند الناس وما أجمل صورتنا عند الناس لكن فيما بيننا وبين الله نسأل الله أن يغفر لنا جرأتنا عليه، إن من الامور التي تحزن في الحقيقة أن يتكلم في العلم من ليس له بأهل وإني أحسب نفسي أني لست أهلا بأن أقف أمام الناس معلمًا ولا مدرسًا ولكن أسأل الله أن يغفر للجميع وأن يتجاوز عنا زللنا وتقصيرنا في العلم والعمل والدعوة وأن يجعل كلماتنا صادقة خالصة لوجهه الكريم.

الإخلاص أيها الإخوان عليه مدار القبول فعلى العبد دائمًا أن يراقب نيته وأن يراقب قصده وألا يغتر بمدح الناس ولا ثنائهم ولا تجمعهم حوله فربما يكون هذا من الاستدراج وهو ولا يشعر هذا المسكين الجاهل فكم من إنسان يعلم الناس

ويؤلف للناس ويدرس الناس ويجتهد للناس ولكنه يكون من حطب جهنم يوم القيامة والعياذ بالله وذلك لفساد نيته لأنه ما تعلم لذات العلم ولا لرفع الجهل عن نفسه وعن أمته وإنما تعلم ليقال عالم وقد ذكر النبي ﷺ:"إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ : كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ : جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ،

فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ : كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ". [1]

العلم عمل عظيم ولكنه والله حمالة كبيرة في الحقيقة حمالة عظيمة جدا جدا حمالة كبيرة جدا والذي لا يستشعر ثِقَل العلم هذا في الحقيقة من جهله ومن قلة فقهه ومعرفته بالله جل وعلا وإلا فالله جل وعلا يقول ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل ٥)

فالعلم ثقيل وحمالة وامانة عظيمة نعم يفرح الإنسان باجتماع الناس حوله وأن تسير الركبان بأقواله واختياراته ومؤلفاته وان يشار له بالبنان هذا يفرح به الإنسان ولكن في الحقيقة ويله من الله إذا كان قد علم الناس شيء من الخطأ ويله من الله إذا كان قد دخل في نيته شيء من الخلل والفساد. فإذًا ينبغي للمسلم عموما ولطالب العلم على وجه الخصوص أن يراقب نيته دائما في كل لحظة من لحظات عمره سواءًا في تأليفه أو في تدريسه أو في تعليمه أو في تعلمه أو في حفظه للمتون ينبغي له أن يحاسب نيته دائما وأن يكثر من استغفار الله جل وعلا لأنه لابد أن يعرض للنية شيء من الرياء وشيء من التسميع بل أحيانا يخرج الرياء في صورة تواضع احيانا وأنتم تعرفون أن الرياء هو البحر الذي لا ساحل له.

فوصيتي لكم قبل أن نبدأ بالشرح بالاخلاص أيها الإخوان يجب علينا أن نراقب نياتنا يا طلبة العلم يجب علينا أن نقدم مرضاة الله جل وعلا على كل أحد ثم اعلموا أيها الإخوان

أنه لاخير في طالب علم يتعب نفسه ليلا ونهارا ثم يبيع علمه للملوك والأمراء والمناصب والمال والعز والجاه ليته ماتعلم وليته ماتفقه وليته ما حفظ فالعلم أسمى وأعلى وأعز وأجل من أن يباع من أجل حُطام دنيا

1- أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ : الْإِمَارَةُ | بَابٌ : مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ (١٩٠٥)(٤٧/٦)

أو من أجل منصب أو جاه لا يتمندل بك الأمراء ولا يتمندل بك الملوك ولا يتمندل بك أصحاب الجاه أنت عزيز بعلمك عزيز بما تحمله بين جنبتيك من علم الكتاب والسنة فلا يجوز لك أن تتلصص على دنيا أهل الدنيا ولا على مال أهل الأموال لأن الله أعزك بالعلم واختارك من بين سائر هؤلاء الخلق الهمج وزرع في قلبك محبة العلم ورسخ فيك المسائل العلمية فلا تتعب في زرعه ثم تجنيه ذلة وخسة كما هو المشاهد في كثير من علماء هذا الزمان الذين يبيعون علمهم للملوك بالفتاوى الرخيصة المخالفة للكتاب والسنة فالعلم أعز وأجل من أن يسخر لتحصيل شيء من مقاصد الدنيا

أيها الاخوان لابد من المحافظة على هذه الجوهرة الثمينة التي استودعها الله جل وعلا قلبك وجعلها فيه كن أهلًا لحمل هذه الامانه لتعليم الناس صادقًا ومخلصًا ومقدمًا لمرضاة الله جل وعلا على كل أحد فالناس هم المحتاجون لك بملوكهم وأمرائهم وعزهم وجاههم هم المحتاجون للعلماء والعلماء لا يحتاجون لأحد إلا لله جل وعلا ولذلك احتاج عزيز مصر إلى فتيا يوسف وهو في السجن الملك يحتاج ليوسف وهو في السجن فالملوك هم المحتاجون للعلماء ولا عكس والأمراء هم المحتاجون للعلماء ولا عكس وأهل العز والجاه والمناصب هم المحتاجون للعلماء ولا عكس وإنه ليحزن القلب إذا رأينا بعض العلماء يتلصص وراء بشوت أهل العز والجاه لعله يحصل منهم منصبا أو يحصل منهم عزًا أو جاهًا والعز كله في جناب الله والقرب من الله والانطراح بين يدي الله فإذًا العلم لا يفيد تعظيم صاحبه ولا يكون معظما في قلوب الناس إلا إذا عظمناه نحن في قلوبنا.

على كل حال هذه نصيحه لطالب العلم أن يكون في طريقه مخلصًا لله جل وعلا والأمر الثاني أن يحرص على تعظيم العلم الذي في قلبه فلا يبيعه بعرض من الدنيا فإن هذا هو حال اليهود وعلماء السوء الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلًا وأن الكتاب الذي بين أيدينا كشف الشبهات قد ألفه عالم يحمل هاتين الصفتين حملا عظيما وهو الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله فإننا نحسبه والله حسيبه أنه كان من العلماء الراسخين العاملين الصادقين الذين لا يبيعون دينهم للدنيا الزائلة ولا يقدمون مرضاة أحدهم على مرضاة الله جل وعلا ولذلك كتب الله جل وعلا لكلماته البقاء، متى توفي

الشيخ محمد رحمه الله توفي من سنوات طويلة ولكن لا تزال كتبه تدرس في المدارس والمساجد والربط والحلقات ولا تزال الصدور تحرص على حفظ مؤلفاته وما ذلك إلا لإخلاص قام في قلب هذا الرجل نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحد والكتاب الذي بين أيدينا من أفضل وأعظم ما ألف الشيخ رحمه الله بل إنني والله تعالى أعلى وأعلم

أجعله كالتدمرية بالنسبة لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فإن ابن تيميه قد كتب في التدمرية ما لو ألم به الطالب عرف كيف يقرأ كتب شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله فإنك لا تجد رسالة أودع فيها أبو العباس ابن تيمية قواعده والردود على الطوائف مثل ما أودع التدمريه على اختصار في الألفاظ وبساطة في الأسلوب وجزالة في الطرح وكذلك كشف الشبهات جميع ما يدور من كلام الشيخ في كل مؤلفاته تجده مجموعا عندك في كشف الشبهات جميع الردود التي يرد به الشيخ على مشركي زمانه وعلى المخالفين لمسائل التوحيد في زمانه تجدها في كشف الشبهات وهذه عادة العلماء كثيرا أنهم إذا كثر تأليفهم فإنهم يخصون مؤلفا من المؤلفات يجمعون فيه جميع ما يدور في كلامهم ويكثر تكراره في حديثهم في مؤلف واحد حتى يكون ذلك أعون للطالب على معرفة مدار كلامهم

فمدار كلام أبي العباس في كل كتبه العقدية على التدمرية فالذي يتقن التدمرية ويعرف مراد أبي العباس ابن تيميه فيها ويعرف ردود شيخ الإسلام على الطوائف فيها فإنه إن شاء الله سيؤهل لقراءة جميع كتب أبي العباس رحمه الله والذي يقرأ كشف الشبهات ويتقنها ويعرف مراد الشيخ رحمه الله فيها ويستجمع اطرافها ويتعرف على الشُبَه والإجابة الواردة فيها فإنه إن شاء الله سوف يعرف مقاصد الشيخ في دعوته على وجه الإجمال وقد سمى الشيخ رحمه الله تعالى هذا الكتاب كشف الشبهات وبالمناسبة فقد قسم الشيخ هذا الكتاب إلى قسمين :

القسم الثاني ذكر خمس عشرة شُبهة هي أعظم الشُبه التي يدور عليها كلام أهل الشرك والوثنية هي أعظم الشُبه ولا نقول كل الشُبه بل أعظم الشُبه التي يفجؤك بها عباد القبور من الوثنيين ممن يدعي الإسلام هي هذه الشبه الخمس عشرة وقد ذكرها الشيخ

بعبارة جزلة لطيفة يسيرة ورد عليها بردود وهذه الردود تختلف فبعض الشبه رد عليها بجواب واحد وأما الشبهة الحادية عشرة فقد رد عليها الشيخ بتسعة اجوبة كما سيأتينا ان شاء الله جل وعلا.

وقد تطرق الشيخ رحمه الله تعالى في ثنايا هذا الكتاب على جمل من الفوائد ؛كفوائد من حديث أبي واقد الليثي رحمه الله: " خرجنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى حُنينٍ ونحن حُدثاءُ عهدٍ بكفرٍ "[2] ذكر الشيخ جملًا من الفوائد واللطائف فيه وإلا فالأصل أن الكتاب ينتهي عند الاجابة على الشبهة الخامسة عشرة وهذا الكتاب لم يؤلفه الشيخ للمشركين بالأصالة ،لا، الشيخ ما رد على المشركين من اليهود والنصارى ،لا، وإنما رد على من يدعي الإسلام ممن وقع في أمور شركيه وهو لا يشعر فإذًا أصل تأليف هذا الكتاب

لمن يدعي الإسلام لمن ينتسب إلى الإسلام ولكنه يقع في شيء من المخالفات الشركية وهم غالب العلماء أو اكثر العلماء الذين وجدوا في زمن الشيخ كبعض علماء مصر وبعض علماء الشام وبعض علماء نجد وبعض علماء الأحساء فإنهم حاربوا الشيخ وهم يدعون الإسلام ما يقولوا نحن كفار أو يهود أو نصارى ،لا، هم يدعون الإسلام فكانوا يريدون على الشيخ كثيرا من الشبه فلما رأى الشيخ كثرة تكرار الشبه على ألسنة هؤلاء جمع لها هذا المؤلف حتى يكون نبراسًا يستضيء به الطالب في معرفة الإجابة على هذه الشبهات ، وهذا الكتاب لا يحتاج عقد دورة في شرحه لأنه سهل ويسير ولكن جرت عادة أهل العلم رحمهم الله أن يفصلوا في هذه الشبه ويطولوا الكلام فيها لأن عليها مدار احتجاج المشركين وأنا أذكر لكم ثلاثًا وعشرين قاعدة من أتقنها إن شاء الله

---

2 - أخرجه الترمذي في سننه باختلاف يسير | أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.| بَابٌ: مَا جَاءَ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ (٢١٨٠) (٤٩/٤)

فإنه سيعرف مقاصد الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الكتاب وسوف نقرأ الكتاب بعد هذه القواعد وسوف نحيل عليها إن شاء الله

نقول كما ذكرناه في القواعد في أول الشرح أن بعض القواعد يندرج يعني لأن كلام الشيخ متفرع عن قواعد فبدلًا أن نشرح الفروع نشرح الكتاب على طريقة التأصيل والتقعيد

➢ **القاعدة الأولى** (والتي نبه الشيخ عليها في القسم الأول) - تقول:

« التوحيد أساس الأعمال فلا يقبل الله عملًا إلا بالتوحيد ».

التوحيد أساس العمل فلا يقبل الله جل وعلا شيء من الأعمال إلا إذا كان مبنيا على التوحيد فكل عمل يعمله الإنسان بلا توحيد فإنه يكون عملًا لاغيًا باطلًا لأن الله جل وعلا لا يقبل من المشرك عملًا ولذلك يقول الله جل وعلا ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان ٢٣)

فإذا كان الإنسان عنده صلاة وصيام وزكاة وحج وبر بوالديه وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ولكنه يقع في شيء من الأمور الشركية فإن الله لا يقبل منه ذلك أبدا.

فإذا التوحيد هو قاعدة الأعمال وهو أساس الأعمال فلابد من إصلاح التوحيد أولًا وهذه هي خلاصة ما تكلم الشيخ عليه في القسم الأول أنه ينبه على أن التوحيد هو أساس العمل فلا يقبل الله جل وعلا شيء من الأعمال إلا بالتوحيد ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ" [3]

فإذا يفهم من هذا أنه إن لم يطيعوه في الشهادتين التي يبنى عليها التوحيد فإنه لا يأمرهم لا بالصلاة ولا بالصوم ولا بالزكاة ولا بالحج

3- أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ : الْإِيمَانُ | بَابٌ : الدُّعَاءُ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ (١٩)(٣٧/١)

لأن الله لا يقبل منهم شيء من ذلك فالكفار عندهم أعمال طيبة وحسنة ولكنها ليست صالحة لأن العمل قد يوصف بأنه عمل طيب ولكن العمل الصالح هو ما استجمع شرطين: الإخلاص لله جل وعلا والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم.

لا يقال أن الكفار عندهم أعمال صالحة لأن أعماله ليست مبنية على التوحيد وكل عمل ليس مبني على التوحيد فليس بصالح لكن يقال عندهم أعمال طيبة عندهم أعمال حسنة باعتبار ذات العمل لا باعتبار صدوره من هذا المشرك وهل الكفار يثابون على أعمالهم أو لا يثابون؟ الجواب أنهم إذا أسلموا وحسن إسلامهم فلا جرم أنهم يثابون على أعمالهم الطيبة الحسنة التي عملوها في كفرهم في الحياة وبعد الممات فإذا أسلم الكافر وحسن إسلامه فإنه يكتب له ماسلف من خير كما قال النبي ﷺ لحكيم بن حزام لما سأل النبي ﷺ: " يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صِلَةٍ وَعَتَاقَةٍ وَصَدَقَةٍ، هَلْ لِي فِيهَا مِنْ أَجْرٍ ؟ قَالَ حَكِيمٌ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ "[4] أو كما قال ﷺ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:"إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ"[5] فجميع الأعمال التي يفعلها الكافر إذا قدر الله له ووفقه للإسلام فإن أعماله يثاب عليها في الدنيا ويثاب عليها في الاخرة وإذا لم يوفقه الله للإسلام فهل يثاب على عمله ؟ الجواب : نعم يثاب عليها تحت مشيئة الله في الدنيا فقط وأما في الاخرة فلا ثواب له فيها إذا لم يسلم فإنه يثاب على عمله الطيب في الدنيا يكشف الله عنه كربه ، يرزقه بولد ، يوفقه في تجاره في أمور الدنيا فقط ، وأما في الآخرة فلا ثواب له فيها وبرهان

4 - أخرجه البخاري في صحيحه - كِتَابٌ:الْأَدَبُ - بَابُ مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ فِي الشِّرْكِ ثُمَّ أَسْلَمَ. (٥٩٩٢) (٦/٨)

5 - أخرجه البخاري في صحيحه - كِتَابٌ:الْإِيمَانُ - بَابٌ:حُسْنُ إِسْلَامِ الْمَرْءِ (٤٢)(١٧/١) ومسلم في صحيحه باختلاف يسير (١٢٩) (٨٢/١)

وذلك ما رواه صحيح الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا"[6] أو كما قال ﷺ. فالكافر يثاب على علمه تحت مشيئة الله في الدنيا ، وأما في الأخرة فقد فصل الله هذه القضية بقوله ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان ٢٣)

فإذًا هذا يفيدنا وجوب الإهتمام بتحقيق التوحيد والإهتمام بتعلم التوحيد ومعرفة التوحيد ولا نكن كذلك الرجل الجاهل الذي ذكره الشيخ وهو عالم من علماء الأحساء يقال له المويس (موسى لكن الشيخ يحقره بتصغيره يسمه المويس) يقول ولا تصدقوا المويس

إذا قال التوحيد عرفناه، فهذه الكلمة كلمة خبيثة إذا قيل التوحيد معروف بمعنى أننا لا نؤكد عليه في تدريسنا في مناهجنا ولا نفتح الدروس فيه ولا نكثر طرق مسائله أمام الناس بحجة أن التوحيد مفهوم هذه كلمة خبيثة ، التوحيد واضح نعم ، ولكنه يحتاج إلى تقرير

ولذلك مكث النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في تقرير مسائله ثلاث عشرة سنة في مكة وهو يقرر مسائل التوحيد ويُبدؤ فيه ويعيد ، وهكذا القرآن لا تجد سورة من سور القرآن إلا وهي تؤكد على نوع من أنواع التوحيد وتبينه وتنبه عليه وتأمر به وتنهى عن ضده وهو الشرك.

فإذًا كلمة التوحيد مفهوم أو أزعجتمونا بهذه المسائل التي تعلمناها ونحن في الإبتدائي كل هذه من الكلمات الإبليسية الشيطانية التي يريد بها الشيطان أن تعزف العقول عن فهم التوحيد ، وعن استذكار مسائل التوحيد لأن التوحيد باب عظيم يصد الشيطان عن أن يستولي على القلوب والعقول ؛ فإذًا الله الله بالتوحيد

---

6 - أخرجه مسلم في صحيحه - كِتَابٌ: صِفَةُ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ- بَابٌ: جَزَاءُ الْمُؤْمِنِ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (٢٨٠٨) (١٣٥/٨)

فلا بد من معرفة التوحيد ولا بد من الإهتمام بمسائل التوحيد ولابد من التركيز على قضايا التوحيد وكثرة التأليف في مسائل التوحيد وكثرة طرقها أمام العوام حتى تتشربها القلوب وتعقلها النفوس وتكون مما يُعلم من الدين بالضرورة هذه أول قاعدة.

➢ **القاعدة الثانية: « الإقرار بتوحيد الربوبية ليس كافٍ بالحكم بالإسلام ».**

يعني من جاءنا وقال إني أشهد أن الله هو الخالق وهو الرازق وهو الرب وهو المحيي وهو المميت وهو المدبر وهو المعطي وهو المانع وهو الضار وهو النافع وغير ذلك قلنا نعم صدقت، ثم ماذا؟ قال خلاص يكفي، أَلَستُ مسلما؟ ، قلنا لا لست بمسلم ،مع هذا الإقرار كله! قال مع هذا الإقرار كله لست بمسلم. لماذا؟ لأن العلماء مجمعون أن مجرد الإقرار بتوحيد الربوبية ليس كاف بالحكم بالإسلام وقد نبه الشيخ عليها تنبيها كثيرا يخرج منها ويرجع ، يخرج منها ويرجع ، ونبه عليها في القسمين:

- **القسم الأول: وهو القواعد التطبيقية**
- **القسم الثاني: بكشف بعض الشبهات**

لأن من المشركين من قالوا أن المشركين الذين بُعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ينكرون توحيد الربوبية ونحن نؤمن بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت فقال الشيخ هذه قديمة ليس بصحيح لأن القرآن أثبت أن المشركون الذين بُعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية والدليل على ذلك قول الله جل وعلا ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (العنكبوت ٦١)

ويقول تعالى ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ (المؤمنون ٨٤) الآيات بعدها. وهذا مجمع عليه بين العلماء وعليه عامة أهل السنة والجماعة ،أن من أقر بتوحيد الربوبية فقط فإن هذا لا يكفي للحكم عليه بالدخول للإسلام.

لو جاء رجل وقال الله هو الخالق نقول فقط هذه!، قال فقط هذه التي عندي ، نقول لا لست بمسلم حتى تشهد أن لا إله إلا الله ولذلك يقول العلماء رحمهم الله أن توحيد

الربوبية يستلزم توحيد الألوهية وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية بمعنى أنه لزاما يجب على من أقر أن الله هو الخالق الرازق أن يقر بأنه لا إله إلا هو وإلا لحصل تناقض وهذا هو معنى قول الله جل وعلا ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ (يوسف ١٠٦)

يؤمنون بأن الله الخالق الرازق ثم يشركون معه في عبادته غيره .فإذًا الاقرار بتوحيد الربوبية غير كافي في الدخول في الإسلام هذه من القواعد التي نبه عليها الشيخ.

➢ القاعدة الثالثة:

« التوحيد الذي نزلت به الكتب وأرسلت به الرسل هو توحيد الإلوهية ».

وهذه من أعظم القواعد التي وقعت فيها الخصومة بين الأمم وأنبيائها، التوحيد الذي بعثت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلوهية ، فانتبهوا لهذا وقد خالف في ذلك أكثر أهل البدع من الجهمية والأشاعرة الصوفية وغيرهم من أهل البدع خالفوا في ذلك فجعلوا غاية المطالب التي جاءت بها الرسل وقُررت بها الكتب إنما هو توحيد الربوبية وهذا خطأ كبير جدا ، نعم الكتب نزلت بتوحيد الربوبية لكن لا تقرير وإنما من باب الإستدلال به على المطلوب الأعظم والمقصود الأفخم وهو توحيد الإلوهية ولذلك يقول الله جل وعلا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ وهذا أمر بتوحيد الألوهية ، ثم استدل على وحدانيته في إلوهية بتوحيد الربوبية فقال ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ ﴾ كل هذا توحيد ربوبية ثم قال ﴿ فلا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة ٢٢) وهذا توحيد الإلوهية ،فإذًا التوحيد إذا ذكرت الآيات توحيد الربوبية لا تذكره تقريرًا إنما تذكره استدلالًا على المطلوب الأعظم وهو توحيد الإلوهية ،فإذًا الرسل بعثوا كلهم بتقرير توحيد الإلوهية فإن جاء على لسانهم أو في كتبهم التي أرسلها الله معهم توحيد الربوبية فاعلم أنهم إنما يذكرونه استدلالًا ويدل على ذلك القرآن والسنة والإجماع.

قال الله جل وعلا ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء ٢٥)

إذًا هذه هي وظيفة الرسل أنهم يأمرون أممهم بتوحيد الإلوهية لكن يستدلون بتوحيد الربوبية على هذا المطلوب الأعظم كما أقر العلماء رحمهم الله

فإذًا توحيد الإلوهية هي زبدة رسالة الرسل ، وهو المحط الذي اتفقت عليه جميع رسالات الأنبياء من لدن نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد ﷺ هذا هو دينهم كما سيأتينا إن شاء الله.

قال نوح عليه السلام لقومه ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾

قال هود عليه السلام لقومه ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾

قالها صالح عليه السلام ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾. (الأعراف ٥٩)

وقالها شعيب عليه السلام ، وقالها إبراهيم عليه السلام ، وقالها نبينا ﷺ: كلهم يفتتحون دعوتهم بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ، وقال الله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا ﴾

☜ ما وظيفة هؤلاء الرسل؟ ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل ٣٦)

هذا أي توحيد ؟ هذا هو توحيد الإلوهية ،

فإذًا إذا قيل لك ما التوحيد الذي نزلت به الكتب وأرسلت به الرسل قل هو توحيد الإلوهية ، وإذا قيل لك ما هو التوحيد الذي حصلت فيه الخصومة بين الأمم وأنبيائها قل هو مباشرة توحيد الإلوهية وهذا هو ما نقسم عليه و ندين الله جل وعلا به أن التوحيد الأعظم والمطلوب الأفخم الذي من أجله خلقت السماوات والأرض ، وقام سوق الجنة والنار ، وبه أنزلت الكتب وأرسلت الرسل ، وبها انقسمت الخليقة إلى أشقياء و سعداء ، وإلى أهل جنة والى اهل نار ، وإلى مؤمنين وكفار إنما هو توحيد الإلوهية فانتبهوا لهذا ، ومن أقر بتوحيد الإلوهية فإننا لا نستفصل منه أقر بتوحيد الربوبية أو لا لأن الإقرار بتوحيد الإلوهية يتضمن الإقرار بتوحيد الربوبية إذ لم يؤمن بأن الله مستحق للعبادة إلا بعد إيمانه بأنه هو الخالق الرازق المحيي المميت فلا نستفصله لكن من آمن بتوحيد الربوبية فقط فإننا نتوقف في إسلامه حتى يقر بتوحيد

الإلوهية. الصوفية يقولون أن المطلوب الأعظم هو توحيد الربوبية وأن الإنسان ينبغي له أن يفنى في مطالعة هذا الكون وعظمة الخلق، ثم ماذا؟ فقط هذا هو المطلوب تفكر في آيات الله في السماوات والأرض وسح في الأرض متفكرًا في هذه الجبال وتفكر في الخلق ...وازعجوا الناس بمثل هذا ! وهذا مطلوب، لكن إذا جئت للنتيجة نتيجة هذا الاعجاز الكوني نتيجته ماذا؟

نتيجته عظمة الله قدرة الله ، هيمنة الله ، سلطان الله طيب كل هذا ربوبية ، ثم ماذا ؟ قال مافي هذا الذي عندنا، نقول إذًا أخطأت. الله جل وعلا أمر بالتفكر ، وأمر بالتدبر ، وأمر بالنظر، وأمر بالاعتبار ، وأمر بالتعقل حتى نصل به إلى نتيجة وهي أنه لا إله إلا هو وهي التي لا يريدها الصوفية ولا ينطقون بها وإن نطقوا بها فإنهم لا ينطقون بها على ما يفهمها أهل السنة وإنما يفسرون لا إله إلا الله بتوحيد الربوبية فيقولون لا إله إلا الله معناها لا خالق إلا الله ، لا إله إلا الله معناها لا قادر على الإختراع إلا الله ، لا إله إلا الله معناها لا محيي ولا مميت ولا متصرف في هذا الكون على الحقيقة إلا الله هذا الكلام حق ، ولكنه ليس هو معنى لا إله إلا الله، انتبهوا إلى الخلط فقد خلط فيه أمم وطوائف وفرق كثيرة فوقعوا في الضلالات العظيمة واعترت قلوبهم الشبه الوخيمة التي أردتهم عن الصراط المستقيم وأبعدتهم عن المنهج السليم القويم بسبب الإخلال بهذا الفهم والخلط بين التوحيد المطلوب والتوحيد الذي سيق مساق الإستدلال على المطلوب الأفخم.

➢ القاعدة الرابعة:

« الوقوع في ناقض من نواقض التوحيد مُبطل للإسلام وإن كان العبد مجتهدا في عبادات أخرى ».

إذا وقع الإنسان في شيء من نواقض التوحيد فإنه وإن كان من أعبد الناس وإن كان من أعظم الناس قيامًا لليل ومن أعظم الناس صدقة ومن أعظم الناس زكاة ومن أعظم الناس برًا بوالديه ومن أعظم الناس أمرًا بالمعروف ومن أعظم الناس نهيًا عن المنكر ما ينفعه هذا أبدا إذا وقع في ناقض من نواقض التوحيد لأن الشيخ رحمه الله بين في بعض الشُبه أن المشركين يستدلون بأن عندهم عبادات كثيرة يقول الشيخ طيب اتفقنا

معكم، معكم عبادات كثيرة ولكنكم وقعتم في ناقض واحد ومن وقع في ناقض واحد من نواقض التوحيد انتقض ايمانه ولم ينفعه وجود أعمال أخرى أو عبادات أخرى يقوم بها من الشريعة لأن الله جل وعلا لا يقبل شيئا من الاعمال أبدًا مادام فيه ناقض من نواقض التوحيد فهؤلاء الذين يصلون ويصومون وينذرون ويوفون بالنذر ويحجون ويعتمرون ويفعلون .. ويفعلون .. **ولكن** يسجدون للقبرأو يذبحون للقبورأو ينذرون لها من دون الله أو يدعونها ويستغيثون بها في تفريج الكربات أو كشف الملمات فهؤلاء ما تنفع أعمالهم هذه ولا منزلة لهذه الأعمال عند الله جل وعلا أبدًا ، **لِمَ؟** لأنهم وقعوا في ناقض واحد من نواقض التوحيد ، ماتنفع الأعمال أبدًا فهذا، يؤكد على أهمية معرفة التوحيد ومايضاده من الشرك لابد من فهم التوحيد

لأن الإنسان ربما ينحني ظهره ويشيب شعره وتكبر سنه في الإسلام ولم يقبل الله جل وعلا منه سجدة واحدة صدقة واحدة لم يقبل الله له منه شيء بل من في السماء غاضب عليه بسبب أنه يقع في دعاء غير الله أو الذبح لغير الله وأني رأيت حول الحرم رجلا قد شاب شعره وانحنى ظهره من بعض الدول المجاورة مسكين وهو يقول يا حسين يا حسين يا حسين فهو أفنى عمره يا حسين يا حسين يا حسين يا حسين وهو يطوف حول البيت نسأل الله سلامة الإعتقاد وأن نموت على العقيدة الصحيحة شاب شعره وانحنى ظهره وهو يقول يا حسين يا حسين ما قبل الله جل وعلا منه شيء أبدًا لأن الله يقول ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة ٢٧)

ومن يقع في شيء من المخالفات العقدية التي توجب له الخروج من الإسلام فإن الله ما يقبل منه شيء أبدًا ما يقبل الله من المشرك عملا، انتبهوا لهذا ، الوقوع في ناقض من نواقض التوحيد مبطل للإسلام ولو كان من وقع فيه مجتهدا في القيام بعبادات اخرى، ليس بحجة على الله أنه ما شاء الله يقوم الليل كله أو تصدق بماله كله حتى لو مات شهيدا بين الصفين ،يعني حتى لو مات بين صفين مشركين والمؤمنين إذا كان معه ناقض ما يقبل له لا جهاد ولا عمره ولاحج ولا صوم ولا شيء ، هذا يبين لنا الإهتمام بمسائل التوحيد والتركيز على التوحيد دائما وأبدًا انتبهوا لهذا لانه مع القراءة نقول قد شرحت سابقا قد بيناها سابقا هذه خلاصة كشف الشبهات

[الدرس الثاني من المحاضرة الأولى]

➢ القاعدة الخامسة:

« العبادات حق صرف محض لله جل وعلا لا تصرف لا لملك مقرب ولا لنبي مُرسل ولا لولي صالح ».

فضلاً عن غيرهم فالله جل وعلا هو المعبود الحق جل وعلا

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (آل عمران ١٨)

والآيات في هذا المعنى كثيرة فجميع ما عبد من دون الله جل وعلا إنما عبد بالظلم والعناد والاستكبار والجهل والعنجهية والعصبية وتقليد الآباء والأسلاف كما سيأتي في بيان أسباب وقوع المشركين في الشرك والمخالفات الشرعية فَإِذَاً المعبود بالحق هو الله فلا يسجد إلا لله ولا ينذر إلا لله ولا يحلف إلا بالله ولا يتوكل إلا على الله ولا يستعان ولا يستغاث ولا يستعاذ إلا بالله جل وعلا ولا يذبح إلا لله ولا يدعى إلا الله، الله جل وعلا هو المستحق للعبادة وأما ما عداه فلا يستحق شيء من العباده لماذا قال العلماء لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح فضلا عن غيرهم لماذا فَصَلُّوا في هؤلاء الثلاثة وأجملوا في غيرهم لماذا لم يقولوا ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا بقرة ولا إنس ولا جن قالوا لأن أعظم ما وقع الشرك إنما هو في هؤلاء الثلاثة فالملائكة عبدت من دون الله فالله جل وعلا

﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾ (سبأ٤٠)

أعظم من عبد من دون الله هم الملائكة عبدوا من دون الله جل وعلا ولكن أنا أُشْهِدُ اللَّهَ وأشهد حملة عرشه وملائكته وجميع أنبيائه وخلقه أن الملائكة عباد مربوبون مُدَبَّرُون مُتَصَرِّفٌ فيهم من قبل الله جل وعلا لا يستحقون شيئا من معاني الربوبية ولا شيئا من معاني الألوهية بل هم عباد مكرمون لا يسبقون الله جل وعلا بالقول وهم بأمره يعملون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا رجل إذا قضى الله جل وعلا الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقول الله جل وعلا ينفذهم ذلك حتى يصيبهم الغشي

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ (سبأ ٢٣)

ثم يأتي أحدهم يقول أعبد الملائكة. أعبد رب الملائكة الذي خلقهم ودبرهم وتصرف فيهم فالملائكة ما يستحقون شيء من العبادة أبدا لا جبريل ولا ميكائيل ولا إسرافيل ولا غيرهم من الملائكة المستحق للعبادة هو الله جل وعلا سبحانه وتعالى كذلك الأنبياء عُبِدُوا من دون الله فعزير عُبِدَ من دون الله وعيسى عُبِدَ من دون الله والنبي عليه الصلاة والسلام عُبِدَ من دون الله وإبراهيم عُبِدَ من دون الله .

الآن قبر إبراهيم يُطَاف حوله و يَذْبَح عِنْدَه وَيُنْذِر لَه فَإِذَاً هؤلاء يعبدون الأنبياء من دون الله وكذلك الأولياء والصالحون أَمَا عُبد علي من دون الله عُبِدَ الحسين من دون الله عُبِدَ كثير من الأولياء والصالحون عُبِدُوا من دون الله فَإِذَاً أعظم ما وقعت البلية في الشرك هو إما الشرك بالملائكة أو الأنبياء أو الأولياء ،ولذلك أول شرك وقع في بني آدم كان في عهد نوح سببه الغلو في الصالحين ماقالوا الغلو في الأشجار ولا في الأحجار ولا في المياه والأشجار والكهوف والمغارات لا وإنما الغلو في الصالحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا فَإِذَاً الانسان مهما كان صالحا كما سيأتينا في القواعد فإنه لا يستحق شيئا من العبادة أَبَدَاً العبادة كلها حق صرف محض لله لا حق لأحد فيه أَبَدَاً لا في صدر ولا وَرَد والله جل وعلا يضرب أمثلة كثيرة يبين فيها هذا الحق ويبين الظلم العظيم في صرف هذا الحق إلى أحد من مخلوقاته قال الله جل وعلا

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (الروم ٢٨)

"الله جل وعلا يقول يا كفار قريش سوف أضرب لكم مثلا أنتم مؤمنون به مَثَل محسوس عندكم تؤمنون به وتشاهدونه يا كفار قريش أوليس لكم أرقاء وعبيد الجواب نعم هل يرضى أحد منكم أن يشاركه رقيقه في ملكه في ماله في مخصصاته

ما رأيك لو طرق الباب عليك عبد من عبيدك وقال أعطني نصف ملكك أنا أريد أن أشاركك في حقوقك وفيما هو من خصائصك هل يرضى أحد منكم أن يشاركه عبيده فيما هو من خصائصه وفيما هو من حقوقه وملكيته الجواب :لا يرضى أحد طيب إذا كنتم أنتم لا ترضون أن يشارككم عبيدكم في خصائصكم فأنا أيضاً لا أرضى أن يشاركني أحد من عبيدي في خصوصياتي وهي العبادة، العبادة حقي أنا لماذا تصرفونها لغيري لماذا تشركون معي أحدا من خلقي مع أن الواحد منكم لو أن عبده أراد أن يشاركه في حقوقه مارضيتم هذا هو الظلم العظيم أن ترضون لربكم مالا ترضونه لأنفسكم هذا هو الظلم العظيم ولذلك يقول الله جل وعلا

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (الزخرف ١٧)

لو قيل لك يا من أنت يعني لاتحب البنات قيل لك زوجتك جاءت ببنت فإنك سوف تتوارى من. القوم وَيَسْوَدّ وجهك حياءاً من هذه البنت الجديدة أنت. لا ترضى أن تُنْسَبُ البنت لك فكيف تَنْسِب البنات لله فتجعل الملائكة بنات الله جل وعلا كيف تنسب البنت لله

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (الزخرف ١٧)

عَامِلِ الله جل وعلا على الأقل بما تعامل به نفسك مالا ترضاه لنفسك لا ترضاه لربك كيف لا ترضى لنفسك البنت وأنت ترضى لربك البنت وتقول الملائكة بنات الله كيف لا ترضى أن يشاركك أحد من عبيدك وأرقائك في ملكك وما هو من خصوصياتك ثم أنت تصرف خالص حق الله إلى شجر أو حجر أو مدر أو ملك أو جن لذلك يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ (لقمان ١٣)

مارأيكم في رجل جئت وأخذت ماله من جيبه قَهْرَاً ثم أعطيته رجل آخر أليس هذا ظلم لأنني أخذت من صاحب الحق حقه وأعطيته غيره فكيف أصرف العبادة لغير الله جل وعلا وهي حقه الصرف المحض كيف أصرفها من الله إلى غيره ولله جل وعلا المثل الأعلى ولكن القرآن جرت عادته أن يضرب الأمثلة الحسية حتى تقوم الحجة على هؤلاء الجهلة ربما لم يفهموا ما جاءت به الرسل لكن ما تفهمون الأمثلة التطبيقية التي تعيشونها صباحا ومساءا إذًا الدعوة عناد بس الدعوة عناد الدعوة استكبار على الله ذنب الشرك لا تطهره النار ولذلك المشرك خَالِدَاً في النار خُلُودَاً أَبَدِيًّاً لا يخرج منها أَبَدَاً اللي يزني ويدخل النار النار تطهر الزنا تطهر السرقة تطهر الفحش لكن أما الشرك فليس له تطهير أَبَدَاً لأنه من أخس الذنوب وأقبح الذنوب وأظلم الذنوب وأشنع الذنوب في حق الله جل وعلا ماعُبِدَ الله بمثل التوحيد وما عُصِي الله جل وعلا بمثل الشرك والوثنية والعياذ بالله ، فإذًا العبادة حق الله الصرف المحض لا يستحقه أحد مهما كانت منزلته ومهما علت رتبته الله هو المستحق للعبادة دون ماسواه ومن أجل هذا أَلَّفَ الشيخ هذا الكتاب ومن القواعد المقرره في هذا الباب أيضاً تكملة للقاعدة التي قبلها

➢ القاعدة السادسة: « إن المخلوق وإن علت رتبته فإنه لا يستحق شيئا من العبادة ».

المخلوق وإن علت رتبته وإن علا فضله عند الله مايستحق شيء من العبادة نؤمن بفضله نؤمن بكرامته بمنزلته لكن هذا لا يجعلنا نضفي عليه شيئا من خصائص الربوبية أو خصائص الألوهية وهذه القاعدة تُبْطِل عبادة ثلاثة أشخاص تُبْطِل عبادة الملائكة وتبطل عبادة الأنبياء وتبطل عبادة الأولياء والصالحين لأنهم أعظم المنازل عند الله جل وعلا أعظم منزلة عند الله منزلة الملائكة ومنزلة الأنبياء ومنزلة الأولياء والصالحين فما في ملك يستحق العبادة ماتقول والله هؤلاء لهم منزله عند الله ونحن أصحاب ذنوب وخطايا ولا نستطيع أن ندخل على الله مباشرة

فلابد أن نطرق على باب الله بشخص محبوب عند الله حتى يقبلنا لا لا أَبَدَاً لا تقيس الله جل وعلا على ملوك الدنيا باب الله مفتوح لكل أحد للطائع والعاصي للمؤمن والكافر حتى الكافر إذا أسلم فباب الله جل وعلا مفتوح لإسلامه ويغفر له ماتقدم من ذنبه اذا حَسُنَ إسلامه وصدق في توبته. مابينك وبين الله حجاب ليس بيننا وبين الله وسائط الله ليس مثل ملوك الدنيا ما يدخل عليهم الواحد إلا لازم يعرف الوزير الفلاني أو يعرف الحارس لا لا باب الله مفتوح لكل أحد حوائج الخلق لا تُوصِلْهَا الملائكة إلى الله بل الله يعرف حوائج الخلق منه وإليه وهذا هو السر في قوله الله جل وعلا

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (البقرة ١٨٦)

فلم يقل الله قل إني قريب ، بل قال ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

لأن في الدعاء ليس بينه وبين عباده واسطة ، وأما في تبليغ الأحكام الشريعة

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ (البقرة ٢٢٢)

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ (البقرة ٢٢٠)؛

فالنبي ﷺ واسطة بيننا وبين الله تعالى في تبليغ الأحكام الشرعية فقط ، ولكن ليس

هو واسطة بيننا وبين الله في الدعاء والتضرع والاستغاثة والإبتهال لله جلّ وعلا. لا هنا ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ مباشرة ما قال فقل فإني قريب مافي واسطة بين الله وبين عباده في الدعاء مباشرة ما قال فقل فإني قريب مافي واسطة بين الله وبين عباده في الدعاء فإذا قيل لك هل النبي عليه الصلاة والسلام واسطة بيننا وبين الله قل إن المسألة فيها إجمال لابد فيها من التفصيل هل تقصد بالواسطة يعني واسطة في تبليغ الأحكام الشرعية نعم هو واسطة بيننا وبين الله في تبليغ الأحكام الشرعية لكن إن كنت تقصد أنه واسطة بيننا وبين الله بمعنى أننا ندعوه ليوصل دعاءنا إلى الله أو نستغيث به ليقربنا إلى الله زلفى فهذا هو حقيقة شرك المشركين مابين الله وبين عباده أي واسطة بهذا المعنى مهما علت رتبة المخلوق لأن كثيرا من المشركين يُقْبَلُون على عبادة هذة الأشياء أما الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء و الصالحين بحجة أن لهم رتبة كبيرة عند الله فتأتي هذه القاعدة تقضي على هذا الكلام كله

إن المخلوق وإن علت رتبته وإن علا فضله وإن علت منزلته عند الله جل وعلا فانه لا يستحق شيئا من العبادة ولا يستحق شيئا من معاني الربوبية والالوهية وهذا مانؤمن به ونصدق به ونعتقده فالملائكة مايستحقون شيء من العبادة والأنبياء مايستحقون شيء من العبادة لا النبي عليه الصلاة والسلام ولا من دونه من. إخوانه من الأنبياء والرسل لا يستحقون شيء من العبادة أَبَدَاً ولا الأولياء ولا الصالحين ومن القواعد المقررة في هذا الباب ؛

➢ القاعدة السابعة: « حقيقة الشرك هي تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه ».

حقيقة الشرك هي تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله هذه هي حقيقة الشرك ودليل ذلك قول الله جل وعلا عن أهل النار ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء ٩٧)

فَإِذَاً من سوى غير الله بالله فيما هو من خصائص الله فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج عن الملة بالكلية يقول الله جل وعلا ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ (الأنعام ١) يعني يساوون غير الله جلّ وعلا بالله ويعدلونه به هذه حقيقة الشرك بغض النظر عن نوعية الشرك الذي وقعت فيه المهم من كان عنده تسوية لغير الله بالله فيما هو من خصائص الله فقد وقع في الشرك الأكبر انتبهوا لهذه الحقيقة لأن من المشركين من يقولون يا أخي وش عندنا الأولين أشركوا لأنهم يقولون إن عزير ابن الله وعيسى ابن الله ، إنما عندنا الالتجاء للصالحين والاستغاثة بهم والانقراع عند عتبات قبورهم هو لأنهم مايعرفون حقيقة الشرك لو كانوا يعرفون هذه الحقيقة وقد تقررت في قلوبهم لعرفوا أن كل من سَوَّى غير الله بالله فيما هو من خصائص الله فقد وقع في الشرك سواءا نسبت الابن إلى الله او التجأت لغير الله أو ذبحت لغير الله او استعنت بغير الله أو دعوت غير الله او استغثت بغير الله أو توكلت على غير الله على تفصيل فيها المهم أنها عبادة فلا يجوز لك ان تصرفها لغير الله ولا تسوي غير الله جل وعلا به فيها أحد

➢ القاعدة الثامنة:

« كل من اتخذ الوسائط بينه وبين الله يدعوهم ويستغيث بهم فقد أشرك ».

فكل من اتخذ الوسائط بينه وبين الله يدعوهم ويستغيث بهم فقد أشرك وهذا مجمع عليه بين العلماء فليس بيننا وبين الله واسطة في الاستغاثة والدعاء والعبادة ومن القواعد المقررة في هذا الباب أيضاً وهي مهمة جداً وسأطيل عندها قليلا ؛

➢ القاعدة التاسعة: « تغيير الأسماء لايغير الحقائق ».

تغير الاسماء لا تتغير به الحقائق قاعدة طيبة احفظوها يا إخوان لأن الشيخ سوف يدور عليها كثيرا في كشف الشبهات وسوف يرد بها شبهات كثيرة ؛ الخمر هل يتغير حكمها لما سميت أم الارواح هل تغير حكمها الجواب الزنا لو سُمِّي لذة الارواح هل يتغير به الحكم الجواب لا زنا إذًا العبرة بالحقيقة والمضمون لا تغرك الشعارات والأسماء مهما سُمِّي الحرام بأي اسم تستلطفه النفوس وتستحبه القلوب والعقول فهو حرام يسمون الربا بَيْعَاً هذا حرام طيب هو مو بيع لا يا حبيبي الأسماء لا تغير الحقائق يسمون الربا فوائد بنكية فوائد استثمارية عوائد ارتجالية أو غير ذلك من الأسماء التي تعرفونها كل ذلك لا يغير حقيقة الربا وأنه حرام يسمون الخمر ام الارواح نقول هي حرام حتى وان سميتها ما سميتها ما الذي جعلنا نقرر هذه القاعده في هذا المقام لأن المشركين الذين يقعون في الشرك يسمون شركهم بأسماء محبوبة للنفوس فيسمون السجود للاولياء والصالحين تعظيما وتقديسا ومعرفة لأقدار منازل القوم ولذلك إذا جئتهم يقول يا أخي لا تسجد لقبر السيد البدوي ولا الحسين ولا الست زينب لا تسجد لهم يقول يا أخي انت والله لا تعرفون حقوق أولياء الله نحن الآن نعبر عن محبتنا لهم ونعبر عن عظمتهم في قلوبنا ونعطيهم منزلتهم التي أنزلهم الله إياها سموا الشرك بغير اسمه فالشيخ رحمه الله يقرر بأن الأسماء ماتغير من الحقائق شيء الشرك شرك وإن سميته ما سميته الشرك شرك وان سميته تعظيما للاولياء الشرك شرك وإن سميته معرفة لأقدار منازل عباد الله الصالحين معرفة لمنازل القوم وإنزال لهم في مرتبتهم وإحلال لهم في كل هذا من الشرك حتي وان سميته ما سميته لذلك بعض المشركين. يسمون الشرك توسلا ولا لا هذا توسل بالصالحين لكنه في حقيقته ذاته شرك الشرك

هو الشرك حتى وإن سُمِّي بأسماء مزخرفة وهذه خدعة كبيرة من خدع إبليس حتى يستلطف الناس ويستعطف قلوبهم ويستميلهم إلى الوقوع في هذا الشرك وهو داخل في قول الله جل وعلا ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام ١١٢) - والمقصود - ب غرورا يعني حتى يغروا بهذا الزخرف أنصاف المثقفين وأشباه الأنعام ومن القواعد المقررة في هذا الباب ؛

➢ القاعدة العاشرة: « دين الأنبياء واحد وشرائعهم مُختلفة ».

دين الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة انتبهوا لهذه القواعد دين الأنبياء واحد والمراد بالدين يعني العقائد والمراد بالشرائع يعني الأمور الفقهية العملية فالدين الذي بعث الله به الأنبياء واحد فالعقيدة التي جاء بها آدم ونوح هي العقيدة التي جاء بها محمد ﷺ

والدليل على ذلك قول الله جل وعلا ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل ٣٦) إذًا دين الأنبياء واحد

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء ٢٥) إذًا دين الأنبياء واحد فعقيدتنا في توحيد الربوبية واحدة في جميع الأنبياء وعقيدتنا في توحيد الالوهية التي جاء بها الأنبياء كلها واحده ، وعلى ذلك قول النبي ﷺ"وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"[7] والمراد بالدين هنا يعني العقيدة الامور العقدية فالعقائد ما تختلف بين نبي ونبي فالعقيدة التي جاء بها نوح هي العقيدة التي جاء بها إبراهيم هي العقيدة التي جاء بها هود هي العقيدة التي جاء بها صالح هي العقيدة التي ختم الله بها محمد ﷺ وأما الشرائع فإنها تختلف من نبي إلى نبي ولذلك

سئل ابن تيمية هل على من قبلنا عليهم صلاة مثل صلاتنا قال كان عليهم صلاة لكن تختلف عن صلاتنا في أوقاتها وهيئاتها إذًا الشرائع هي التي تختلف من نبي لنبي ولذلك موسى عليه الصلاة السلام عندنا كان ﷺ يتردد بينه وبين ربه في ليلة الإسراء واستقرت الفريضة على خمس

(7) أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابٌ : أَحَادِيثُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. | بَابُ قَوْلِ اللَّهِ : وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ (٣٤٤٣) (١٦/٤)

فأراد موسى أن يرجع محمد الى ربه فقال موسى إني بلغت بني إسرائيل بأقل من ذلك إذًا كانت عليهم صلاة لكن أقل من ايش من خمس إذًا ما الذي يختلف بين نبي والنبي إنما هي الأمور الفقهية العملية الشرائع وأما العقائد فإنها لا تختلف من نبي لنبي بل عقائد الأنبياء واحدة ومما يضرب مثالا على ذلك غير الصلاة مثلا إزالة النجاسة في شريعة موسى إذا وقعت على الثوب فانه لو غسلها بمياه الدنيا ما طهرت بل لابد ان يقرضها بالمقراض ان يقطعها بالمقص كما في سنن أبي داؤود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وأما في شريعتنا فتغير ذلك الحكم فإذا طهرت موارد النجاسة حتى تزول عينها فإنها تزول (يزول حكمها) وكان في شريعة يوسف أنه يجوز للإنسان أن يسجد للمعظم إكراماً وتحية لا تعبدا وهذه من الأمور الفقهية العملية لأن القضية قضية تحية وسلام فليست هو أمر عقدي لكن أما في شريعتنا نسخ ذلك مطلقا كان من شريعة موسى أن من كمال التوبة عند الوقوع في الذنب العظيم أن يقتل الإنسان نفسه

﴿ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ ﴾ (البقرة ٥٤) لكن في شريعتنا حُرِّم ذلك يحرم ذلك كان في شريعة من قبلنا لا يجوز النطق بكلمة الكفر حتى مع حال الإكراه. لكن في شريعتنا ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ (النحل ١٠٦) إذًا ما الذي يختلف بين نبي ونبي أيها الأحباب إنما هي الأمور الشرعية العملية فقط الفقهية وأما العقائد فإنها واحدة وهي أول مسألة تكلم الشيخ عنها في كشف الشبهات قال دين الأنبياء واحد والمراد بالدين يعني الأمور العقدية

➢ القاعدة الحادية عشر:

« أصل شرك المشركين هو اعتقادهم في معبوداتهم أنها تقربهم إلى الله زلفى ».

واضح هذا يا جماعة المشركون ماعبدوا تلك المعبودات لأنها تخلق وترزق لا ولا لأنها تُحيي وتُميت لا ولا لأنها تضر وتنفع لا ولا لأنها تُعطي وتمنع لا ولا لأنها المدبرة والمتصرفة لا إذًا ما أصل الشرك الذي وقعوا فيه هو أنهم يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى ولذلك يقول الله جل وعلا ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ (الزمر٣) ويقول الله جلّ وعلا ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (يونس ١٨)

إذًا حقيقة شرك المشركين جميع الشرك في توحيد الألوهية الذي وقع في العالم من لَدُن نوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إنما أصله الأعظم وركنه الأقوم هو انهم كانوا يعتقدون في هذه المعبودات أنها تقربهم إلى الله وتشفع لهم عند الله جل وعلا ولذلك الذين عبدوا الملائكة ماعبدوا الملائكة لأنها تخلق وترزق وانما لأنها تقربهم عند الله زلفى والذين عبدوا الأنبياء والصالحين والأولياء ماعبدوهم لأنهم يخلقون ويرزقون إنما عبدوهم لأنهم يقربونهم عند الله زلفى واللي يعبد الشجر والحجر والشجر والمدر والكهوف والمغارات والقبور ماعبدها لأنها تضر وتنفع وإنما عبدها لأنه يعتقد أنها تقربهم عند الله جل وعلا زلفى إذًا هذا هو أصل شرك المشركين هو اتخاذ الوسائط فيما بينهم وبين الله يزعمون أنها تقربهم وأنها تشفع لهم عند الله جل وعلا ومن القواعد أيضاً ؛

➢ القاعدة الثانية عشر: « القياس المصادم للنصوص أصل ضلال الأُمم ».

وإن أول من قاس قياساً فاسداً هو إبليس عليه لعنة الله وذلك في ملكوت السماء لما أمره الله جل وعلا أن يسجد لأبينا آدم بالنص الصحيح الصريح في قول الله جل وعلا ﴿ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ (البقرة ٣٤) هذا نص بالله عليك يحتاج مناقشة هذا نص يحتاج مجادلة أو مماحلة أو تهرب أو لف ودوران مافي لكن هذا الخبيث قاس . أبطل دلالة النص الصحيح الصريح بقياس عنده فقال كيف أسجد له مايمكن هذا أبدا انا عنصري ناري وعنصره طيني والنار خير من الطين إذا النتيجة ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ (الأعراف١٢)

ولا يزال ابليس يقرر هذا المنهج في قلوب كثير من الناس حتى ردت أمة نوح دعوة نوح بسبب هذا القياس الفاسد وهو أنهم قاسوا ماعليه آباؤهم وأسلافهم وقالوا مايمكن أبدا أن يكون ما عليه آباؤنا وأسلافنا ضلال وأنت يا نوح جئت بالهدى قاسوا أنفسهم وأموالهم فقالوا يا نوح نحن أكرم القوم وأغنى القوم ووجهاء كيف نتبعك وما ﴿ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ (هود ٢٧)

لو كان حقا كان ما سبقونا له جميع من رد الحق من هذه الأمم فإنما أصل رد الحق أصل الضلال هو هذا القياس الفاسد ولذلك سماه بعض أهل العلم أنه شبهة أثيمة وآفة قديمة جميع من رد الحق ولذلك من رد النصوص الصحيحة الصريحة بقياس موهوم

مخترع عنده فإنه تَخَرَّج في الحقيقة في هذه المسألة من مدرسة إبليس . إبليس فتح مدرسة أسماها مدرسة مخالفة النصوص بالأقيسة الفاسدة واضح يا جماعة ولا لا وقد رد العلماء على إبليس بثلاثة أجوبة

الجواب الأول ..أن قياسك يا خبيث قياس مُصادم للنص والقياس المصادم للنص باطل

الأمر الثاني .. من قال لك أن النار خيرٌ من الطين بل الطين خير من النار فإن الطين مُبارك تُعطيه النواة فيُعطيكها نخلة وتُعطيه الحبّة فيُعطيكها السُنبلة وما عمرت البيوت والدنيا إلا بالطين أصلا وما تخرج النبات إلا من الطين فالطين هو آلة الإعمار بل إن الطين من طبعه الرزانة والثقل والإعمار وأما النار فإن من طبيعتها الخفة والطيش والعجلة والاحراق والإتلاف والإفساد والتفريق .الآن الانسان يبني بيت من طين ثم يجتمع هو وأولاده فيه طين. يحترق هذا البيت يتفرق أولاده فَإِذَاً الطين هو من يجمع الطين هو من يؤلف والنار هي من تفرق وتتلف من قالك أن النار خير من الطين سلمنا جدلا أن النار خير من الطين لكن أنت لست النار كلها يا إبليس بل أنت جزء من أجزائها مقتطع من النار فإذا سلمنا أن أصلك شريف فإن ذلك الجزء الذي اقتطعت منه هو وضيع وأن شرف الاصل لا يستلزم شرف الفرع كما قال العلماء رحمهم الله إذا افتخرت بآباء لهم شرف قلنا صدقت ولكن بئس ماولدوا كم من أصل رفيع ولكن فرعه وضيع فأنت فرع من فروع النار ولست أصل النار كلها فَإِذَاً جميع من قاس قياساً فاسداً فإنه مُصادم للنص فإنه واقع في هذه المدرسة الإبليسية وفي هذه الشُبهة الشيطانية الخبيثة التي من أجلها حُربت الرسل وَعُطِّلَت النصوص و سيم أنبياء الله وأولياؤه والدعاة إلى الخير سوم العذاب بسبب هذه القياسات الباطلة

﴿ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ ﴾ (الأحقاف ١١)

﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ (الزخرف ٢٣)

﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ (هود ٢٧)

اجعل لنا يا محمد مجالس غير مجالس هؤلاء كلها أقيسة فاسدة تؤدي إلى بُطلان الحقّ فإذاً أحذروا من هذا ولي رسالة مختصرة اسمها مُخالفة النص للقياس حتى يبين أن هذه الآفة ليست في الأمور العقدية فقط بل حتى في الأمور الفقهية العملية

➢ **القاعدة الثالثة عشر: « لا معبود بحق إلا الله ».**

ولا نطيل فيها وهذا هو المعنى الحق الصحيح المُتفق عليه بين أهل السنة لـ (لا اله إلا الله) فاذا قيل لك ما المعنى الحق لـ (لا إله إلا الله) فقل أنه لا معبود بحق إلا الله وقد ذكر الله جلّ وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة منها قوله جلّ وعلا ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ (الحج ٦٢)

فجميع ماعُبد من دون الله ماعُبد بالحق وإنما المعبود بالحق هو الله وحده لا شريك له ولابد أن نزيد بكلمة بحق لماذا لأنه هناك معبودات من دون الله جلّ وعلا لكنها معبودات بالباطل وبالعناد وبالظلم وبالطغيان والبغي والعدوان وأما المعبود بالحق والصدق إنما هو الله جلّ وعلا ؛ ومن القواعد أيضاً في هذا الباب ؛

➢ **القاعدة الرابعة عشر: « الشرك لا يدخل حيّز المغفرة ».**

؛ أما الشرك الأكبر فبالإجماع أما الشرك الأصغر ففيه خلاف بين أهل العلم يُطْلَبُ فِي مَضَانِّه لكن الشرك الأكبر لا يدخل في حيز المغفرة والدليل على ذلك قول الله جلّ وعلا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء ٤٨)

وهذه القاعدة نبّه الشيخ عليها في ثنايا كشف الشبهات من باب التحذير من الشرك والتخويف منه فيجب علينا أن نخاف منه كما سيأتينا تفصيلهُ إن شاء الله ومن القواعد أيضاً ؛

➢ **القاعدة الخامسة عشر: « مُشركوا زماننا أَضَلّ من مُشركي الأمم السابقة ».**

مُشركوا زماننا أعظم ضلالا من الأمم السابقة أو من المشركين في الأزمنة الماضية عَبّر عنها ماشئت وهذه نبه الشيخ عليها في هذه الرسالة وفي غيره وهذا يرجع لأمرين

الأمرالأول أن المشركين في الأمم الماضية إنما يُشركون بالله جلّ وعلا في حال الرخاء لا في حال الضرّاء كما قال الله جلّ وعلا ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (العنكبوت ٦٥)

طيب هذا هو الضرّاء دعوا الله مُخلصين دعوا يعني عبدوا الله مخلصين له الدين مافي شرك راحت هُبل راحت اللات راحت العُزّى راحت مناة الثالثة الأخرى راحت كل شيء بقي الله جل وعلا ، ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ (العنكبوت ٦٥)

فَإِذَاً المُشركون في الأمم الماضية إنما كانوا يُشركون مع الله غيره في أمور الرخاء فقط وأمّا في أزمنة الضراء فلا وأما مشركوا زماننا فهم قد أطلقت عليهم الأحوال الشركية في أحوالهم جميعا سواءا في الرخاء أو في الضراء بل إن شرك مشركي زماننا في الضراء أعظم وأشد من شركهم في الرخاء لذلك إذًا وقعوا في الكروب وادلهمت عليهم الخطوب مايتجهون إلى الله كحال مُشركي الأمم الماضية وإنما يتجهون إلى عتبات القبور يتجهون إلى شباك القبر يلقون عرائض الشكوى على القبور يأخذون يتبركون و يدعون ويستغيثون وينطرحون ويركعون ويسجدون عند عتبات القبور أعوذ بالله حتى في الضراء قال حتى في الضراء وبعض المشايخ كان في دولة من الدول وقد ركبوا باصا فقدر الله جلّ وعلا على هذا الباص أن انفجر إطاره فكاد الباص يسقط كانوا على جبل فكاد يسقط فيقول كلنا اتجهنا إلى الله جل وعلا يقول أنا وزملائي اتجهنا إلى الله لكن سبحان الله فوجئنا بأنهم بأن كثير من في الباص يا حسين ياحسين ياحسين ياعلي يا حسين ياحسين في الضراء وهم يشركون بالله جل وعلا ولذلك يقول البوصيري يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به للنبي عليه الصلاة والسلام يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم

أعتمد على الله جلّ وعلا أنت في الضراء الآن حلّ عليك حادث عمم جلل أمر خطير ضرورة حتى بعد في الضرورة بعد تشرك بالله جلّ وعلا في الرخاء قد يُشرك الإنسان لكن في الضراء العياذ بالله

الأمر الثاني الذي جعل مشركي زماننا أَضَلّ في الشرك والوثنية وأعمق في الوثنية والشركية من المشركين الأوائل ،أن المشركين الأوائل كانوا يشركون مع الله جل وعلا عِلْيَة القوم من الملائكة والأنبياء والصالحين ولكن أما مشركي زماننا فإنهم يشركون مع الله جلّ وعلا هؤلاء الفسق الدجاجلة مثل ما سمى الشيخ ، تأتينا ترجمة

تاج وشمسان وغيرهم ممن وتراثات بالخرج تاج بالخرج كان يعبد من دون الله بالخرج وكان له أعوان وكان أعمى كفيف البصر وكان يصل للدرعية من غير قائد يقوده تقوده الشياطين كما سيأتينا بترجمته إن شاء الله

هؤلاء الفساق أجل. الحلاج يعبد من دون الله الحلاج الضّال الفاسق الذي لا يسجد لله جل وعلا يعبد من دون الله كان يدخل ويهز الجبه ويقول إنما الجبة فيها هو يعني الله جل وعلا حَلَّ في الجبة وكان يدخل ويبول في المسجد ثم يتبرك هؤلاء الحمير ببوله كرم الله الحمير عن فعل ذلك يعبدون مع الله أناس يشربون الخمر ويأتون الزنا ويلوطون بالغلمان من عندهم من مريديهم وهؤلاء يعبدونهم من دون الله جلّ وعلا إذًا هؤلاء المشركين وقعوا في شرك أعظم مما وقع فيه السابقون الأوائل.

الدرس الثالث من المحاضرة الأولى

➢ القاعدة السادسةعشر: « سلامة المقاصد لا تسوغ الوقوع في المخالفات ».

وذلك أنك لا تجد مشركاً يقع في أمور مخالفة للشرع إلا وهو يبين لك سلامة قصده، لا أحد يقع في الشرك ويقول: نعم أنا أريد الشرك لذات الشرك. لا، وإنما يقول: يا أخي هؤلاء أولياء الله وأنا أريد تعظيم أولياء الله وهذه محبة في قلبي لأولياء الله -يبدأ يبين لك مقاصد حسنة وجيدة وجميلة - ولكن يأتيك السني الموحد ويقول لك: سلامة المقاصد لا تسوغ الوقوع في المخالفات. وهذه انتبهوا لها لأن الشيخ سوف يجيب بها أحد الشبه التي يحتج بها هؤلاء.

ومنها أيضاً: يجب قبول الحق بعد اتِّضَاحِه وعدم المماحلة والمجادلة فيه، يجب قبول الحق بعد اتضاحه وتحرم المماحلة والمجادلة فيه يقول الله جل وعلا: ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُون ﴾ (الانفال 6) وأن من عقوبة رد الحق ألّا ينشرح الصدر لقبوله مرة أخرى يقول الله جل وعلا: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الانعام 110)

إذاً رد الحق أمر خطير، فإذا تبينت لك الحجة واتضحت لك المحجة يا طالب العلم يجب عليك أن تقبل الحق لا تماحل ولا تجادل ولا تقل لو أنه كان كذا فكيف يكون كذا، ولو كان كذا أرأيت... أرأيت؟ كل ذلك من الأمور التي تُكَدِّر صفوَ الحق وتبعد الإنسان عن المشرب الصافي والمنبع العذب الكافي. الشيخ -رحمه الله- نبه على ذلك في ثنايا هذا الكتاب أن هؤلاء حتى وإن كشفنا عنهم الشبهة فَهُم لا يزالون في غيهم يترددون وفي ضلالهم يعمهون، حَرَم الله قلوبهم مِن قبولِ الحق؛ لأنهم ردوه أول مرة، اقْبَلِ الحق ولو كان مر ولو كان عليك يجب عليك أن تقبل الحق ولا ترده. ومنها أيضا؛

➢ القاعدة السابعة عشر: « المتشابه من النقول والأدلة يُرَد إلى المُحكم ».

وهذه القاعدة هي جواب المُجمل الذي ذكره الشيخ على جميع الشُبَه، جميع الشُبه أجاب عنها الشيخ بجوابين جواب مُجمل وجواب مفصَّل ، الجواب المُجمل هو هذا أنه

يقول لك الشيخ: إذا جاءك يا أيُّها الموحد بعضُ المشركين بشيء أنت لا تعرفه ولا تعرف الجواب عنه فقل: إنَّ ما جئتني به أمر مُتشابِه لكن الأدلة المحكمة هي تأمرني بتوحيد الله وعدم الشرك أنت ما جئتني به متشابه، فإذاً طريقة الراسخين في العلم هي رد المتشابهات المحتملات إلى المحكمات الواضحات كما قال الله جل وعلا: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ثم بين الله طريق الراسخين وطريق الزائغين ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ لم ؟ ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ وأيضا ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾

طيب ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ (آل عمران 7) رجعوا مباشرة الى المحكم وتركوا تلك المتشابهات فهناك متشابهات في الادلة قد توجب شبهة أو خللا عندك في الفهم فحينئذ اترك هذا المتشابه لاهل العلم وارجع الى المحكم الظاهر الواضح وهو أن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة دون ما سواه.

ينبثق من هذه قاعدة اخرى ،

➢ **القاعدة الثامنة عشر: « اتباع المتشابه طريق أهل الزيغ واتباع المحكم طريق الراسخين في العلم ».**

اتباع المتشابه وترك المحكم طريق اهل الزيغ وعكسه طريق الراسخين.اتباع المتشابه وترك المحكم طريق اهل الزيغ وعكسه طريق الراسخين في العلم. ومن القواعد المقررة أيضاً ؛

➢ **القاعدة التاسعة عشر: « الدين قول وعمل واعتقاد ».**

وهي آخر قاعدة ختم الشيخ بها كشف الشبهات، الدين قول واعتقاد وعمل ،

يقول الناظم: إيماننا عقد وقول هكذا *** عمل فتلك ركائز الايمان

فالدين مبني على قول اللسان واعتقاد الجنان والعمل بالجوارح والاركان وهذا خلاف مذهب المرجئة.

➢ **القاعدة العشرون: « لا تُجادل مُعانداً ».**

فالمجادلة وإنْ كانت جائزةً عند الضرورة والحاجة الملحة؛ لبيان الحق واتضاحه لكن إذا اتضح لك أنَّ من تجادله إنما يريد العلو والعناد فقط فحينئذٍ يجب عليك لزاماً أن تَكُفَّ عن هذه المجادلة والمماحلة؛ لأن الإنسان لا يجوز له أن يجادل المعاند (هذه من قواعد المناظرة عند أهل العلم لا تجادل معانداً) لاسيَّما إنْ كان من أهل الفصاحة واللَّسَن. إنَّ الله -جل وعلا- بين أنَّ من المخالفين للرسل مَنْ عنده فصاحة ولسان، فربما تدخل معه في بعض المناقشات فَتُهْزَم، فإذاً إذا كان معانداً فلا تجادله. ومن القواعد أيضا

➢ **القاعدة الحادية والعشرون: « الشريعة لا تفرق بين متماثلين ولا تجمع بين مختلفين ».**

الشريعة لا تفرق بين متماثلين ولا تجمع بين مختلفين، وهذه قاعدة طيبة عند أهل العلم رحمهم الله - لأن المشركين يفرقون بين صور الشرك التي يقعون فيها وبين الشرك الذي كان في الأزمنة السابقة؛ فيسوغون لأنفسهم الوقوع في هذه الصور وهي في حقيقتها شرك، فيأتي الشيخ ويقول: إنما تقعون فيه هو بعينه كما وقع فيه المشركون السابقون والشريعة لا تفرق بين متماثلين فحكمكم إذًا هو حكمهم.

➢ **القاعدة الثانية والعشرون:** (وهي قاعدة أصولية) ..

« الحُكم يدور مع علته وجوداً وعدماً ».

فمتى ما تحققت تسوية غير اللهِ بالله في أمر من الأمور فهذا هو الشرك يحكم عليه بالشرك؛ لأن حقيقة الشرك وعلة الحكم بالشرك هي: هذه التسوية بين الخالق والمخلوق فيما هو من خصائص الخالق -جل وعلا-.

هذه جمل من المقدمات المهمة، والتي سوف نحتاج لها كثيراً في ثنايا الشرح والله أعلى وأعلم. نبدأ في قراءة المتن مسألة مسألة ..

✦المتن .. (أعلم رحمك الله .. أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة)

لقد عَرَّف العلماءُ التوحيدَ: بأنه مصدرُ وحّد يُوَحِّد تَوحِيداً، أي: جعلَ الشيءَ واحداً كقولهم: وحَّد الملك عبد العزيز أرجاء المملكة، بمعنى أنَّ حكمها ونفوذها صار تحت سلطانٍ واحد فإذاً التوحيد: هو أن تأتي بأشياء متنافرة وأشياء متفرقة ثم تجمعها تحت سلطان واحد، أو تحت دائرة واحدة فهذه هي حقيقة التوحيد.

وقد ذكر العلماء أنَّ التوحيد مبني على الإثبات والنفي، فلا يمكن أن تُوَحِّد شيئاً بشيء إلا إذا جمعتَ فيه بين النفي والإثبات، فإذا قلتَ مثلاً: زيد شجاع، هذا ليس توحيداً؛ لأنك أثبتَّ الشجاعةَ لزيدٍ ولم تنفها عن غيرِه، وإذا قلتَ: ما زيدٌ بشجاع، هذا ليس بتوحيد؛ لأنك عطلت زيداً عن صفة الشجاعة لكن حقيقة التوحيد هي أن: تجمع بين النفي والإثبات فتقول: ما شجاعٌ إلا زيد، وما في الدار إلا محمد، فهذا هو حقيقة التوحيد فإذاً التوحيد ليس هو الإثبات فقط؛ لأن الإثبات وحده لا يمنع المشاركة، وليس هو النفي فقط؛ لأن النفي وحده تعطيل مَحْض، وإنما حقيقة التوحيد دائرةٌ على النفي والإثبات.

وأما تعريف التوحيد شرعاً فهو قسمان: تعريف عام وتعريف خاص، التعريف العام نقول فيه: هو إفراد الله بحقوقه، ويدخل تحت ذلك توحيد الربوبية؛ لأن الربوبية حق لله، ويدخل تحت ذلك توحيد الألوهية؛ لأن العبادة حق لله، ويدخل تحت ذلك الإيمان بالأسماء والصفات الواردة لله -جل وعلا- في الكتاب والسنة -إذاً كلها حقوق الله، وأما قول الشيخ: اعلم أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، هذا ليس تعريفاً للتوحيد بالمعنى العام وإنما هو تعريف للتوحيد بالمعنى الخاص؛ لأنه جرت عادة العلماء أنهم إذا أطلقوا التوحيد فإنما يقصدون به قِسماً من أقسامه وهو توحيد الألوهية، والمسمى: بتوحيد القصد والطلب والمسمى بتوحيد العبادة. ومن باب التفصيل أقول.

لقد قسّم العلماءُ التوحيدَ إلى ثلاثة أقسام فقالوا:

(توحيد في الربوبية .. و تحيد في الألوهية .. و توحيد في الأسماء والصفات)

النوع الأول من أنواع التوحيد؛ **(توحيد الربوبية)** ..

فهو إفراد الله بأفعاله من الإحياء والإماتة والخلق والرزق والتدبير. وهذا التوحيد قد أقرَّ به المشركون كما قررنا سابقاً فلا نطيل عنده، ولكن يجب علينا أن ننتبه إلى أن هذا التوحيد من الأمور المركوزة بالفطرة والتي لا يمكن أبداً أنْ تُنقضَ مِن فطرة الإنسان، ولا يمكن أن ينكرها الإنسان فإذاً الإقرار بتوحيد الربوبية أمرٌ قد فُطِرَت عليه النفوس والعقول، وهو المراد في قول الله جل وعلا: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الروم 30)

فطرة الله يعني: أنه فَطَرَهم على الإقرار بوحدانيته في ربوبيته، وعلى ذلك قول النبي ﷺ" مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ "8 هذا هو التوحيد الذي فطر الله الخلق عليه ولذلك لا يُعرف عن أحد من أصناف بني آدم أنه أنكر هذا التوحيد باطناً، ما في أحد أنكره باطن أبداً، ولكن عُرف إنكاره في الظاهر عن جُمَل من الطوائف:

الطائفة الأولى: فرعون وقومه، فإن فرعون قال: أنا ربكم الأعلى وقال: ما علمت لكم من إله غيري، فإذاً أنكره فرعون في الظاهر فقط ولكن الله فضحه في الباطن بقوله: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل 14) ويقول الله جل وعلا فاضحاً مقصد فرعون وباطن فرعون فقال الله على لسان موسى أنه قال لفرعون

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ (الإسراء 17)

وقد قال الله جل وعلا عن فرعون ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ (غافر 37)

مع أن موسى لم يخبره بأن ربه في السماء ولكن فطرت فرعون دلته على أن الله في السماء فلم يقل يا هامان احفر لي في الارض حتى أبحث عن الله يا هامان خذ

(8) أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابُ التَّفْسِيرِ.| سُورَةُ : الم غُلِبَتِ الرُّومُ. | بَابٌ : لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (٤٧٧٥) (٦/١١٤)

جنودك واضربوا مشارق الأرض ومغاربها! ولكن قال: يا هامان ابنِ لي صرحاً لعلِّي أبلغُ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى.

إذاً هذا دليل على أنه ما أنكره أحد باطناً لكن جحوداً وعناداً واستكباراً وإباءً للحق أُنْكِرَ في الظاهر فقط.

الطائفة الثانية: طائفة الدهرية، فإنهم أنكروه في الظاهر فقط وهم ينسبون الإحياء والإماتة للدهر، وتقليب الليالي وتصرف الأيام والأعوام، قال الله جل وعلا ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية 24)

الطائفة الثالثة: الشيوعية المعاصرة: الذين ينكرون وجود الله -جل وعلا- ويقولون أنه ليس ثمة خالق لهذه الطبيعة، وإنما الطبيعة هي التي أوجدت نفسها بنفسها، فهؤلاء ينكرون توحيد الربوبية؛ لأنهم ينكرون وجود الله -جل وعلا-، والإيمان بوجوده من مقتضيات ربوبيته.

النوع الثاني من أنواع التوحيد؛ **(توحيد الألوهية)** ..

ويسميه بعض العلماء توحيد القصد والطلب: كشيخ الإسلام وابن القيم، وبعضهم يسميه بتوحيد العبادة -كما ذكره الشيخ هنا وهو إفراد الله بالعبادة- وكلها مسميات وإنِ اختلفت ألفاظها في الظاهر إلا أنها تتفق في مدلول واحد، وهو توحيد الألوهية ومعناه: توحيد الله بأفعالنا من الصلاة والزكاة والحج والتوكل والرغبة، إلى غير ذلك من أمور العبادة. فتوحيد الربوبية: توحيد الله بأفعاله هو، وأما الألوهية: هي توحيد الله بأفعالنا.

النوع الثالث من أنواع التوحيد؛ فهو **(توحيد الأسماء والصفات)** ..

وهو مبني على أن نثبت لله جل وعلا ما أثبته لنفسه في كتابه، أو ما أثبته له رسوله ﷺ في صحيح سنته من غير تحريفٍ ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأن ننفي عنِ الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ في صحيح سنته ونثبت له كمالَ ضد الصفة المنفية، وتفاصيل هذه المسائل ليس مقصود الشيخ في هذه الرسالة (وهو دين الرسل)

وقوله: وهو دين الرسل، تقدم الكلام عليها، ولّا لَا؟ ماذا تقول القاعدة؟: دين الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة.

المتن (وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده)

يعني: أن كل أمة بعث الله إليها رسولاً، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ما مِن أمة من الأمم إلا وبعث الله فيها رسولاً، يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل 36) وهذه من أعظم نعم الله جل وعلا فإن الناس كانوا يعيشون في ظلمة الجهل والشرك والبغي والعدوان والظلم -فنعمة إرسال الرسل وإنزال الكتب هي من أعظم النعم التي يمتن الله جل وعلا بها، وإلا فنحن كنا في ظلمة لولا أن الله جل وعلا قد بعث فينا أنبياء ولذلك امتنَّ الله -جل وعلا- علينا بهذه النعمة العظيمة فقال: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (آل عمران 164)

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى:

" فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ولا ينال رضا الله البته إلا على أيديهم فالطيب من العمال والأقوال والأخلاق ليس ألا هديهم وما جاءوا به فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأعمال والأخلاق وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى والضلال فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن الى روحه والعين إلى نورها والروح الى حياتها فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته الى الرسل فوقها بكثير وما ظنك بمن اذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت الذي اذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال بل اعظم ولكن لا يحس بهذا إلا صاحب القلب الحي السليم وما لجرح بميت إيلام"

فأولهم نوح -عليه السلام- أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين ودٍّ، وسواع، ويغوث، ونسرٍ قال أولهم نوح هنا مسائل

المسألة الأولى :- هل آدم نبي؟

الجواب الجواب: نعم، آدم نبي بالإجماع، وقد بعثه الله جل وعلا إلى بنيه، إذاً كيف نقول أن نوحاً هو أول الرسل؟ نقول: لا انتبه، إن عندنا نبوةٌ ورسالة، فأول الأنبياء آدم -عليه الصلاة والسلام- ولكن أول الرسل هو نوح -عليه الصلاة والسلام-.

إذاً الأولية هنا باعتبارين مختلفين: فالأولية باعتبار النبوة لآدم، والأولية باعتبار الرسالة لنوح.

المسألة الثانية: ما الدليل على أن نوح هو أول الرسل؟

الدليل على ذلك قول الله جل وعلا ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ ﴾ (النساء 163)

فدل ذلك على أن نوح هو أول من أوحى الله إليه وحي رسالة ، ومن الأدلة حديث الشفاعة الطويل قال : فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ"[9] فاذًا نوح هو الأول باعتبار الرسالة وادم هو الأول باعتبار النبوة فادم نبي مكلم كما أثبته النبي صلى الله عليه وسلم.

مسألة ثالثة: ما الفرق بين النبي والرسول؟

فيه خلاف بين العلماء، والأصح -إن شاء الله- أن النبي: هو من بُعِث إلى قوم موافقين، وأما الرسول: فهو من بُعِث إلى قوم مخالفين. فآدم لمَّا كانت بعثته إلى بنيه وهم موافقون له في التوحيد -لم يحدث الشرك بعد- صار نبياً؛ لأنه بُعِث إلى قوم موافقين، وأما نوح؛ فلأنه بُعث إلى قوم مخالفين له في العقيدة -فَهُم مشركون- صار أول الرسل، فإذاً النبي: هو من بعث إلى قوم موافقين، والرسول: هو من بعث إلى قوم مخالفين.

نقول أيضا مسألة هنا وهي : ما العلاقة بين النبوة والرسالة؟

العلاقة بينهما أن تقول: كل رسول نبي ولا عكس؛ فإن النبوة مرتبة تسبق الرسالة، فربما يقف الإنسانُ عندها فيكون نبياً وليس برسول:

---

(9) أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ : الْإِيمَانُ | بَابٌ : أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٩٤) (١٢٧/١)

كأنبياء بني إسرائيل من بعد موسى وقبل عيسى، وقد يترقى من النبوة إلى الرسالة: كحال نوح وغيره من الرسل.

مسألة: ما حكم من فضل مرتبة الولاية على مرتبة النبوة والرسالة كما يفعله أتباع ابن عربي صاحب الفصوص الطائي؟ هؤلاء يفضلون الأولياء والصالحين على الأنبياء والمرسلين، نقول: هؤلاء كفار بإجماع العلماء ،من فضل مرتبة الولاية على مرتبة النبوة والرسالة فانه كافر مرتد بإجماع العلماء

قال الشيخ رحمه الله أرسله (أي نوح) الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويغوثَ ويعوقَ ونسراً وقد تقرر أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على التوحيد كما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، وأنه أول ما وقع الشرك إنما هو في قوم نوح، وكان سبب ذلك: هو الغلو في الأولياء والصالحين، وقوله: وداً وسواعاً ويغوثَ ويعوقَ ونسراً، هذه أسماء رجال صالحين كانوا يعبدون الله في زمن واحد في قوم نوح، فتعاقب موتهم في شهر فجزع الناس عليهم، فاستغل الشيطانُ محبةَ الناس للأولياء والصالحين فقال لهم: انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يعبدون الله -جل وعلا- فيها أنصاباً وسَمُّوها بأسمائهم، قال: ففعلوا فلم تُعبد حتى مات علماؤهم ونُسِيَ العلم، قال: فعُبِدت من دون الله ،إذاً صار أول وقوع الشرك في بني آدم إنما سببه: الغلوُ في الصالحين والتصويرُ: هذا هو السبب الأعظم الذي اوقع الناس في الشرك.

ولذلك **يقول الناظم:**

لا تغلون هُدِيتَ في قبر ولا * رجل فتلك مصائد الشيطـــان**
إن الغلو بلية قد أهلكت * أُمما مضوا في غابر الأزمـــان.**

وقد عرَّف العلماءُ الغُلُوَ بأنه: مجاوزة الحد المشروع إما مجاوزة زيادة وإما مجاوزة نقصان، وأنَّ الحق بينهما هو طريق الوسط، فالحق والعدل هو الوسط، فمتى ما تجاوز الإنسان الوسطية فزاد أو نقص أفرط أو فَرَّط فقد وقع في الغلو.

فالغلو له صورتان: إما أن يقع على صورة الإفراط والزيادة وإما أن يقع على صورة النقص والتقصير. وقد حذرنا الله جل وعلا من الغلوِ في آيات كثيرة فقال الله جل وعلا ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ (النساء 171)

وأنه اخبرنا انه ما وقع أهل الكتاب فيما وقعوا فيه من الشرك إلا بسبب الغلو فيقول النبي ﷺ "أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ"[10] ، فهذه بلية عظيمة وهي: الغلو، فَمَا عُطِّلت أسماءُ اللهِ إلا بسببِ الغلوّ الملعونِ، وما قُدِحَ في ذاتِ الله وأُنْكِرَ وجودُه إلا بسببِ الغلو، وما وقَعَ الشرك في بني آدمَ إلا بسببِ الغلوّ، وما عُبِدَتِ القبورُ وَطِيفَ بِهَا وَذُبِحَ لها وَنُذِرَ لها مِنْ دُونِ اللهِ إلا بسببِ الغلوّ، وَمَا عُطِّلَ القدرُ ومَا سُبَّ الصحابةُ إلا بسببِ الغلو.

إذاً الغلو هو السبب وراء كل مصيبة وبلية فالغلو سبب عظيم من أسباب ضلال الأمم والطوائف لا ينبغي إهماله فجميع المخالفات العقدية من أسبابها العظيمة التي لا ينبغي التغافل عنها الغلو ولذلك سد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب فكان اذا جاءه أحد وزاد في الكيل شوي قال: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"[11] ولما جاء رجل وقال لنبي ﷺ يَا مُحَمَّدُ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا. فَقَالَ: " قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِكُمُ الشَّيْطَانُ"[12] ولمَّا جاءَهُ رجل وقال: ما شاء الله وشئت قال "جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ "[13] فإذا سلمت الأمة من هذه البلية – الغلو – فإنها تسلم إن شاء الله من الشرك ، فإذًاجميع المخالفات الشركية من أسبابها العظيمة الغلو في الأولياء والصالحين ؛ ولذا يقول النبي ﷺ:"إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"[14]

---

(10) أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ : الْمَسَاجِدُ وَمَوَاضِعُ الصَّلَاةِ | بَابٌ : النَّهْيُ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ (٥٣٢) (٦٧/٢)
(11) أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابٌ : أَحَادِيثُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. | بَابُ قَوْلِ اللَّهِ : وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ. (٣٤٤٥) (١٦٧/٤)
(12) أخرجه أحمد في مسنده |مُسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(١٣٥٩٦) (٢١٦/٢١)
(13) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٠٠٥) (٢٤٤/١٢) وصححه الألباني
(14) أخرجه ابن ماجه في سننه | كِتَابُ الْمَنَاسِكِ | بَابٌ : قَدْرِ حَصَى الرَّمْيِ (٣٠٢٩) (٤٨٦/٤)

الدرس الرابع من المحاضرة الأولى

✦ **المتن: وآخر الرسل محمد ﷺ.**

وقد وردت نصوص الكتاب والسنة بذلك قاطعةً بأنَّ آخر الأنبياء والرسل هو رسول الله ﷺ وهذا بإجماع العلماء، والذي يخالف في ذلك ويعتقد النبوة في غيره ممن هو من أمته -فإنه كافر بإجماع العلماء يقول الله جل وعلا: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب 40)،ويقول ﷺ : "وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ" (15) وفي رواية في الحديث الآخر: "وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي" (16)

مسألة: هل النبوة ستُدَّعى بعده ﷺ ، وما الدليل على ذلك؟

الجواب: نعم، قال النبي ﷺ: "وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي" (17)

مسألة: لو أنك تصفحت الواقع وجدت أن من يدعي النبوة يفوقون الخمسين والزيادة بل ربما يفوقون المئة، فكيف يكون النبي ﷺ حددهم بثلاثين؟

الجواب عن هذه الشبهة والإشكال: إن هؤلاء الثلاثين من تحصُل بهم البلية ويكثر أَتْبَاعُهُم، وأما من يدعي النبوة فَتُوأَدُ دعوته في وقته ويموت في وقته أو يتوب في وقته، فإن هذا ليس محسوباً عليهم لكن الذي يدعي النبوة ويَعْظم أتباعه وتعظم الفتنة به هو من عَدَّهُ النبيﷺ من هؤلاء، فإن قلتَ: اضرب لي أمثلة، أقول: مثل: سجاح في اليمن، والأسود العنسي في اليمن زوجها -لا بارك الله في الزوج والزوجة-، وكذلك مسيلمة الكذاب في اليمامة، وكذلك المختار بن عبيدة الثقفي، وكذلك غلام (ميرزا القادياني) هذا الذي يدعي النبوة وهلك -ولله الحمد والمنة- ومات شرّ ميتة، وهو الذي قتل نفسه ترى! غلام (ميرزا) هو الذي قتل نفسه بدعائه الخبيث، لما جاءه رجل من علماء الهند من ديوبند -من علماء ديوبند- وناظره مناظرة عظيمة جداً فأقر له كذبه في الرسالة وإنك كذاب، فقال: كيف تدعي أنني كذاب؟ أترضى أن أباهلك؟ يقولها القادياني ذا، قال: نعم، رضيتُ. فرفع القادياني يده أمام الناس قائلاً: اللهم إن كنتُ لستُ رسولك وإن كنتُ كذاباً فأهلكني واقتلني شر قِتلة، فما بقي بعد دعائه شهراً إلا مات في مزبلة من مزابل الهند؛

15 - أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ : الْمَسَاجِدُ وَمَوَاضِعُ الصَّلَاةِ (٥٢٣)(٦٤/٢)
16 - أخرجه أبو داود في سننه | أَوَّلُ كِتَابِ الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ | بَابٌ : ذِكْرُ الْفِتَنِ وَدَلَائِلِهَا (٤٢٥٢)(٢٩٠/٤)
17 - أخرجه أبو داود في سننه |أَوَّلُ كِتَابِ الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ |بَابٌ :ذِكْرُ الْفِتَنِ وَدَلَائِلِهَا)٤٢٥٢((٢٩٠/٤)

لأنه جاءه جدري وبدأت القروح تنتثر من جسده ويخرج منها القيح والروائح الكريهة، فأُلْقِيَ في مزبلة حتى مات، وبقي بعده ذلك العالم الديوبندي أربعين سنة يُدرِّس التوحيد؛ لأنه أيضاً دعا على نفسه، قال: وإنْ كنتُ أنا كاذباً فأهلكني واقتلني شر قتلة، فقتل الله هذا وأحيا هذا.

وأما من يدعي النبوة فَهُم كُثُر لكن من تَحصُل بهم البَلِيَّة هؤلاء قلة وهم ثلاثون كما أخبر النبيﷺ.

✦ **المتن: وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين.**

نعم، النبي ﷺ هو الذي كَسَرَ صور هؤلاء الصالحين -صورة ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر- يقول ابنُ عباس رضي الله عنهما: "أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ" (18) ، وقد كسرها النبي ﷺ منها ما كُسِر بيده، ومنها ما كسر بأمره ﷺ، وذلك في فتح مكة لَمَّا فتحَ مكة -وقد كان حول مكة أكثر من ثلاث مئة وستين صنماً- فبدأ النبي ﷺ يدفعها بيده، ويطعنها بعصاة معه فتهوي على وجوهها، وهو يقرأ قول الله جل وعلا: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: 81) ،

وهذا يفيدنا فائدة عظيمة: أنه يجب على ولاة الأمر أن يكسروا الأوثان، وأن يهدموا القبابَ الشركية التي تُعْبَد من دون الله -جل وعلا-، وأنه يجب عليهم وجوبَ عين أن يزيلوا تلك المظاهر الوثنية الجاهلية، وألا يسمحوا في بلادهم ولا في منطقة نفوذهم بأن يبقى شيء من ذلك من دعوى السياحة أو من دعوى النزهة أو الفرجة، هذا كله لا يجوز، المناظر الشركية والمعالم الوثنية يجب إزالتها، والقبور المعظمة التي أُعلي بنيانها يجب هدمها وتسويتها بالأرض؛ حتى يُقطع دابر الشرك، وحتى تُحيا هذه السنة العظيمة فالنبي عليه الصلاة والسلام ما رَضِيَ بِبقاء هذه الأوثان؛

18 - أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابُ التَّفْسِيرِ. | سُورَةُ : إِنَّا أَرْسَلْنَا. | بَابٌ : وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ(٤٩٢٠)(١٦٠/٦)

لأن بقاء مثل هذه المعالم الشركية سبيل يفضي إلى الوقوع في عبادتها يوماً من الدهر، وهذا من جملة الأشياء التي أُنكرت على الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- فإنه هَدم القبة التي على قبر زيد بن الخطاب، وقطع النخلة التي تُسمى فحل الفحول فإنها كانت هناك نخلة اسمها فحل الفحول، إذا تأخر زواج المرأة أو إنجابها جاءت وتطوف بها، فقالت: يا فحل الفحول ارزقني زوجاً قبل حلول الحول، يدعونها من دون الله، فقطعها وأمر بقطعها وأزال كثيراً من المعالم الشركية والوثنية فهبت الدنيا للإنكار عليه، وما أشبه الليلة بالبارحة: الآن كثير من العلماء يُفتي بهدم كثير من التماثيل التي وُجِدت في الجبال أو المغارات أو الكهوف ثم يَبرُز لنا أناسٌ ينتسبون للعلم ويقولون: لِمَ تهدمونها، هذه معالم سياحية وموروثات قومية وهذه ممتلكات وطنية وهذه وهذه، فنقول: الشرك شرك، وإن سميته بما سميته، والوثنية وثنية، فإذاً لابد من سد الشرك وإغلاق جميع الأبواب التي تفضي إليه، ومن أعظمها: أن تُهدم تلك القباب وأن تُكَسَّر تلك الأوثان ولا نرضى ببقاء شيء منها فالنبي (عليه الصلاة والسلام) كسر صور هؤلاء الصالحين ولم يرض ببقائهم، فهذه سنة يجب علينا أن ننتبه لها.

✦ المتن قوله: وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين.

بَيَّنَ إمام الدعوة النجدية -رحمه الله- أن النبيﷺ قد بُعث إلى قوم هذه صفتهم، فكفار قريش عندهم عبادات، ولكن المشكلة أنهم ما يعبدون الله جل وعلا ولا يوحدونه بالعبادة، ما الدليل على أنهم كانوا يتعبدون؟ الدليل على ذلك حديث حكيم بن حزام -رضي الله عنه- أنه سأل النبي ﷺ قال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صِلَةٍ وَعَتَاقَةٍ وَصَدَقَةٍ، هَلْ لِي فِيهَا مِنْ أَجْرٍ؟" (19) ،إذاً كانوا يتصدقون وكان عندهم عبادات.

ويقول عمر للنبي ﷺ: "كُنْتُ نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ"(20)

وكانوا يطوفون أيضاً، ولكن كانوا يطوفون عُراةً وعلى ذلك نزل قول الله جل وعلا: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (الأعراف 31) ، فكانت النساء يَطُفْنَ عراةً في الليل، والرجال يطوفون عراة في النهار، وكانوا يحجون أيضاً ولكن كانوا لا يقفون بعرفة؛ لأنهم الحُمُس،

19 - أخرجه البخاري في صحيحه |كِتَابٌ الْأَدَبُ بَابُ مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ فِي الشِّرْكِ ثُمَّ أَسْلَمَ)٥٩٩٢ (٦/٨)
20 - أخرجه البخاري في صحيحه | أَبْوابٌ : الاعْتِكَافُ | بَابُ الِاعْتِكَافِ لَيْلًا. (٢٠٣٢) (٤٨/٣)

لا يتجاوزون الحرم لا يتجاوزون حدود مزدلفة، وكانوا يلبون يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. إذاً عندهم عبادات ولا ما عندهم عبادات؟ كان عندهم عبادات، كانوا يصومون ويتصدقون ويحجون ويطوفون بالبيت لكن المشكلة عندهم ما هي؟ المشكلة عندهم: أنهم يعبدون مع الله غيرَه، ولذلك بين الشيخ الخلل الذي جعل الله ما يقبل منهم أي شيء من هذه العبادات، وهو وقوعهم في هذا الناقض.

وقد قلت لكم سابقاً أن: من وقع في ناقضٍ من نواقض التوحيد ما ينفعُهُ شيءٌ من هذه العبادات أبداً، فإذاً لا حجة لهؤلاء أنهم يتعبدون وعندهم أعمال أخرى، ما داموا واقعين في الشرك وواقعين في الوثنية هذا ما ينفعهم أبداً عند الله -جل وعلا- ولذلك بين سبب شركهم بقوله:

✦ المتن قوله: ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله.

هذه هي، إذاً هو ما بُعثَ لتقرير الحج والصلاة فقط، لا، أَوَّلُ مقاصدِ بعثتِه هي: الدعوة إلى التوحيد، فإذاً بَيَّنَ إمامُ الدعوة هنا أن سبب تكفيرِ الله جل وعلا لهؤلاء -مع أنهم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله جل وعلا- أنهم: يتخذون المخلوقاتِ وسائطَ بينهم وبين الله جل وعلا.

✦ المتن قوله: يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس وغيرهم من الصالحين.

وهذا هو أصل شرك المشركين: أن جميع من عُبد من دون الله إنما عُبد يُرجى منه ماذا؟ أن يُجعل زُلفى يُتزلف بها إلى الله وقربى يُتقرب بها إلى الله.

وقد أجمع العلماء على أن من جعل بينه وبين الله وسائط في الدعاء والاستغاثة والعبادة أنه مشرك، وقد حكى هذا الإجماع جمع من أهل العلم.

قال شيخ الإسلام " فمن جعل الملائكةَ والأنبياءَ وسائطَ يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل: أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات - فهو كافر بإجماع المسلمين "[21] حتى وإن صام وصلى وحج واعتمر وطاف وسعى وتصدق، ماله دخل في هذهِ ما دامَ عنده هذا الناقض، وهو اتخاذ الوسائط فيما بينه وبين الله.

21- مجموع الفتاوى (١/١٢٤)

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله معلقاً على هذا الإجماع قال: وهو إجماع صحيح معلوم من الدين بالضرورة، وقد نص عليه أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم في حكم المرتد على أن: مَنْ أشرك بالله فهو كافر، أي: مَن عبد مع الله غيرَه بأي نوعٍ من أنواع العبادات) فإذاً البلية التي وقَعَ فيها المشركون والتي من أَجْلِها بَعَث الله فيهم نبيَّه ﷺ ليست قضية الحج والصوم والعبادة، وإنما قضية اتخاذ الوسائط بينهم وبين الله. (22)

✦المتن قوله: (فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم -عليه السلام)

فإذا قِيلَ لك: (ما السبب في بعثة النبي ﷺ) فَقُلْ: بعثَ اللهُ نبيَّه؛ لتجديد الوحدانية الحنيفية السمحة: التي جاء بها إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، يقول الله جل وعلا: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة 2)

قوله: يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم

هذه العبارة دقيقة جداً! وهي قوله: يُجَدِّد لهم دين أبيهم إبراهيم فإذاً هم -يعني: كفار قريش- يَدَّعون أنَّ تلك العبادات التي هم عليها أنَّها هي دين إبراهيم، فَهُمْ يحجون ويقولون حجنا هذا موافق لما أمر به إبراهيم، ويتصدقون ويفعلون كثيراً من العبادات ويزعمون أنها هي دين أبيهم إبراهيم، ولكنهم كاذبون دجالون مخطئون ضالون جاهلون -بحقيقة دين إبراهيم فاقتضَتْ حكمةُ الله -جل وعلا- أن يُرسِل لهم هذا الرسول؛ حتى يُبينَ لهم حقيقة دين إبراهيم؛ لأن دين إبراهيم ليس اليهودية ولا النصرانية ولا الشرك، وإنما هي: الحنيفية والإسلام والتوحيد، يقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ (النحل 120)، والحنيف: هو المائل عن الشرك. ويقول الله جل وعلا: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران 67)، فإذاً الحنيفية التي هي دين إبراهيم والتي بُعث محمد ﷺ؛ لتجديدها هي: التوحيد الخالص لله جل وعلا.

22- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (188)

مسألة: هل دينُ إبراهيم خَفِيَ كلُّه قبل بعثة نبينا محمد ﷺ أم بقيت منه بقايا؟

الجواب : لا، مَا خَفِيَ كله، بلْ بقيت منه بقايا فكان بعض الناس من قريش يتعبدون الله -جل وعلا- على دين إبراهيم: كالنبي ﷺ، النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو من قريش، وُلِد في مكة وعاش في قريش، كان يَعبد الله على دين إبراهيم، ومنهم كذلك: أبو بكر فَمِنْ صفاته أنه مَا سجدَ لِصنمٍ، ولا شَرِبَ الخمر أبداً، فقد كان يَعبد الله على دين إبراهيم، وغيرِهم كثير ولكن خَفِيَ أكثرُه وبُدِّلَ وَحُرِّف أكثره.

مسألة: مَنْ أول من بدل دين إبراهيم؟

الجواب: هو رجلٌ يُقالُ له: عَمْرُو بنُ لُحَيّ، وهو الذي رآه النبي ﷺ يَجُرُّ قَصَبَهُ في النار - يعني: أمعاءَه في النار-، وهو أول من سَيَّبَ السَّوَائِب، وَأوَّل مَنْ جَاءَ بِهذه الأصنام مِنْ أرض حرَّان؛ لأنه سافرَ إلى الشام فوجدهم يعبدون الأصنام، فأعجبَهُ طريقتهم فجاءَ بالأصنام ووزعها على قبائلِ العرب، فَكُلُّ قبيلة اختصت بصَنَمِها فلذلك لَمَّا كانَ يَجُرُّ الأصنام رآه النبي ﷺ يَجُّر قَصَبَه في النار.

فَإذاً قوله: (يُجددُ لهم دِينَ أبيهم)، وَلَم يَقُلْ: يُجدد لهم دين نوح؛ لأنهم ما يزعمون أنهم على دين نوح، وإنما هم يزعمون أنَّ مَا هُم عليهِ مِنَ الشرك والوثنية إنما هي حقيقةُ دين إبراهيم، وهذا باطلٌ كل البطلان.

✦المتن قوله: ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق لله لا يصلحُ منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما.

نعم، قلنا: إنَّ العبادةَ حقٌ صِرْفٌ محضٌ للهِ، لا تُصرف لا لمَلَكٍ مقرب، ولا لنبيٍّ مُرسَل، ولا لوليٍّ صالح.

✦المتن قوله: وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

وهذا كله توحيد ربوبية، وقد قلت لكم في القاعدة: أنَّ الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي للحكم بالدخول في الإسلام، إذاً ما بُعِث النبي ﷺ لكفار قريش يأمرهم بأن

يؤمنوا بأنَّ الله هو الخالق الرازق؛ لأنهم مؤمنون بذلك فطرةً، وإنما بُعث لِيقررَّ لهم توحيد الألوهية، وهذا كله واضح وقد أثبتَهُ الله جل وعلا في القرآن في آيات سُقْتُهَا في أول القواعد.

✦المتن قوله: فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشهدون بهذا، فاقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (يونس 31) وقوله ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ - سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ - قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ - سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ - قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ - سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون 84 – 89) وغير ذلك من الآيات.

إذاً هذه الآيات يسوقها الشيخ لِيُبَيِّنَ أن الذين بُعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، فنستنبط من هذا فائدة وهي التي سيذكرها الشيخ: أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي للحكم بالدخول في الإسلام. وقد شرحتها سابقاً.

خذوا قاعدة مهمة جداً وهي: أن منهجَ القرآن الاستدلالُ بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية هذه قاعدة طيبة جداً، القرآن من جملة البراهين العظيمة التي تُثبت توحيد الله جل وعلا في الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

هنا نقل نقلته لكم للشيخ الشنقيطي رحمه الله قال: ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وحدانيته في عبادته؛ ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لِأَنْ يُعبَد وحده، وَوَبَّخهم مُنْكِراً عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده؛ لأنَّ من اعترف بأنه هو الرب وحده لَزِمَهُ الاعتراف بأنه المستحق وحده للعبادة دونما سواه.) كلام واضح ما يحتاج. (23)

---

23 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٩٠/٣)

✦المتن قوله: فإذا تحققت أنهم مُقِرُّون بهذا. أي تحققت أنهم مقرون بتوحيد الربوبية.

✦المتن قوله: ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

أي توحيد؟ في توحيد الألوهية، إذاً نستخلص من هذا قاعدة وهي: أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، طيبة قاعدة مفيدة، فإن العلم يُنسى إن لم يُقيَّد، أن: توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، يعني: من أقر بتوحيد الألوهية كفى، فلا نستفصل منه هل أقر بتوحيد الربوبية أو لا؟ وتوحيد الربوبية يستلزم توحيدَ الألوهية، بمعنى: أنه لزاماً على من أقر بأن الله هو الخالق الرازق وحده دون ما سواه إذاً لزاما عليه أن يُقرَّ بأنه المعبود وحده دون ما سواه، وإلا لوقع في التناقض. يعني: الله هو الخالق وحده دون ما سواه، الله هو الرازق وحده دون ما سواه، والله هو المحيي والمميت دون ما سواه، الله هو النافع الضار دون ما سواه، وأعبد شجراً. شف الغباء! أو بقرة أو حجراً أو كهفاً أو فرجاً أو ماءً أو حماراً فهذا تناقض! ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾(يوسف 106) انتَبِهوا لهذه القاعدة -طيبة جداً- وهي: توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

✦المتن قوله: وعرفت أن التوحيد الذي جحدوا هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا (الأعتقاد) .

هذه التسمية، وهي تسمية توحيد العبادة بـ (الاعتقاد) اشتُهِرَت في زمن الشيخ رحمه الله تعالى .

✦المتن قوله: كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلا صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى. وعرفت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال الله تعالى:
﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن 18)

انتبه، يعني: أن المشركين في الزمن السابق لم يعبدوا الشجر والحجر فقط، بل ثبت أنهم عَبَدوا عِلْيَةَ الخلق وهم: الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين لكن عندنا قاعدة تقررت سابقاً وهي: أن المخلوق وإن علت رتبته فإنه لا يستحق شيئاً من العبادة.
فإن قيل: **ما الدليل على أنهم عبدوا الملائكة والأنبياء والشمس والقمر ؟**

الجواب: الدليل على ذلك سيذكره الشيخ، لكن هنا قاعدة خُذُوها مني وهي: أن اختلاف أجناس المعبودات من دون الله -جل وعلا- لا يختلف به الحكم، وأنه شرك أكبر. فليس حجةً على الله أنك عَبَدتَ أفضل الخلق عنده وهم الملائكة، لا لا، اختلاف الأجناس. جعلك تعبد ملائكة أو شجراً أو حجراً، الشرك هو الشرك بغض النظر عن الجنس الذي عَبَدته من دون الله، فاختلاف أجناس المعبودات من دون الله لا يختلف بها الحكم، المشركون في زماننا يتهمون المشركين الأوائل بأنهم: إنما عبدوا الشجر والحجر، فأراد الشيخ بهذا الكلام أن يدحض هذه الشبهة فيقول: كذابين بل واللهِ، إنهم عبدوا الملائكة أحسنَ منكم، وعَبَدوا الأنبياء والأولياء والصالحين والشمس والقمر وغيرها من المخلوقات العظيمة ولكن مع ذلك قاتلهم النبي ﷺ ، يعني ما شَفَعَ لهم أنهم عبدوا الملائكة: تُقاتلني وأنا أَعبدُ ملكاً؟! نقول: إي؛ لأنك واقع في الشرك. ومع ذلك قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم واستحل ديارهم، واستَرَقَّهُم واستَعْبَدَهم.

✦المتن قوله: وعرفت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال الله تعالى: ﴿ **فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ (الجن 18) وقال: ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ** ﴾ (الرعد 14) **وتحققت أن رسول الله - ﷺ - قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله.**

ذكرنا قاعدة وهي: أن العبادة حقٌ صِرْفٌ مَحْضٌ لله -جل وعلا- لا تُصرفُ لا لملك مقرب ولا لنبي مرسَل. طالِبُ هذه المسائل والجزئيات لا يقرؤها جُزَافاً، لا وإنما يَقْرِنُها بتلكَ القواعد التي قررتها له في البداية، فلا يكون كلام الشيخ هائماً عائماً، العبادة حقٌ صِرْفٌ مَحْضٌ لله -جل وعلا- لا تُصرف لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي صالح.

✦ المتن قوله: وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام.

هذه القاعدة ذكرناها وهي: أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي للحُكمِ في الدخول في الإسلام. لماذا؟ لأنه ليس التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، ولأنه توحيد مقررٌ بالفطرة لا يحتاج إلى تقرير.

✦ المتن قوله: وأن قصدهم الملائكة، والأنبياء والأولياء، يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك.

يعني أن: جميع المشركين إنما يتخذون معبوداتهم للتقرب والشفاعة.

✦ المتن قوله: هو الذي أحل دماءهم وأموالهم.

هو الذي أحل دماؤهم وأموالهم؛ لأنهم وقعوا في ماذا؟ في الشرك. فإن قيل: هم أشركوا بالملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين، أَلَا يَشْفَعُ ذلك لهم؟ الجواب: لا؛ لأن اختلاف أجناسِ المعبودات من دون الله لا يُغَيِّر حكم الشرك. فَمَنْ عبد الملائكة فقد حل دمه وماله، ومَنْ عَبَدَ الأنبياء من دون الله أوِ الأولياء والصالحين فقد حَلَّ دمه وماله.

✦المتن قوله: عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون.

ما التوحيد الذي دعت إليه الرسل؟ وما التوحيد الذي أَبَاهُ المشركون؟ الجواب: التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأباه المشركون هو: توحيد الألوهية.

وما الدليل على أن المشركين أَبَوْهُ؟ الجواب: قول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ (الصافات 35، 36) إذاً أَبَوْهُ واستكبروا ولم ينقادوا لهذا التوحيد، وكذلك قول الله جل وعلا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ صـ 5 ؛ إذاً كانوا يعرفون التوحيد المطلوب الأعظم ولكن أَبَوْا أن ينقادوا وأن ينصاعوا وأن يستسلموا لله -جل وعلا- في هذا التوحيد.

✦المتن قوله: وهذا التوحيد هو معنى قولك: (لا إله إلا الله)

نعم، هذا هو التوحيد، توحيد الألوهية، هو معنى قولك (لا إله إلا الله)، بمعنى: أنه لا معبود حقٌ في هذا الوجود إلا الله -جل وعلا-.

✦المتن قوله: فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور.

الإله في اللغة: هو المقصود. فكلُّ مَن قَصَدَه قلبُك في شيءٍ من العبادات؛ فَقَدِ اتَّخَذْتَهُ إلاهاً، حتى وإن سميته ما سميته. فإذا قيل لك: ما معنى التَّأَلُّه؟ تقول: هو التعبد، والتعبدُ مبنيٌّ على القصدِ فكل من قصَده قلبك بالدعاء والخشوع والتضرع والركوع والسجود فَقَدِ اتخذته إلاهاً من دون الله -جل وعلا-، فإذاً (لا إله) بمعنى: أن قلوبنا لا تتجه ولا تقصد إلا من؟ إلا الله جل وعلا، فقوله:(لا إله) هذا هو الركن الأول من أركان كلمة التوحيد، والركن الثاني متمثل في قوله: (إلا الله)، فهذه الكلمة مبنية على ركنين لا يصح التوحيد إلا بهما -كما ذكرته في أول الشرح- وهي: أن حقيقة التوحيد مبني على الإثبات المقرون بالنفي. إذاً الأنبياء كلهم مبعوثون بتقرير توحيد الألوهية، يعني: مبعوثون بكلمة (لا إله إلا الله).

وأما شروط لا إله إلا الله .. قد تقرر عند العلماء أن شروطها ثمانية نأخذها واحدةً واحدةً:

- **الشرط الأول:** العلم المنافي للجهل، والدليل قول الله جل وعلا: ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (الزخرف 86)، وقول النبي ﷺ:"مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ" (24) فلا يتم الانتفاع بهذه الكلمة إلا إذا كان الإنسان عارفاً لمعانها.

- **الشرط الثاني:** الإخلاص، وضده الشرك، قال الله جل وعلا: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (البينة 5)، وقال ﷺ:"أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ"(25) ، وهذا مُجْمَع عليه بين العلماء، فمن قالها ووقع في شيء من الشرك فإنها لا تنفعه يوم القيامة.

- **الشرط الثالث:** اليقين، وضده الشك، ومعناه: أنْ يقولها الإنسان وقد تيقن صحةَ مدلولِها قلبُه، وقد رسخ مدلولُها في قلبه أعظم من رسوخ الجبال الرواسي، ليس فيه اضطراب ولا شك في مدلولها، يقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ (الحجرات 15) يعني: لم يَشُكُّوا،

---

24 - أخرجه أحمد في مسنده |مُسْنَدُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (٤٦٤)(٥٠٩/١)

25 - أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابٌ : الْعِلْمُ | بَابُ الْحِرْصِ عَلَى الْحَدِيثِ. (٩٩)(٣١/١)

ويقول ﷺ: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ" (26)، وقال النبي ﷺ لأبي هريرة: "فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ"(27) ، هذا اليقين وهو من أعظم الشروط.

الشرط الرابع: الصدق، وضد الصدق الكذب ولذلك لم يدخل المنافقون بشهادتهم أن لا إله إلا الله في الإسلام؛ لأن قلوبهم ما انطوت على هذه الشهادة قال الله جل وعلا: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (المنافقون 1)

وقد شرط الله -جل وعلا- للحكم بالإسلام أمرين: المجيء بالصدق، والتصديق به، قال الله جل وعلا: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر 33)

فلم يكتفِ الله بالمجيء بالصدق فقط، قالوا: جاء بلا إله إلا الله مصدقاً بها قلبه -كما هو قول بعض المفسرين-، ويقول النبي ﷺ: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ" (28) كما في الصحيحين من حديث أنس في إرداف النبي ﷺ لمعاذ .

الشرط الخامس: المحبة، ومعناها: محبة هذه الكلمة ومحبة الله ومحبة رسوله، ومحبة ما يُحِبُّهُ الله -جل وعلا- ورسوله. فمن قالها وهو مبغض لله أو مبغضاً لرسوله أو مبغضاً لشيء مما جاءت بها الرسل والأنبياء فإنه ما تنفعه هذه الكلمة، يقول الله جل وعلا: (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (البقرة: 165) ، ويقول النبي ﷺ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا" (29)،وغير ذلك.

الشرط السادس: القبول، والقبول: هو عمل القلب.

---

26 - أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ : الْإِيمَانُ | بَابٌ :مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ (٢٧)(٤١/١)
27 - أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ : الْإِيمَانُ | بَابٌ : مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ (٣٢)(٤٤/١)
28 - أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابٌ : الْعِلْمُ | بَابٌ : مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ. (١٢٨)(٣٧/١)
29 - أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابٌ : الْإِيمَانُ | بَابٌ : مَنْ كَرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ. (٢١)(١٣/١)

الشرط السابع: - ومن شروطها كذلك: - الانقياد، وهو عمل الجوارح، ولا يُكتفى بأحدهما عن الآخر. لا بُدَّ من أن يكون قلبك قابلاً لهذه الكلمة، وضد القبولِ الإباءُ والردّ، والانقياد ضده عدم العمل، فإذاً لا بُدَّ أن يكون القلب قابلاً والجوارح مذعنةً مستسلمةً لله -جل وعلا- ولذلك يقول الله جل وعلا:

﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (لقمان 22) ، ومن الأدلة: قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الصافات 35) يَرُدُّون، ما يقبلون: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ (الصافات 36) ،

ولذلك أبو طالب مات على الكفر؛ لأنه لم يقبل بهذه الكلمة مع أنه عالم بمعناها وعارف بأن دين النبي ﷺ هو الدين الحق ؛ حيث قال:

ولقد عَلِمتُ بِأَنَّ دينَ محمدٍ * مِنْ خَيْرِ أَديانِ البَرِيَّةِ ديناً**

لكنَّهُ أَبَى أَن يَقبلَ هذه الكلمة، أبى أنْ يقول: لا إله إلا الله، ولذلك مات على الشرك، فهو من أهل النار وهو من أخف أهل النار عذاباً.

الشرط الثامن: الكفر بالطاغوت، قال الله جل وعلا: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (البقرة 256) ، أي: لا إله إلا الله، ويقول النبي ﷺ في حديث طارق بن أَشْيَم الأشجعي: "مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ" (30)

ويقول الناظم رحمه الله :

وشروطها سبع إليك بيناها	* * *	العلم والإخلاص للرحمن
وكذا المحبة واليقيــن قبولها	* * *	والصدق والتسليم يا إخواني
ويزاد كُفرك بالطواغيت التي	* * *	عمت بهـا البلواء في الأوطـان

هي ثمانية شروط، فإذاً لا يتِمُ التوحيدُ إلا بمعرفة هذه الكلمة، والإيمان بمدلولها، والعمل بمقتضاها

✦المتن قوله: فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا، أو نبيا، أو وليا، أو شجرة، أو قبراً، أو جنيا.

ما المقصود بهذه الأمور؟ قال: يُقصد لهذه الأمور، يعني: لطلب شفاعة الأولياء والصالحين والتوجه إليهم بدعائهم من دون الله -جل وعلا- والاستغاثة بهم وطلب تفريج الكُرُبَات، مَنْ تَوَجَّهْتَ إليه بطلب هذه الأمور فَقَدِ اتَّخَذْتَهُ إلاهاً من دون الله، بِأَنْ تَطلب منه الشفاعة وتستغيث به من دون الله، وتدعوه في تفريج الكربات وقضاء الحاجات -كما يفعله كثير من الجهلة في زماننا- فإنك قد اتخذته إلاهاً مِن دون الله -جل وعلا- ،سواءً كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرةً أو قبراً أو جنياً، ما لَه دَخَل فيها، اختلاف أجناسِ المعبودات مَا يُؤَثِّر في القضيةِ شيئاً ما دامَ قَلْبُكَ تَوَجَّهَ وَقَصَدَ قلبُك أنْ تَدْعُو هؤلاء بغض النظر عَمَّن دَعَوْتَه، ما لها شأن لا تحتج عليه تقول: واللهِ هذا ملك، وهو له منزلة عند الله. فنقول: إنَّ رتبةَ المخلوق وإنْ عَلَتْ -كما قلنا في القواعد- لا تُغيِّر مِنَ الحكم شيئاً، وأجناس المعبودات وإنِ اختلفت فإنها لا تُغير من الحال شيئاً، فإذاً الذين بُعِثَ فيهم النبي -عليه الصلاة والسلام- ليست عبادتُهُم مقصورة على الأشجار والأحجار، بل كانوا يَعْبُدُون الملائكةَ والأنبياء والصالحين، يقول الشيخ: مثلكم أنتم يا المشركين، لا تقولون: والله إننا نعبد ملائكة وعُزَيْر ونعبد... ها! وَنستغيث بمن له وجاهة عند الله، وهؤلاء يعبدون شجراً وحجراً"، لا لا، ثبت عندَهم عبادةُ غيرِ الله، فإذاً مَنْ تَوَجُّه بقلبه إلى المخلوق -أياً كان جنسه وأياً كان نوعه بمثل هذه الأمور- بـ : طلب الشفاعات والتوجه إليه بدعائه والاستغاثة به من دون الله فَقَدِ اتخذه رباً مع الله جل وعلا.

✦المتن قوله: لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر؛ فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك.
وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيد)، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي: (لا إله إلا الله).

صح، وهي: (لا إله إلا الله)، هذا هو مقصود رسالة النبي ﷺ وهي: دعوتهم إلى توحيد الألوهية لا إلى مجرد توحيد الربوبية.

✦المتن قوله: والمراد من هذه الكلمة معناها، لا مجرد لفظها.

هذا واضح -إن شاء الله- بإذن الله، وهي أنَّ: الإنسان لا يُمْكِن أَنْ يُحْكَمَ له بالإسلامِ بِمُجَرَّدِ النطقِ بألفاظِ (لا إله إلا الله) مَا لَمْ يكن مُعْتَقِدَاً مدلولَها وقد انعقد قلبه على صحة معناها، وإلَّا لا؟ فالإنسان إذا قال شيئاً لا يَعْتَقِدُ مدلولَهُ ولا صحته لا يُحكم لَهُ بِهِ: كَمَنْ أراد أن يقولَ لزوجته أنتِ طاهر، فَسَبَقَ لسانُه فقال: أنتِ طالقٌ، هل يقع الطلاق؟ الجواب: لا؛ لأنه لم يُرِدْ حقيقةَ هذهِ الكلمة ولا مدلول هذه الكلمة، فلا نَحْكُم عليه بمقتضى كلمته، فكذلك (لا إله إلا الله) إذا نطقها لسانُه ولم يُؤمن بها قلبُه ولَمْ يَتَخَلَّلْ معناها في جَنانه ولَم تَتَشَرَّبْهَا نفسُه - فإنَّه غيرُ مُسْلِم، فإذاً ليسَ المقصود من هذهِ الكلمة أنْ يقولها الإنسانُ وينطقها ليلاً ونهاراً وفي أذكار الصباح والمساء، لا، بل لا بُدّ أنْ تقولَها مُحَقِّقاً تلكَ الشروط التي ذكرتُها قبل قليل، فلا يتم للإنسان الانتفاعُ بها إلا إذا كان قد قالها بلسانِه مُعْتَقِداً لمدلولِها بجَنانِه عاملاً بمقتضياتها بجوارحه وأركانه، إذاً الدينُ عندنا كما قلنا في القواعد: (الدين: قول وعمل واعتقاد)، خلاص، إذاً هذه الكلمة يُطلَبُ فيها كَم مِنْ أَمْر؟ ثلاثة أمور: يجب عليك أن تَنْطِقَهَا بلسانِك، ويجب عليك أن تعتقدَ مدلولَها بقلبِك، ويجبُ عليك أن تعمل بمقتضياتها بجوارحِكَ، هذا قصدُ الشيخ في قولِه ومِنَ المعلوم أنه ليس من المقصود فقط التلفظ باللسان من دون قصد المعنى.

✦المتن قوله: والكفار الجهال يعلمون أنا مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: (إفراد الله تعالى) بالتعلق.

يقول الشيخ: هؤلاء الكلاب الذين بُعِثَ فيهم النبي -عليه الصلاة والسلام- ترى هُم علماء بالمعنى، ما يجهلون معناها! الكفار الذين بُعِثَ فيهم الرسول -عليه الصلاة والسلام- لم يكونوا يجهلون معناها، يعرفون أن مدلولَها يقتضي منهم أَنْ يتركوا جميع معبوداتهم، ويتركوا طريقة آبائهم في عبادة غير الله -جل وعلا- ولذلك هم بَيَّنُوا معناها بقولهم: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ صـ5، هذا هو معنى (لا إله إلا الله): نبذُ الآلهة وتوحيدُ الألوهية في واحد وهو الله جل وعلا، فإذاً المشركون كانوا يعرفون مدلول هذه الكلمة،﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ صـ5.

ويقول الله جل وعلا عنهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ (الصافات: 35- 36) ، إذاً عرفوا أن مدلول هذه الكلمة لو قَبِلُوها سيتركون آلهتهم. الشيخ يجيب هذا الكلام يقول: فَتَبًّا لِمَنْ أبو جهلٍ

وأبو لهب وجُهَّال كفار قريش أَعْرَفُ منه بمدلول هذه الكلمة؛ لأنَّ مشركي زماننا ينطقون بـ (لا إله إلا الله) ومع ذلك يتخذون الآلهة، المشركون الأوائل أَبَوْا أَنْ يقولوا: (لا إله إلا الله)؛ لأنهم يعرفون أنهم لو قالوها لَزِمَهُم أَنْ يتركوا آلهتَهُم لكن مشركي زماننا في الليل والنهار يقولون: (لا إله إلا الله) ويسجدون للأصنام ويعبدونها! ويذبحون للقبور ويدعون الأولياء والصالحين من دون الله! إذاً أَيُّهُما أَعْظَمُ جهلاً؟ مشركو زماننا، ما عرفوا مدلول هذه الكلمة، يقولون: (لا إله إلا الله) ومع ذلك مِنْ حِينْ ما يَقِف لسانه عن (لا إله إلا الله) يقع مباشرة في ماذا؟ في ناقض من نواقض (لا إله إلا الله)! فإذاً هم يعرفون مدلول هذه الكلمة، ولذلك قال الشيخ:

الدرس الخامس من المحاضرة الثانية

✦المتن: (والحاذق منهم يظن أن معناه لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يُدبر الأمر إلّا الله، فلا خير في رجلٍ جهالُ الكفار أعلم منه بمعنى - لا إله إلّا الله)

خُلاصة هذا الكلام الذي قاله الشيخ يبين فيه جُملاً من الأخطاء التي يقع فيها ممن ينتسب للإسلام في تفسير (لا إله إلا الله)، فهناك جمل من الأخطاء يقع فيها من ينتسب للإسلام تجاه هذه الكلمة:

الخطأ الأول: ذكره الشيخ بقوله فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف مِنْ تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهّالُ الكفار، هذا هو الخطأ الأول، وهو جهل كثير من المسلمين بحقيقة هذه الكلمة، بحقيقة كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فتجد أنهم يرددون هذه الكلمة صباحًا ومساءً ومع ذلك يشركون بالله جل وعلا! يقعون في الشرك من حيث لا يدرون ولا يعلمون بأن هذا الشرك يناقض هذه الكلمة التي تقولها ألسنتهم، وهذا يبين أهمية معرفة التوحيد وأهمية تعلم التوحيد؛ لأنك لو سألت كثيرًا من العوام المسلمين عن معنى هذه الكلمة فإنك تجد أنه لا يعرفوها! ولذلك قال إمام الدعوة -رحمه الله تعالى- : فيجب على العبد أن يبحث عن معنى ذلك -أي عن معنى التوحيد- أعظم من وجوب بحثه عن معنى الصلاة والصيام والزكاة ولكن إلى الله المشتكى وهو المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله في قصور الهمم عن تعلم العلم؛ لأن كثيرًا من الناس قد اشتغل في هذا الزمان بصوارف الدنيا، والصوارف الكثيرة والأشغال والملهيات عن تعلم التوحيد، فإذًا هذا أول خطأ يقع فيه كثير من المسلمين، وهو عدم الحرص الكامل على معرفة هذه الكلمة وعلى معرفة معناها ومدلولها، ثم انتقل بعده إلى بيان الخطأ الثاني.

الخطأ الثاني: وهي قوله: بل يظن أن ذلك التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، وهذه شريحة كبيرة من المسلمين يظنون أن المقصود من هذه الكلمة إنما هو نطقها باللسان وتحريك الشفتين بها، وهذا خطأ عظيم أيضًا؛ لأن الدين مبنيٌ على قول مقرون باعتقاد، فلا بد حتى ينتفع الإنسان بهذه الكلمة لا بد أن يكون قد انطوى قلبُه على الإيمان بمدلولها والعمل بمقتضاها، فإذًا من ظن أن المطلوب في هذه الكلمة

إنما هو النطق بمجرد الحروف والكلمات والألفاظ فقد اعتقد اعتقادًا فاسدًا سيئًا، فإن مجرد الإتيان بالشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يجعل الإنسان موصوفًا بأنه مسلم، بل هذا من الحجة عليه.

ولذلك يجب علينا أن ننتبه أن الحكم لا يكون بمجرد النطق فقط، بل لا بد أن يكون بالنطق مقرونًا بعمل القلب واعتقاد القلب وتصديق القلب، وعلى ذلك كذَّب اللهُ -جل وعلا- المنافقينَ في قولهم: ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ (المنافقون 1)

مع العلم أنه هو رسوله ولكن مبدأ هذا التكذيب أنهم قالوا كلمات بأفواههم لم تنطوي عليها قلوبهم، قال الله جل وعلا: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (المنافقون 1)

كاذبون في ماذا؟ كاذبون في حقيقة هذه الشهادة أنهم في الحقيقة ما يشهدون أنك رسول الله، لماذا؟ لأنهم إنما قالوا كلمات بأفواههم لم تؤمن بها قلوبهم، فكيف يأتينا طائفة من المسلمين ويقولون: إن النطق بـ(لا إله إلا الله) كافٍ حتى ولو لم تقترن باعتقاد القلب، هذا مشكلة كبيرة، فإذًا يجب علينا أن نُصدق التصديقَ القطعي أن هذه الكلمة ليس المراد منها النطق بحروفها فقط، بل لا بد من الإيمان بمدلولها والعمل بمقتضاها. ولذلك أجمع العلماء من أهل السنة -رحمهم الله تعالى- على: اشتراط الاعتقاد مع القول والعمل. لا بُدّ، فلا ينفع الاعتقادُ بدون قولٍ ولا عمل، ولا ينفعُ القولُ بدون اعتقاد ولا عمل، ولا ينفع اعتقادٌ وقولٌ بدون عمل.

<u>هي ثلاثة أركان مُتلازمة بإجماع أهل السنة والجماعة.</u>

-إذا كان الانسان معتقدًا بدون قول وعمل هذا ما يدخل في الإسلام ما ينتفع بها،

-إذا كان الإنسان معتقدًا وقائلًا ولكن غير عامل فهذا ما تنفعه (لا إله إلا الله)،

-إذا كان قائلًا وعاملًا عن غير اعتقادٍ هذا ما تنفعه (لا إله إلا الله)،

فهذه ثلاثة أركان وركائز لا بُدَّ أن تقوم عليها هذه الكلمة:

اعتقادٌ بالجَنان .. قولٌ باللسان .. وعملٌ بالجوارح والأركان.

وهذا بالإجماع، ولذلك أخطأ كثير من الجهميّة في قولهم: إن الإيمان قول باللسان فقط. وأخطأ بعضهم في قولهم: إن الإيمان اعتقاد القلب فقط. وأخطأ بعضهم في قولهم: إن الإيمان اعتقاد وقول دون عمل، كل هذه أقوال من أقوال المرجئة وهي خطأ مخالفة لدلالة الكتاب والسنة وما انعقد عليه إجماع أهل الملة. فالعلماء مجمعون على أن: مجرد النطق بـ(لا إله إلا الله) بدون اعتقادٍ لمدلولها في القلب وعمل لمقتضياتها بالجوارح هذا غير كافٍ. ولذلك النبي ﷺ يقول: "مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ" (31) فَعَلَّقَ تحريمَ الدمِ على أمرين، ليس على مجرد القول فقط، بل قال: "وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ" ،

وكذلك يقول ﷺ: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" (32) فَلَمْ يَكتفي بقولها فقط، بل لا بُدّ من العلم بمدلولها ومعناها، "مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِه" (33) فلم يكتفي بقولها فقط بل اشترط صدق القلب

وكذلك: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ" (34) فلم يكتفي بقولها فقط، بل قَرَنَ معه إخلاص القلب، فإذًا كل هذه الأدلة تدل على أن: مجرد النطق بهذه الكلمة من غير اعتقاد ولا صدق ولا يقين بمدلولها ولا عمل بمقتضياتها لا تَكْفِي. ولذلك أيضًا أجمع العلماءُ من صحابة النبي ﷺ على: (وجوب قتال مانعي الزكاة مع أنهم يقولون لا إله إلا الله بألسنتهم) أليسَ كذلك؟ لكن ما تنفعهم هذه الكلمة؛ لأنهم مَنَعُوا شعيرةً من شعائر الإسلام، فإذًا هم عطلوا قولًا وِلَّا عملًا؟ عَطَّلُوا عملًا فقاتلهم الصحابة؛ لأنهم الآن اختلَّ عندَهُم ركنُ العملِ مع أنهم يقولون، فلم يكتفِ الصحابةُ منهم بالقول، مما يدل على أنه لا يكتفى بالقول فقط ،

---

(31) أخرجه مسلم في صحيحه |كِتَابٌ :الْإِيمَانُ |بَابٌ :الْأَمْرُ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا الشَّهَادَتَيْنِ(٢٣)(٣٩/١)
(32) أخرجه أحمد في مسنده |مُسْنَدُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه (٤٦٤)(٥٠٩/١)

(33) أخرجه البخاري في صحيحه |كِتَابٌ :الْعِلْمُ |بَابٌ :مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ)١٢٨((٣٧/١

(34) أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابٌ :الْعِلْمُ | باب: الحرص على الحديث.(99)

لو أن القول كافٍ لما جاز لأصحاب النبي ﷺ أن يقاتلوا مانعي الزكاة، وإنَّ من أعظم أقوال الجهمية في مسألة الإيمان: المنقولُ عن الجهم بن صفوان، وقد أجمع العلماء على أن: مَنِ اعتقدَ ما قاله الجهمُ فإنه كافر، وهو أنه يقول أن: (الإيمان الحقيقي الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو مطلق معرفة الله، فمن عرف الله ولو واحد في المئة فهو مؤمن كامل الإيمان).

الإيمان عند الجهم: مطلق المعرفة، فمن عرف الله بقلبه ولو معرفة يسيرة، فهو مؤمن كامل الإيمان حتى ولو لم يَقْرِن ذلك الإيمان العقدي القلبي بقولٍ باللسانِ ولا بعمل بالجوارح. وهذا في الحقيقة: فجور وكفر وردة، مَنِ اعتقده فإنه كافر؛ لأنه يلزم على ذلك أن: إبليس مؤمن كامل الإيمان؛ لأن كفر إبليس ليس كفر تكذيب وإنما هو كفر إباء واستكبار وعناد، وكذلك فرعون، يعرف الله: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾

ففرعون عنده مطلق المعرفة، بل إنه يلزم على قول الجهم أنه: ليس ثمة كافر في الدنيا أبدًا؛ لأن كل كافر وإنْ بلغ في الكفر مبلغه فلا بُدَّ أنْ يكونَ عنده ولو بصيصُ شيءٍ من معرفةِ الله، فإذًا يقول الجهم أن: مَنْ كان عنده مطلق المعرفة فهو مؤمن كامل الإيمان. فهذا قول خطير، فإذًا الاعتقاد وحده غير كافٍ، والقول وحده غير كافٍ، والعمل وحده غير كافٍ، بل لا بُدَّ من هذه الشروط مجتمعة.

أنا طولت في هذه المسألة؛ لأنها مهمة لأن كثيرًا من الناس ينطق بهاتين الشهادتين ثم تجده يَتَقَحَّم في نواقضها، ويقع في أمورٍ مخالفةٍ لمدلولها ومقتضاها، ثم يقول: واللهِ، أنا أقول (لا إله إلا الله)، نقول: أنت قلتها فقط بلسانك لكن وين مقتضياتها؟ وين العمل؟

وتقرر عند أهل العلم أيضًا أن: مَنِ امتنعَ عن أداءِ شعيرةٍ من شعائر الإسلام الظاهرة فإنه يُقَاتَل حتى يؤدِّيَهَا. إذًا هذا دليل على أن: العمل والاعتقاد مطلوبٌ مع القول.

الخطأ الثالث: هو قوله رحمه الله: (والحاذق منهم) ، والضميرُ يرجع إلى هؤلاء الذين يدعون الإسلام، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر إلا الله، يعني سلمنا جدلًا أن طائفة منهم قد يعرفون معناها ولكنهم يُخطئون في تفسيرها، فيفسرونها بمقتضيات الربوبية لا بمقتضيات الألوهية،

إذًا -سبحان الله!- هم ثلاثة (ثلاثة أخطاء):

إما أن: يجهل معناها أصلًا،

إما أن: يعتقدَ أنَّ المطلوب فيها النطقُ باللسان فقط،

إما أن: يجعلها تتضمن معنًا غير المعنى الصحيح اللائق بالله جلّ وعلا (اللائق بهذه الكلمة) .

إذًا قوله: (والحاذق منهم) يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر إلا الله، هذا الخطأ الثالث الذي نص عليه الشيخ عند هؤلاء. والمعنى الصحيح لهذه الكلمة هو أنه: لا معبودَ حقٌّ إلا الله. وقد وُجِدَ أن هناك طوائف تفسرها بمقتضيات توحيد الربوبية فيقولون: لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر ولا قادر على الاختراع إلا الله، ولكن هذا كله مقتضيات ربوبية وليست هي خصومة بين الأنبياء وبين أممهم في هذه المسألة، فإذًا هذه أخطاء لا بد من الحذر منها حتى ينتفع الإنسان الانتفاع الكامل بـ (لا إله إلا الله).

إذًا الخصومة بين الرسل وأممهم ليست في وجود الرب ولا في قدرة الرب ولا في أن الرب هو الخالق الرازق، وإنما الخلاف في أنه: هل هو الإله الحق الذي لا يعبد إلا هو أم أن ثمة آلهة معه؟

يقول العلماء -رحمهم الله- : وقد قال بعض أهل البدع: معنى (لا إله إلا الله) أي: لا قادر على الإبداع و الاختراع إلا الله، ولكن هذا قول مبتدع لا يُعرف أحدٌ قالَهُ من العلماء ولا أئمة اللغة، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا لك قبل قليل يعني أنه: (لا معبود حقٌّ إلا الله)، ثُمَّ قال الشيخ -رحمه الله- بعد بيان هذه الأخطاء الثلاثة قال: (لا خير في رجلٍ جُهّالُ الكفار أعلم منه بمعاني لا إله إلا الله)، يشير المصنف -رحمه الله تعالى- إلى قول الله جلّ وعلا عن الكفار:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾

(الصافات 35 – 36)

فكفار قريش كانوا يعرفون المعنى الحقيقي لـ (لا إله إلا الله) ومن أجل معرفتهم لهذا المعنى امتنعوا من قول هذه الكلمة، ولذلك يروي ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ النبي ﷺ تكلم مع عمه أبي طالب في حضور سادات قريش

فقال: "يا عَمّ إنّي أُرِيدهُمْ عَلى كَلِمَةٍ وَاحِدةٍ يَقُولُونَهَا، تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ، وتُؤَدِّي إلَيْهِم بِها العَجَمُ الجِزْيَةَ"، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عَشْرًا: فقالوا: وما هي؟ فقال أبو طالب: وأيّ كلمة هي يا ابن أخي؟ قال: (لا إلَهَ إلا الله)؛ قال: فقاموا فزِعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون: "أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ" (35)

فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون:

﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص 5)

فإذًا هذا هو فَهْم الجهال، هذا هو فهم المشركين السابقين أما مشركي زماننا فَهُمْ يقولون هذه الكلمة، ما عندهم أي خلاف فيها، يقولونها بكيفهم لو تبينا نقولها في اليوم الواحد ألف مرة لكن من يوم يقولها تلقاه يقع في ما يناقضها؛ لأنه لا يعرف معناها، أو أنه يفسرها بتوحيد الربوبية.

(معرفة قلب) ما المقصود الآن إذا عرفت ما قلت لك؟ أول شيء عرفت أن توحيد الربوبية لا يُحكم على صاحبه بالدخول في الإسلام، وعرفت أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا مؤمنين بتوحيد الربوبية، وعرفت أن دين الرسل الذي اتفقت الرسالات على الأمر به والدعوة إليه هو: إفراد الله -جل وعلا- بالعبادة، إلى غير ما ذكر من تلك المعلومات.

(إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (النساء 48)

(35) تفسير الطبري جامع البيان تفسير سورة ص آية ٤(١٥٠/٢٢)

وقد ذكرنا سابقًا قاعدة الشرك التي يقوم عليها ساقُ الشرك وهي: تسويةُ غير الله بالله فيما هو من خصائصه.

قولُ الشيخ: (معرفة قلب) ،

مسألة: بِمَ تكون المعرفة؟ المعارف التي يكتسبها الإنسان بم تكون؟

يقول العلماء رحمهم الله: إن المعارف إما أن تكون بالفطرة وهي: تلك العلوم الضرورية الفطرية التي فطر الله الناس عليها، وإما أن تكون بالعقل الذي خلقه الله وميز به بين بني آدم وغيره من سائر المخلوقات، وإما أن تكون معرفةً طريقُها الشرع وهي فيما نزل من الكتب وجاءت به الرسل، وإما أن تكون معرفة طريقها الحس.

فإذًا صارت أنواع المعارف:

إما معارف بالفطرة، .. وإما معارف بالعقل، .. وإما معارف بالشرع، .. وإما معارف بالحس.

وإن من أعظم ما يُقَدِّره اللهُ على الإنسان إذا أراد إضلاله أن: يطمس نور بصيرته فلا يرى الحق، هذا من أعظم ما يكون، ولذلك قد يطمس اللهُ نورَ بصره وهذه ليست مشكلة بل هذه نعمة كما قال النبي ﷺ عن ربّ العزة:

"إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ" (36)

لكن المشكلة أن ينطمس نورُ الفطرة، فهؤلاء المشركون يرون الحقَّ أمامَهُم كالشمس في رائعة النهار ولكن عُمِيَت عيونُهُم عن إدراكه وعن إبصاره، لماذا؟ لأنَّ اللهَ سلبَ عنهم المعارف، حجب قلوبَهم عن الاستفادة من هذه المعارف الكثيرة كما قال الله جلّ وعلا: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج 46)

(36) أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابُ الْمَرْضَى | بَابُ فَضْلِ مَنْ ذَهَبَ بَصَرُهُ(٥٦٥٣)(١١٦/٧)

وهنا مسألةٌ يتكلم العلماء عنها وهي: أن الإنسان متى ينتفع بقلبه؟ متى ينتفع العبد بقلبه؟ لأن الشيخ يقول: إذا عرفت ما قلت لك معرفةَ قلب فمتى ينتفع العبد بقلبه؟ قال العلماء: ينتفع العبدُ بقلبِه إذا طبقَ قولَ الله جلّ وعلا:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق37)

وتفصيل ذلك أن نقول: لا بد أولًا أن يكون القلبُ حاضرًا غيرَ منصرفٍ عندَ إلقاءِ العلم؛ لأن من الناس مَنْ يحضر أمامَك ولكن قلبه منصرف عنك، فحينئذٍ لا يستفيد من العلم؛ لأنه لم يُلْقِ السمع، والمراد سمعَ القلب فلا بد من شهادة القلب ولا بد من استماع القلب، وعدم انصرافه والتهائه بأمور أخرى حينئذ ينتفع العبد بقلبه.

الأمر الثاني: أن يكون قلبًا سليمًا منشرحًا لقَبُولِ الحق وأرضًا صالحة لغرس الحق فيها، يعني أن يكون قلبًا سليمًا من الشبه والخيالات والأوهام والشكوك التي تُوجِبُ فسادَ الحق وانطماسَ نورِ اليقين؛ لأن من الناس من يكون قلبه حاضرًا لكن ما يستفيد من الحق؛ لأن قلبَه أصلًا مملوء بالشُبَه والخيالات والأوهام التي تُزَاحِم الحق وتذهب رونَقَه،

مسألة: هل العقل في الدماغ ولا في القلب يا إخوان؟ مسألة طرت في ذهني، هل العقل في الدماغ ولا في القلب؟

فيه أقوال كثيرة لأهل العلم والأقرب عندي -والله أعلم- وإن لم يكن قد قال به من قبلي أحد، وهذا حسب التتبع ولكن -إن شاء الله- هو القول الصحيح بإذن الله وهو مجموع ما قاله السابقون، يعني لم نُحْدِث شيئًا جديدًا وهي أن

العقل قسمان: عقل تكليف، وعقل تَعَقُّل وتدبّر واتعاظ.

أمّا العقل التكليفي: فمحله الدماغ وهو العقل الذي يُوجِب ارتفاعُه ارتفاعَ التكاليف، وهو العقل المقصود به قولُ النبي ﷺ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ" وذكر منهم "وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ" (37)

(37) أخرجه أبو داود في سننه | أَوَّلُ كِتَابِ الْحُدُودِ | بَابٌ : فِي الْمَجْنُونِ يَسْرِقُ أَوْ يُصِيبُ حَدًّا (٤٤٠٣)(٣٦٤/٤)

فهذا العقل محله الدماغ، بدليل أن الإنسان إذا ضُرب دماغُهُ ربما يُجَن ويُصاب بالجنون، فارتفاعُ هذا العقل يُوجب الجنونَ وترتفع به التكاليف، هذا العقل في الدماغ.

وأما عقل التعقّل والتدبّر والتفكّر والمعرفة والتأمّل والاتعاظ والادّكار: وهو العقل الذي يقول الله جلّ وعلا فيه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل 12)

فهذا محله القلب وارتفاعه لا يُوجِب ارتفاعَ التكاليف، لا، وإنما ارتفاعه يوجب ارتفاع الهدى وارتفاع الاتعاظ وارتفاع الاعتبار كما قال جل وعلا: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ (ق37)

فإذًا إذا جاء مجال الذكرى ومجال التعقل فدائمًا يخاطب اللهُ القلبَ؛ لأن العقلَ الذي يُراد مخاطبتُهُ في القلب، في هذه الحالة.

فإذًا عقل التكليف محله الدماغ، وعقل التدبر والتذكر والاتعاظ محله القلب.

فيقول الشيخ: إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب، ماذا يريد منا بعد ذلك؟

✦المتن: (وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد سواه)

وهذا دليل على أن: الإسلام هو دين الأنبياء جميعًا -كما ذكرت لكم سابقًا-

وقد قسم العلماء الإسلام إلى قسمين: إسلام عامٌ، وإسلامٌ خاص.

فالإسلام العام: هو الاستسلام لله بالطاعة (هوالاستسلام لله بالتوحيد-الصواب) والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك، فإذا ما جاء به نوح إسلام وما جاء به هود إسلام وما جاء به صالح إسلام وما جاء به موسى وعيسى هو إسلام ولذلك يقول:

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام 163)

فهذا يسميه العلماء الإسلام العام: وهو إسلام الوجه لله -جل وعلا- والإيمان بنبي ذلك الزمان.

وأما الإسلام الخاص: فهو تلك الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، فإذًا لا يُشْكِلُ عليك في قول الله جلّ وعلا:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام 162 - 163)

مع أن هناك مسلمون قبله في الأمم! الجواب: لا، ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

باعتبار الإسلام الخاص يعني تلك الشريعة التي جاء بها محمد من عند الله جلّ وعلا.

وأما الإسلام العام فهو: استسلام الوجه لله مع الإيمان بنبي ذلك الزمان. فإذًا أتباع نوح مسلمون؛ لأنهم أسلموا وجوههم لله وآمنوا بنوح، وأتباع هود مسلمون، وأتباع موسى مسلمون وأتباع عيسى مسلمون، وأتباع محمد مسلمون لكن المسلمون الأوائل مسلمون بالإسلام العام، ومن آمن بمحمد ﷺ فهو مسلم بالإسلام الخاص.

فإذًا الإسلام الخاص يختص ببعثة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم..

نعم

✦المتن: (وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين)

قال: وعرفت ما أصبح غالب الناس عليه من الجهل بهذا، أي: بمعرفة التوحيد، أي: بمعرفة حقيقة التوحيد ومعرفة حقيقة الشرك، فإن أكثر الناس يجهلون هذا الأمر ولا يعرفونه، طيب الشيخ الآن، الشيخ محمد -رحمه الله- حَكَمَ على أكثر الناس بأنهم يجهلون حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك فإذًا لا بُدَّ أن يأتينا الشيخ بأدلة تدل على ذلك؛ لأن الحكم على الأكثرية بهذا الجهل هذا أمر خطير، نقول: نعم، لقد دلت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة على أن أكثر الناس يجهلون هذه الحقيقة والدليل على ذلك قول الله جلّ وعلا: ﴿ مَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يوسف 103)

وقال الله جلّ وعلا: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (الأنعام 116)

فإذًا تصريح الآيات الكثيرة بأن (أكثر الناس لا يعلمون) تُصَدِّق قول الشيخ أن أكثر الناس يجهلون حقيقة التوحيد ويجهلون حقيقة الشرك، وكذلك وَصْفُ كثير من الناس بالجهل: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾

وكذلك الإخبار عن كثير من الناس بأنهم لا ينتفعون بآلات التعلم والعلم كما قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ (الأعراف 179)

قال: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا، كثيرًا من الإنس و الجن، فهذا دليل على صدق كلمة الشيخ، وأيضًا هناك آيات تُشَبِّه طوائفَ كثيرة من الناس بالأنعام بل هم أضل كما قال الله جلّ وعلا: ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (الفرقان 44)

ويقول الله جلّ وعلا: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان 44)

ويقول الله جلّ وعلا: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ ﴾ (الجمعة 5)

يعني: تحملوها علمًا ولم يتحملوها عملًا، هم حملوها علمًا ولكن لم يحملوها عملًا فمثلهم كمثل الحمار. فإذًا أغلب تلك المخالفات التي نشاهدها في التوحيد إنما منشؤها جهلُ كثير من الناس بحقيقة التوحيد وجهلهم بحقيقة الشرك. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (انتبهوا لهذا النقل) قال: وأما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم، هذه غالب ما يقع الناس فيه إنما هو بسبب الجهل والظلم ولذلك يقول الله جلّ وعلا:

﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب 72)

وهذا يبين لنا أهمية العلم، فإن العلم حياة ونور، والجهل موت وظلمة، فالشر كله بسبب الجهل والخير كله بسبب العلم، ولو كان الوقت يتسع معنا لذكرنا جُملًا من فضائل العلم والعلماء ولكن الوقت ضيق.

يقول الشيخ: إذا عرفت هذا الأمر كله، إذا عرفت ما قدمته لك من أن التوحيد الذي جاءت به الرسل هو توحيد الألوهية، وأن الخصومة التي وقعت بينهم وبين أممهم إنما هو في إفراد الله بالعبادة، وعرفت حقيقة التوحيد وعرفت حقيقة الشرك أفادك ذلك فائدتين عظيمتين، قبل أن نقرأها أذكرها:

الفائدة الأولى: وجوب الفرح بفضل الله -جلّ وعلا- على تلك الهداية العظيمة، يعني: كونك يهديك الله -جل وعلا- إلى هذه المعرفة، وهي معرفة قلب، وأن يهديك الله وأن يأخذ بناصيتك إلى الصراط المستقيم وأن يوفقك لمعرفة التوحيد وحقيقة الشرك بينما أضل عنها غيرك ممن هو أذكى منك وأحرص منك على العلم، وأكبر منك سنًا وأكثر منك مالًا وأعظم منك جاهًا لكن ما وفقهم الله لذلك، يختصك الله بهذه الهداية العظيمة التي بها سببك سبب سعادتك ونجاتك هذا يجب عليك أن تفرح بفضل الله، وعلى ذلك قول الله جلّ وعلا: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس 58)

وقد قسّم العلماء الفرح إلى قسمين: فرح محمود، وفرح مذموم.

فالله -جل وعلا- أخبر بأنه يحب الفرحين أحيانًا ويأمر بالفرح أحيانًا ولكنه أخبر أنه لا يُحب الفرحين كيف هذا؟ هذا لأن الفرح قسمان:

أما الفرح الذي سببه فضل الله وقسمته، فهو من الفرح الذي يحبه الله ويرضاه، أن تفرح بهدايتك، أن تفرح بتوفيق الله، أن تفرح بانتصار حزب الله المؤمنين، أن تفرح بانتحار الكافرين، أن تفرح بالعلم الذي حصلته، أن تفرح بالأمر بالمعروف، بالقيام بشرائع الله -جل وعلا- هذا كله من الفرح المحمود.

وأما الفرح بالدنيا وشهواتها، فقد ذمه الله، قال الله -جلّ وعلا- عن قارون أن قومه الناصحين قالوا له: ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (القصص 76)

بل أخبر الله أن من جملة الأسباب التي دخل بها أهل النارِ النارَ أنهم كانوا يفرحون بالدنيا بغير الحق قال الله جل وعلا -بعد ذكر دخول أهل النارِ النارَ- قال:

﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (غافر 75)

فإذًا الفرح مسألة عبادة، لا بد ألا تفرح إلا بالشيء الذي يحبه الله -جل وعلا- ويرضاه، لا تفرح بأي شيء، وإنَّ فرح كثير من الناس هذا الزمان أصبح لكل شيء إلا لله جل وعلا. يفرح الإنسانُ بانتصار فريقه، يفرحُ الإنسانُ بنجاح تجارته، وهذه من الأمور التي لا تقيم وزنَ الإنسان عند الله جل وعلا، فإذًا أعظم نعمة يمتن الله بها عليك وهي

توجب لك الفرح هي (نعمة الهداية والتوفيق)، هي أعظم نعمة، واللهِ، نعمة الهداية يا شيخ عبد الرحمن هي أعظم من نعمة البصر والكلام، وأعظم من نعمة الحركة، وأعظم من نعمة الهواء والطعام والشراب، وأعظم من كل نعمة، ما توازيها نعمة؛ لأنك إنْ فقدت هذه النعم وصبرت فإن لك أجرًا عظيمًا ولكن لو فقدت نعمة الهداية فهي النعمة الوحيدة التي يكون بفقدها سخط الله، هي النعمة الوحيدة التي يكون بفقدها مقت الله وعذابه وأليم عقابه والنار، هذه النعمة هي من أعظم النعم فمن هداه الله ووفقه الله وأرشده الله ويسر الله له معرفة الحق من الباطل واتباع الحق وترك الباطل فلا جَرَمَ أنها من النعم التي تحتاج منا وقفة شكر ووقفة حمد ووقفة ثناء على الله جل وعلا بذلك، فليس بيننا وبين الله نسب في هذه وإنما هي محض فضل من الله، محض نعمة من الله، محض منة من الله، فأكثر من حمد الله وشكره على هذه النعمة؛ فقد آذن الله الشاكرين على نعمه بالمزيد، كما أنه توعد الكافرين لها بالويل والعذاب الشديد.

الفرح بفضل الله: أن الله جل وعلا فتح عليك هذه المعاني الصحيحة، وجعل قلبك أرضًا قابلة لها بينما أضل عنها غيرك من الأمم والطوائف الذين هم أذكى منك وأكثر منك مالًا وعزًا وجاهًا، هذا لا جرم أنه فضل عظيم، فهذه النعمة لا شأن لها بالحسب ولا بالنسب وإلَّا لَمَا هدى الله جلّ وعلا بلالًا ولا سلمان الفارسي وصهيب الرومي وأضل أبا لهب وأبا جهل، ما لها دخل هذه بالحسب والنسب، نعمة الهداية من الله، ما لها دخل بحسب ولا نسب، هي لا تُعْطَى للخلق على حسب أنسابهم، لا، ولذلك هدى الله بلالَ العبد الحبشي وأضل الله جل وعلا أبا طالب وأبا جهل وأبا لهب فإذًا أعطى الله الهداية لمن ليس عنده حسب ولا نسب، مالها دخل بحسب ولا نسب، ولا لها دخل أيضًا في المال وإلا لَمَا أضل الله قارون بكثرة ماله، التميز في هذه الهداية إنما يرجع إلى توفيق الله يرجع إلى فضل الله، يرجع إلى اصطفاء الله يرجع إلى اختيار الله كما قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (القصص 68)

، فالله خلق الهداية، وخلق لها أهلًا واختار لها أهلًا، وخلق ضدها واختار لها أهلًا فإذًا هذا يرجع إلى اختيار الله، وإلى اصطفاء الله -جل وعلا- فالحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا على هذه النعمة ،

وعلى ذلك قول النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" (38)؛ لأن الخير كل الخير والهداية، كل الهداية في الفقه في الدين، فيُفْهَم من هذا أن من لم يرد الله به خيرًا فإن الله يَحْجُبُ قلبه عن الفقه في الدين. يا سلام، هذه نعمة عظيمة: نعمة الهداية ونعمة العلم الصحيح المتفق مع الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة هذه من أعظم النعم بل هي الحكمة المرادة في قول الله جل وعلا: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة 269)

لماذا أوتي خيرًا كثيرًا؟ قال العلماء: لأنه خرج بهذه الحكمة من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى ومن حُمْق الانحراف في الأقوال والأفعال إلى الرشاد والإصابة وحصول السدادة في الأقوال والأعمال والاعتقادات.

الأمر الثاني: مما يفيدك هذا الأمر إذا رأيت ضلال الطوائف وتخبط كثير من الناس في الشرك ثم رأيت هداية الله لك مع الفرح يوجب لك شيئًا آخر أيضًا وهو أن تعلم - وفقك الله- أنَّ: هذه الهداية إنما حصلت لك بعد توفيق الله بالعلم فإذًا هذا يوجب عليك أن تستمر وأن تحرص الحرص الكامل على طلب العلم. فليس بينك وبين الله -جل وعلا- نسب ولا أي علاقة إلا علاقة العبادة فإذًا يجب عليك أن تهتم بالمحافظة على سبب الهداية وهو العلم. ومن باب الفائدة، أذكر لكم جملًا عظيمة من أسباب الهداية؛ حتى يكون الإنسان على دراية وعلى علم بها، وهي أربعة أسباب وهي أعظم أسباب الهداية على الإطلاق:

السبب الأول: العلم. فإن الضلال غالبًا يكون مقروناً بالجهل.

السبب الثاني: قبول الحق أول مرة وعدم رده، هذا من أسباب الهداية أيضًا.

ومن أسبابها أيضًا ؛

السبب الثالث: كثرة الدعاء بها. ومنها أيضًا

السبب الرابع: طلب الهداية من أهلها وفي مظانها.

(38) أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابٌ : الْعِلْمُ | بَابٌ : مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا(٧١)(٢٧/١)

فإذًا هذا هو الأمر الأول أن: تفرح بفضل الله وأن تحرص الحرصَ الكامل على أن تشد على سبب الهداية بيديك.

ومما يُوجِبُ لك أيضًا معرفة الحق وضده أن: يخاف قلبك من الضلال بعد الهُدَى، فكم من أناسٍ تَخَطَّبَتْهُمْ بيننا يدُ الشُّبَه أو الشكوك والأوهام والشهوات فَحارُوا بعد أَنْ كانوا كائِرين، الحور بعد الكور، الانتكاسة بعد الهدى، والضلالة بعد الهداية، هذا من أعظم ما ينبغي للإنسان أن يخافَ منه، وأعظم شيء تخاف منه لا بُدَّ أنْ تخاف من الشرك، فالذي يأمن من الشرك فإنه قد فتح بابَ الوقوع فيه لكن ما دام قلبك لا يزال خائفًا من الشرك والوقوع فيه فإنك حينئذٍ على خير عظيم. كيف لا نخاف من الشرك وقد خافه أبو الموحدين إبراهيم عليه الصلاة والسلام؟! يقول الله جلّ وعلا عنه:

﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم 35)

فإذا كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام لا يزال قلبُه خائفًا من الشرك (مع أنَّ الأنبياء معصومون من الوقوع في الشرك) فلا جرم أنَّ الإنسان ينبغي له أن يكون خائفًا منه كثيرًا، ولذلك عقد الشيخ -رحمه الله تعالى- بابًا في كتاب التوحيد أسماه (باب الخوف من الشرك)، والله أعلم.

الدرس السادس من المحاضرة الثانية

✦**المتن .. (الفرح بفضل الله ورحمته).** كما قال تعالى:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس 58)

وهذا يوجب لك أمرًا ثانيًا وهو: الحرص على المحافظة على أسباب الهداية، ثم:

(وأفادك أيضاً الخوف العظيم)

الخوف العظيم من ماذا؟ من العودة إلى الضلالة بعد الهداية، وإلى الإنحراف بعد الرشاد والهُدى. لا تثق في نفسك أبدًا كن خائفًا دائمًا، ولذلك هذا شأن العبد المسلم، نحن في هذه الدنيا لا بد أن نعيش بين جناحي الخوف والرجاء، فالفرح بفضل الله هو الرجاء والخوف من العودة، هي مرتبة الرهبة فإذًا يجب عليك أن تكون راغبًا راهبًا؛ لأن الإنسان إذا عَبَدَ الله بالرجاء فقط فإنه سيأمن من مكر الله، وإذا عَبَدَ الله بالخوف فقط فإنه سيقنط من رحمة الله، وحقيقة العبودية هي: أن يقوم العبد إلى الله -جلّ وعلا- متعبدًا بالرغب والرهب كما قال الله جلّ وعلا:

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ (الأنبياء 90)

ويقول الله جلّ وعلا: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ (الزمر 9)

فإذًا لا بد من هذين الأمرين في كل عبادة، فنحن لا نعبد الله بالرجاء فقط كما فعله الصوفية، كما فعله المرجئة، يعني ولا نعبد الله بالخوف فقط كما فعله الوعيدية من الخوارج والمعتزلة بل نعبد الله جلّ وعلا بالأمرين جميعًا، فإن العبادة لا يستقيم طيرانها إلى الله إلا بالجناحين جميعا بالخوف والرجاء -فإذًا نحن نعبد الله، نشكر الله ونحمده، وهذا الرجاء ومع ذلك لا بد أن نخاف وأن لا نأمن، وإن هناك كلمة لا بد من الانتباه لها وهي: "أنا واثق في نفسي" انتبه! هذه كلمة خطيرة، لا تثق في نفسك؛ لأن الله جلّ وعلا قال: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (يوسف 53)

والنفس بين جنبيك هذه من جملة الأبواب التي يلج إليك من قِبَلِها الشيطان والهوى والدنيا.

كما قال الشاعر: إبليس والدنيا ونفسي والهوى * كيف النجاة وكلهم أعدائي**

لا بد من الحذر من هذه النفس، هذه كيف تثق فيها؟ ثم يجب عليك كمال الثقة في الله جل وعلا، فإن الله إذا وكلك إلى نفسك فقد وكلك إلى ضعف، ولذلك من دعائه ﷺ: "وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ" (39)

كيف تقول: "أنا واثق في نفسي"؟ لا تثق في نفسك، فيجب على الإنسان أن يكون خائفًا دائمًا من الحَور بعد الكور، ومن الانتكاسة بعد الهدى، ولذلك يُروى عن كثير من الصحابة هذا الخوف، فيقول أبو بكر: "واللهِ، لا آمن مكر الله وإنْ كانت إحدى قدماي في الجنة"، ويقول عمر رضي الله عنه لحذيفة: (أنشدك الله يا حذيفة أَعَدَّنِي رسول الله ﷺ من المنافقين؟ وكانوا يبكون بكاءً عظيمًا عند سماعهم آيات النار وآيات الوعد والوعيد وكأنه لن يحاسب يوم لقيامة إلا هو! فهذا الخوف -في الحقيقة- لا نجده في قلوبنا كثيرًا وذلك لِجَهْلِنا.

✦المتن: (فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه)

وهذا ساقه الشيخ حتى يبين لك وجوب الخوف من الشرك، يقول: أن مما يجعلك تخاف من الشرك أن أمره دقيق وخفي كما قال النبي ﷺ: "الشِّرْكُ أَخْفَى فِيكُمْ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ" (40)

فالشرك أمره خفي، فالشرك كلمة واحدة يقولها الإنسان بلسانه فينتقل من دائرة المسلمين إلى دائرة المشركين، ومن دائرة أهل الجنة إلى دائرة أهل النار؛ فإذًا هذا يوجب على الإنسان أن يتقي الله جل وعلا في معرفة التوحيد وما يضاده من الشرك؛ حتى يكون على دراية وعلى علم بما يخرجه من النار، ولذلك اهتم الفقهاء -رحمهم الله تعالى- في كتب الفقه بعقد باب اسمه (باب حكم المرتد)

(39) أخرجه النسائي في السنن الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة نوع آخر (١٠٣٣٠)(٢١٢/٩)

(40) أخرجه أبو يعلى في مسنده مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٦١)(٦٢/١)

بَيَّنَ الفقهاءُ فيه -رحمهم الله تعالى- تلك الأقوال والاعتقادات والأعمال التي توجب للإنسان الخروج من الملة، وإجمال ما ذكره الفقهاء في باب حكم الردة يرجع إلى أربعة أمور، جميع تلك النواقض ترجع إلى أربعة أمور:

الأمر الأول: إما نواقض اعتقادية، كأن يعتقد مثلًا بأن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين مثلا: يفضلون أحكام الطواغيت على حكم النبي ﷺ هذا ناقض اعتقادي وغيرها كثير.

الأمر الثاني: ومنها نواقض عملية كأن يشرك في عبادة الله بالذبح لغير الله أو دعاء غير الله، أن يجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، هذا كله من النواقض العملية وهي كثيرة.

الأمر الثالث: النواقض القولية، كأن يستهزئ بالله أو يستهتر أو يسخر بشيء مما جاء به محمد ﷺ، وكالذي لا يكفر المشركين بلسانه أو كالذي يصحح مذاهبهم أو يدعو للتقارب معهم، هذه كلها من النواقض القولية.

الأمر الرابع: النواقض الشكية، كأن يشك مثلًا: في كفر الكافرين، أو يرتاب في نبوة محمد ﷺ، أو في نبوة أحد من الأنبياء. هذه الأصول العامة التي ترجع إليها جميع النواقض التي نص عليها جميع الفقهاء. إما ناقض يرجع إلى أمر عملي، وإما ناقض يرجع إلى أمر اعتقادي، وإما ناقض يرجع إلى أمر قولي، وإما ناقض يرجع إلى أمر شكي. هذه هي جملة ما ذكره العلماء -رحمهم الله تعالى- في هذه النواقض.

والذي يوجب الخوف من هذه النواقض هي أن: حكم هذه النواقض لا شأن له بكون الإنسان هازلًا أو جادًا بل إن حكمها يترتب على الإنسان حتى ولو قالها مازحا أو هازلا أو جادا كما قال الله جل وعلا:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (التوبة 56-66)

فهذا مما يجعل الإنسان يخاف الخوف العظيم من الشرك، يقول العلماء رحمهم الله: ولا فرق في جميع النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره. وسيأتي الكلام عليه بعد قليل، فينبغي للمسلم أن يحذر هذه النواقض وأن يخاف على نفسه من الوقوع أو الولوج في شيء منها؛ حتى لا يستوجب سخط الله وغضبه وأليم عقابه.

ثم قال الشيخ مبينا خطر الشرك أيضا:

✦المتن: (وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل)

الضمير في قوله: (يقولها) يعني: على كلمة الكفر التي ذكرها قبل قليل.

وقول الشيخ: (وهو جاهل) يعني: أنه لا يعلم مبلغها ولا يعلم بأنها قد توجب له الخروج من الملة.

قوله: (فلا يُعذر بالجهل) هذه المسألة التي تكلم الشيخ عنها في الحقيقة طويلة الذيول، وهو عدم العذر بالجهل أو العذر بالجهل ولكن أنا أذكر لكم في باب الجهل جملًا من القواعد المقررة التي تعينكم على فهم كلام أهل العلم رحمهم الله في هذا الباب.

القاعدة الأولى: الجهل ليس بعذر في الأمور العقدية المعلومة من الدين بالضرورة.
فهناك مسائل يقول العلماء على أنها من جملة المعلوم من الدين بالضرورة فهنا لا نعذر أحدًا بجهالتها: كالعلم بوجود الله ووحدانية الله واستحقاقه للعبادة، وأن الطواف حول القبور أو الذبح للقبور أو النذر للقبور من أمور الشرك والجاهلية والوثنية -فهذه مسائل ظاهرة جلية يعلمها الخاصة والعامة من المسلمين أنها من دين الإسلام، فهذه لا يُعذر أحد بجهالتها، فإذًا نحن نتفق جميعا أيها الإخوان على أن مسائل العقيدة الكبار التي تُعلم من الدين بالضرورة لا يُعذر أحد بجهالتها.

تبقى المسائل التي هي من دقائق العلم والتي يختص بمعرفتها أهل الفن دون غيرهم، هذه هي التي يعذر الإنسان بادعاء الجهل فيها لكن لو جاءنا رجل -واللهِ جاهل مثلا- يقول: "أنا أنكر وجود الملائكة" ثم إذا عرفناه يقول: "واللهِ، أنا كنت جاهلا!" نقول: لا، قد كنت كافرا؛ لأن وجود الملائكة صار من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة. كذلك الإيمان بالكتب والرسل وقيام الساعة وغيرها من المسائل، صارت من الأمور الظاهرة الجلية التي يتفق المسلمون لمعرفتها، هذه أول قاعدة في الجهل: أننا لا نعذر

أحدًا بجهل شيء مما يُعلم من الدين بالضرورة من مسائل العقيدة. وقد نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهُ الله، ونص عليها أيضاً الشيخ محمد رحمه الله وأحفاده في مواضع من كتبهم.

هذه القاعدة الأولى واضحة؟ المسائل التوحيد الكبيرة لا يعذر أحد بجهالتها حتى ولو كانوا الأتباع في بعض البلاد التي خفي فيها نور العلم، ما نعذرهم بالجهالة؛ لأنها صارت من المعلوم من الدين، أتحداك تجهلها! أنت سمعت دعاة التوحيد يدعون ولكنك ما صدقتهم ولا أرعيت سمعك لهم.

القاعدة الثانية: الجهل المقدور على رفعه ليس بعذر.

ومعنى ذلك أن الله جلّ وعلا يقول: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِإِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل 43)

فالله جلّ وعلا أمرنا أن نرفع الجهل عن أنفسنا، فإذًا الأمر برفع الجهل حكم شرعي والأحكام الشرعية منوطة بالقدرة، فأنت مأمور برفع الجهل إذا كانت أسباب الرفع متيسرة ووسائله متحققة، فإذا كانت وسائل التعلم عندك أيها الجاهل موجودة ولا يمنعك من سلوكها إلا فقط العزيمة ولكن صَرَفَتْكَ الدنيا بشهواتها وملذاتها وشواغلها، صرفتك عن تعلم هذا النوع من العلم فأنت غير معذور بالجهل عند الله. لماذا؟

لأنك قادر على رفعه والجهل المقدور على رفعه ليس بعذر عند الله،

الذي يعجز عن الصلاة ثم يتركها هل هو مؤاخذ؟ الجواب: لا.

لكن من كان قادرا على المجيء للمسجد ولم يأتِ؛ لانشغاله بالدنيا إذًا هو يعاقب.

إذًا رفع الجهل حُكم شرعي أنت تطالب بهذا الحكم الشرعي إذا كنت قادرا؛ لأن الأحكام الشرعية منوطة بالمقدرة على العلم والعمل، وقد أجمع العلماء على أنه: لا واجب مع العجز، ورفع الجهل واجب، فإذا كنت قادرا على تحقيق هذا الواجب لِتَيَسُّر أسبابه؛ فأنت مطالب به.فإذًا هذه قاعدة مهمة! فمثلا: يقول العلماء: من نشأ في بادية بعيدة عن العلم والعلماء فوقع في مخالفة مأمور أو فعل محظور فهو معذور.

لماذا؟ لأن أسباب الجهل عنده ما يستطيع أن يرفعه فهو معذور في هذا الأمر.

كذلك إذا أسلم حربي في دار حرب فإن دار الحرب مثل إسرائيل أو غيرها هذه تخلو عن العلماء، فضلا عن عامة المسلمين، فإذًا هذا مسكين، طُرُق رفع الجهل متعذرة عنده لكن أن ينشأ إنسان بين المسلمين والعلماء عنده، وهواتف العلماء منتشرة ووسائل الاتصال متوفرة ولله الحمد ومع ذلك يدعي الجهل في مسألة وهو يستطيع أن يرفع الجهل عن نفسه فيها؟! فهذا ما يمكن أبدا أن يكون الجهل في حقه عُذرا .

ولذلك هو الذي يقول فيه العلماء (فإن كان يجهل ومثله يجهل) قوله: (ومثله يجهل) يعني أن: قرائن الأحوال تصدق أن دعواه للجهل صادقة، وإلا فالكل سيدّعي الجهل لكن هذه الدعوة لا بُد لها من برهان

وهي: أن ننظر إلى القرائن المُصاحبة لهذه الدعوة، إنْ كانت قرائن صحيحة تصدق هذه الدعوة فنصدقها لكن أغلب الناس الآن يدعون الجهل وسبب جهلهم ليس هو انقطاع الأسباب وإنما اشتغالهم بالدنيا وانصرافهم بقلوبهم إلى تحصيلها بشهواتها وملذاتها، أجل

واحد من بين المسلمين يُجامع زوجته في نهار رمضان ثم يدّعي بعد ذلك أنه جاهل بحُرمة الجماع في نهار رمضان؟

أو واحد يذبح لغير الله ويقول: "واللهِ، أنا جاهل أن الذبح لغير الله شرك"؟

واحد يدعو غيرالله ويستغيث به ويلتجئ إلى الأولياء والصالحين ويتبرك بالقبور بتربة القبور، ويضجع خده على العتبات المقدّسة ويقول بعد ذلك: "أنا جاهل"؟! لا، ما يمكن، الجهل المقدور على رفعه ليس بعذر عند الله، وضدّها القاعدة الثالثة.

القاعدة الثالثة: الجهل المعجوز عن رفعه عذرٌ في تفويت واجب أو فعل محرم.

يعني: أنه غير مُؤاخذ، يرفع المؤاخذة عن الإنسان بمعنى أنه إذا علم فإننا لا نطالبه بعد ذلك بقضاء هذا الواجب ولا نطالبه بعد ذلك بالتوبة من فعل المحظور، هذه نعمة من الله. ولذلك أيها الإخوان تأتي المستحاضة إلى النبي ﷺ فتخبره بأنها تستحاض حيضة كثيرة شديدة من حديث حمنة رضي الله عنها عند أبي داود وغيره قالت:

"يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي امْرَأَةٌ أُسْتَحَاضُ حَيْضَةً كَثِيرَةً شَدِيدَةً، فَمَا تَرَى فِيهَا قَدْ مَنَعَتْنِي الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ" (41).

إذًا عرف أنها تركت شيئاً من الصوم، وتركت شيئاً من الصلاة، إذًا عرفت أنها تركت شيئا من الصلاة، وترك الصلاة كفر والعياذ بالله، ولكنها تركتها في حال كونها جاهلة بحقيقة الحكم الشرعي، ومثلها يجهل، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يخبرها بالوجهة الصحيحة ولا يأمرها بقضاء ما فوتته من الصلاة ولا يأمرها بقضاء ما تركته من الصيام. وكذلك في حديث عدي بن حاتم أنه لما نزل قول الله جلّ وعلا:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ (البقرة 187)

فأكل في نهار رمضان ظنًا منه أنه المقصود هذا الخيط الحقيقي حتى نزل قول الله جلّ وعلا ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾

فلم يأمر النبي ﷺ أحدًا بقضاء ما فاتهُ، وكذلك حديث المُسيء صلاته النبي عليه الصلاة والسلام أمره بقضاء هذه الصلاة وإعادتها؛ لأن وقتها لا يَزال باقيًا، ويقول للنبي ﷺ: "وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي"(42)

إذًا جميع الصلوات التي صلاها في السابق كانت خطأ ولكن لم يأمره إلا بقضاء تلك الصلاة؛ لوجود بقاء وقتها.

والأدلة على ذلك كثيرة، فإذًا المعذور بالجهل هو ذلك الرجل الذي يعجز أن يرفع أسباب الجهل عنه؛ لانقطاع وسائل التعليم فيما بيننا وبينه ولكن في هذا الزمن أيها الإخوان في الحقيقة انتشرت وسائل التعليم وهذه نعمة عظيمة عندنا، هذه نعمة، صار العلم يستطيع أن يصل إلى كل أجزاء المعمورة، فما بين الإنسان وبين التعلّم إلا أن تقوم عنده الهمة في العلم فقط.

(41) أخرجه أبو داود في سننه | كِتَابُ الطَّهَارَةِ | بَابٌ : مَنْ قَالَ : إِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ تَدَعُ الصَّلَاةَ (٢٨٧)(١٤٤/١)
(42) أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابُ الْأَذَانِ | بَابُ وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ(٧٥٧)(١٥٢/١)

القاعدة الرابعة: الكافر الأصلي لا يرفع جهلُه وصفَه بالكفر.

يعني: إذا جاءنا كافر وقال: "أنتم يا علماء المسلمين ما جئتمونا وما علمتمونا وما حدثتمونا وما دعوتمونا" ويدعي الجهل فنقول: "حتى وإن كنت جاهلا فإنك موصوف بالكفر"، فإذا كان الإنسان كافرا أصليا فإنه لا يرتفع وصفه بالكفر كونه جاهلا. ومنها أيضا

القاعدة الخامسة: الجهل لا يرفع الضمان والمطالبة في حقوق المخلوقين، وإنما يرفع الإثم والضمان فيما بينك وبين الله فقط، فإنه لا بد أن تضمن حقوقهم.

قاعدة: أصحاب الفترة يعاملون معاملة الكفار في الدنيا، وفي الآخرة أمرهم إلى الله جلّ وعلا.

المُراد بأصحاب الفترة يعني: الفترة بين نبيين، بحيث أن رسالة النبي الأول قد اندثرت أو نسيت أو تلاشت أو نسيها الناس والنبي الجديد لم يُبعث، يعني في حال فتور العلم وقبض العلم وارتفاع العلم، وظهور الجهل وانتشاره، هؤلاء أصحاب الفترة،

فهؤلاء في الدنيا نُعاملهم معاملة الكفار. طيب وأمرهم في الآخرة؟ أصحّ أقوال العلم: أننا نقول أن أمرهم إلى الله، وقد وردت بعض الأدلة التي تصح بمجموعها أن الله يبعث لهم رسولا في الآخرة ويوقد لهم نارا ثم يبتليهم ويختبرهم فمن كان في علم الله أنه من أهل الجنة فإنه سيستجيب، ومن كان في علم الله أنه من أهل النار سيتكبر ويعاند لذلك يقول الله جلّ وعلا: ﴿ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا ﴾ (الإسراء 15)

وهؤلاء قد ماتوا قبل بعثة الرسول، وهم أصحاب الفترة فإذًا ..

فالقاعدة في أصحاب الفترة تقول: أصحاب الفترة يعاملون معاملة الكفار في الدنيا وأما في الآخرة أمرهم إلى الله جل وعلا، ويدخل في أصحاب الفترة المجانين، ويدخل فيهم أيضا من مات وهو صغير -أقصد من أولاد الكفار-، مَنْ مات وهو صغير من أولاد الكفار والمعاتيه والمجانين هؤلاء أيضا يُحكم لهم بحكم أهل الفترة يعني: المجنون من الكفار لا نغسله ولا نكفنه ولا نصلي عليه ولا نقبره في مقابر المسلمين إنما ندفنه مع رَبْعَه، وهو مجنون لكن أمره في الآخرة إلى الله جلّ وعلا، وكذلك الولد

الكافر الصغير الذي مات وهو كافر، ما ندفنه في مقابر المسلمين وإنما نعامله في الدنيا معاملة الكفار وأما أمره في الآخرة فهو إلى الله جلّ وعلا.

وَقَدْ وردت الأدلة بأن الله جلّ وعلا يمتحنهم ويبتليهم بما أراد في الآخرة.

قاعدة: بلوغ الحجة ومطلق الفهم شرط في قيامها على المكلف، بلوغ الحجة وفهمها شرط في قيامها على المكلف.

وهذه القاعدة تبرز لك الشروط التي بها تقوم الحجة على المكلف فهي شرطان:

الشرط الاول: بلوغها، فَمَنْ بلغه القرآن والوحي فقد قامت عليه الحجة، يقول الله جلّ وعلا: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (الأنعام 19)

إذًا لا بد من بلوغها، سماعها: سماع الحجة يعني. طيب،

الشرط الثاني: مطلق فهمها، لا بد من مطلق الفهم.

وهذان الشرطان مُتفق عليهما بين العلماء لم يُخالف فيها أحد، انتبهوا على التحقيق الذي سأقوله الآن:

أما اشتراط البلوغ فلا خلاف فيه بين أهل العلم،

وأما اشتراط الفهم فإن العلماء فيه على قولين ..

لكن خلافهم هذا بعد النظر والتحقيق تبين أنه خلاف تنوع لا خلاف تضاد، فإن من أهل العلم مَن يشترط الفهم لقيام الحجة، ومِن أهل العلم من لا يشترطها، وبعد النظر في كلامهم وجدنا أن الذين لا يشترطون الفهم إنما ينفون الفهم المطلق: كفهم أبي بكر وعمر، وهو الفهم الذي يعقبه الامتثال، فهذا ليس بشرط في قيام الحجة يكفيك أن تسمع الحجة وتفهمها ولو شيئا يسيرا من الفهم لكن لا يشترط أن تفهمها الفهم المطلق كما فهمها أبو بكر وعمر، هل هذا شرط في قيام الحجة؟ الجواب: لا، وإلا لما قامت الحجة على أحد من الخلق الآن، فإذًا الفهم الكامل ليس بشرط لإجماعهم، والذين قالوا بأن: "الفهم شرط" لا يقصدون به الفهم المطلق إنما يقصدون به جزءًا من أجزاء الفهم؛ حتى يخرج الإنسان عن دائرة المجنون والبهيمة فقط! البهيمة تسمع القرآن ولا لا؟

لكن هل عندها مطلق الفهم حتى تقوم عليها الحجة؟ الجواب: لا؛ فإذًا لا بد من بلوغها وسماعها، ولا بد من مطلق الفهم وإلا لقامت الحجة على البهائم والمجانين.

المجنون يسمع الآية ولا لا؟ لكن هل تقوم عليه الحجة؟ الجواب: لا، لماذا؟ ما الشرط الذي اختل؟ مطلق الفهم. فإذًا ..

الفهم المُطلق ليس بشرط في قيام الحُجة بإجماع العلماء.

ومُطلق الفهم شرط في قيام الحُجة بإجماع العلماء.

إذًا صار في المسألة ثلاثة إجماعات:

الإجماع الأول: أجمع العلماء على أن بلوغ الحجة شرط في قيامها.

الإجماع الثاني: أجمع العلماء على أن مطلق الفهم شرط في قيامها.

الإجماع الثالث: أجمع العلماء على أن الفهم المطلق ليس بشرط في قيام الحجة.

وأنتم تعرفون الفرق بين مطلق الشيء والشيء المطلق ولا ما تعرفون؟

الشيء المطلق: هو كل الشيء. فإذا قلت الفهم المطلق يعني: كل الفهم.وإذا قلت

مطلق الشيء: بعض الشيء.

فإذًا مُطلق الفهم: هو بعض الفهم، والفهم المُطلق: هو كل الفهم

وبهذا التقرير ترى أن كلام الشيخ رحمهُ الله شيخ الإسلام المُجدد محمد رحمه الله أحيانا يشترط الفهم وأحيانا لا يشترط الفهم، فإذا رأيته في موضع ينفي الفهم فإنما ينفي الفهم المطلق وإذا رأيته يشترط الفهم فإنما يشترط مطلق الفهم وعلى ذلك يجتمع كلام العلماء وينتهي الإشكال فيما بينهم، إذًا قاعدتنا صحيحة وهي أن: الحجة لا تقوم إلا ببلوغها ومطلق الفهم.

القاعدة التي بعدها ولا خلاص يكفينا هذا؟ لعل هذا كافي لأن القاعدة التي بعدها مفهومة، وهي أن: التكفير بالوصف العام لا يستلزم تكفير الأعيان إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع (لمن أراد أن يكتبها)

أن التكفير بالوصف العام لا يستلزم تكفير المعين إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع، وهذه القاعدة مهمة أيضا وهي أننا نقول: إننا نحكم على العوام إذا وقعوا في مخالفة عقدية بأنهم كفار، لأنهم مثلا وقعوا في مخالفة عقدية مما هي معلومة من الدين بالضرورة ولكن هذا حكم بالوصف العام على العوام في هذه البلد لكن لا ينطبق هذا الحكم على كل عاميّ إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع،

فإذًا أهل السنة في التكفير لهم طريقان:

طريق عام، وطريق معين: التكفير بالوصف العام، والتكفير بالأعيان

أما التكفير بالوصف العام فمعناه: تكفير الأقوال وتكفير الأفعال، مَنْ قال: كذا فهو كافر، مَن فعل كذا فهو كافر. هذا التكفير العام لا يجوز أن ينطبق على كل فرض من أفراض عمومه عينًا إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع بمعنى أن:

هُناك محطات لا بد من الوقوف عندها والتأكد من وجودها قبل أن ننتقل بالحكم من العموم إلى الخصوص.

المحطة الأولى: محطة العلم، فلا يجوز أن نحكم على المعين بالكفر إلا إذا كان عالما.

المحطة الثانية: محطة العقل، فلا يجوز أن نحكم على المعين بالكفر إلا إذا كان عالما عاقلا. واضح ولا لا؟

المحطة الثالثة: محطة البلوغ، فلا يجوز أن نحكم على الصغير بالكفر إذا كان وقع في شيء من المكفرات. هذه ثلاث محطات ويسميها العلماء: (شروط تكفير المعين)

المحطة الرابعة: محطة الاختيار، وضده الإكراه.

المحطة الخامسة: محطة القصد، وضده الخطأ ولذلك مَا حكم النبي عليه الصلاة والسلام على الرجل الذي قال: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك" ما حكم عليه بالكفر، لماذا؟ إيش المحطة التي اختل عنده؟ محطة القصد، ما قصد، هو ما قالها قاصدا للكفر وإنما سبق لسانه بذلك الخطأ.

المحطة التي بعدها وهي أكبر المحطات عند أهل السنة التي يعذرون بها من يخالفهم:

محطة عدم التأويل، يعني: عدم وجود الشبهة التي أوجبت له هذا الكفر.

هذه محطات، ست محطات أو خمس محطات

المحطة الأولى: محطة العقل. المحطة الثانية: العلم.

المحطة الثالثة: البلوغ. المحطة الرابعة: الاختيار.

المحطة الخامسة: القصد. المحطة السادسة: عدم التأويل.

فإذاً لا يجوز للإنسان أن يَنْقُلَ الحكم بالتكفير من العموم إلى الخصوص المعين إلا من بعد التأكد من هذه المحطات،

وضد كل محطة، يعني: ضد كل شرط من هذه الشروط مانعٌ.

فالعقل شرطٌ والجنونُ مانعٌ، والعلم شرط والجهل الذي يُعْذَر فيه صاحبه مانع، والبلوغ شرط والصغر مانع، والاختيار شرط والإكراه مانع، والقصد شرط وعدم القصد مانع، وعدم التأويل شرط ووجود التأويل مانع.

فإذًا لا يجوز أن نحكم على المعين بأنه كافر إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع.

وسر المسألة أن العلاقة بين العموم والخصوص عند أهل السنة ليست علاقة ذاتية، إن العلاقة بين الحكم العام عند أهل السنة والحكم الخاص ليست علاقة ذاتية بل هي علاقة منبثقة من وجود هذه الشروط وانتفاء الموانع.

خلافًا للخوارج والوعيدية الذين يجعلون هناك تلازمًا ذاتيًا بين وجود الكفر والحكم به. مَنْ وقع في الكفر (عند الوعيدية) مباشرةً يكفر؛ لأن فيه تلازم ذاتي بين الحكم على الفعل والحكم على فاعله.

وأما أهل السنة: يعطون الفعل حُكمًا خاصًا ولا يَعُدُّون هذا الحكم إلى فاعله إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع.

إذاً الخلل الذي يقع فيه الوعيدية هو: اعتقاد التلازم بين الفعل والفاعل.

الهداية التي وفقّ الله لها أهل السنة هي: فَكُّ التلازمِ بينَ الفعلِ والفاعل، ونعطي الفعل حكمًا خاصًا ثم لا نعدي هذا الحكم من الفعل إلى الفاعل إلا بعد النظر في هذه المحطات التي يقول العلماء فيها ثبوت الشروط وانتفاء الموانع

فقول الشيخ -رحمه الله- : وقد يقولها وهو جاهل، أيّ جهل يقصد الشيخ؟

الجهل الذي لا يُعذر فيه صاحبه. يقصد الشيخ هنا: الجهل الذي لا يعذر فيه صاحبه، وهو الجهل الذي يكون في الأمور العقدية الكبيرة أو الجهل الذي يستطيع الإنسان أن يرفعه عن نفسه.

الجهل الذي يقصده الشيخ: الجهل الذي لا يُعذر فيه صاحبه.

وحسب القواعد التي درسنا أن الجهل الذي لا يعذر فيه صاحبه، أي جهل؟ هو الجهل في المسائل العقدية الكبيرة والجهل الذي يستطيع أن يرفعه عنه صاحبه. نعم.

✦المتن:

(وقد يقولها وهو يظن أنها تُقربهُ إلى الله تعالى كما ظن المُشركون، خصوصاً إن ألهمك الله ما قص على قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين) :

﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف 183)

فحينئذٍ يَعظم خوفك وحرصك على ما يُخلّصُك من هذا وأمثاله ؛ أي: من الكفر والشرك وأسبابه حينئذٍ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله الإشارة أي: الكفر وأسبابه، إذا عرفت أن الإنسان قد يقع فيه حتى على جلالة قدره، ربما يقع الإنسان في شيء من الأمور الشركية على جلالة قدره وعلو باعه في العلم: كالمؤمنين من أصحاب موسى لما أنجاهم الله جلّ وعلا، وأقدامهم لم تنشف بعد قالوا: "يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة" لَمَّا رأوا قوماً يعبدون شيئاً قالوا: "يا موسى، اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة!" الآن وهم مؤمنون وهم خيرة أصحاب موسى فوقعوا في ذلك، وكذلك أصحاب النبي ﷺ من مؤمني أهل مكة، وَهُمْ حدثاء عهد بكفر لما مرُّوا على قوم لهم سدرة قالوا:

" يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ " (43)

الحديث، وهم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أزكى الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأشدها فهمًا! هذا مما يجعل الإنسان يخاف من الشرك حتى وإن بَلَغْتَ في العلم ما بلغت لا تأمن من الشرك، فإن مما يجعل العبد يخاف هو أن الإنسان قد يقع في الشرك حتى وإن كان من أصحاب الكمالات،

ولذلك اسمع إلى حقول النبي ﷺ يُخاطِب أفضل وأزكى مَنْ وطئتْ قدمُه الثرى من هذه الأمة، يقول: " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ " (44)

الله؟! هم بعد ما زلت تخاف عليهم مع هذا العلم العظيم؟ مع ذلك الإيمان الكبير؟ أناسٌ زكاهم الله في القرآن ومدحهم وأثنى عليهم بالثناء العَطِر في القرآن الكريم؟ وكل من أثنى الله عليه في القرآن بالخير فإنه يموت على ذلك، ومع ذلك يقول لهم:

" أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ" ، إذًا ما في مرحلة يأمن الإنسان فيها من الشرك والخوف منه، ما في أبداً، ولذلك إذا أحسست في قلبك شيئاً من الأمان من الوقوع في الشرك؛ لأنك عالم وأنك الآن عرفت، اعلم أنك بدأت في العد التنازلي الآن، الآن بدأت الآن أن تنفتح عليك أبواب الشرك، وكما قال العلماء: "مَنْ أَمِنَ النفاق فهو منافق".

فيجب على الإنسان أن يخاف وأن يتقي الشرك ولا يكون ذلك إلا بمعرفة التوحيد وحقيقته وما يضاده من الشرك ووسائله.

---

(43) - أخرجه أحمد في مسنده | مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ | حَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ (٢١٨٩٧)(٣٦/٢٥٥)

(44) - أخرجه أحمد في مسنده | مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ | حَدِيثُ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ (٢٣٦٣٦)(٣٩/٤٣)

كشف الشبهات

بشرح فضيلة الشيخ

وليد بن راشد السعيدان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

المحاضرة السابعة (المقطع الثالث من الدرس الثاني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المتن (واعلم أن الله سبحانه مِن حكمته لم يبعث نبيًّا بهذا التوحيد إلا جعَل له أعداء)

وهذه سنة الله في خلقه وهذه سنة عظيمة كونية أن الحق لا بد أن يكون له أعداء وأن الحق لا بد أن يكون له مضادون يمنعونه ويدفعونه ويخططون لقتله وإزهاق روحه هذه سنة لا يمكن أبدًا أن تندثر من هذا الكون حتى يرث الله الأرض ومن عليها سنة كونية

يقول الله جلّ وعلا: **"﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)**[1]

وهذا يرجع إلى عدة حكم يريدها الله جلّ وعلا

الحكمة الأولى: والتمحيص والابتلاء.

فإن الدعاة لا بد أن يواجَهوا بمثل هذه العداوة حتى يمحصهم الله ويرفع رتبتهم إذا صبروا ولذلك عندنا قاعدة في هذا الصدد تقول (الابتلاء سنة) الابتلاء سنة والمراد بها سنة كونية في أوائلها ولكنها سنة شرعية في حكمها وغايتها والمصالح المترتبة عليها فإذاً الابتلاء سنة بل يقول العلماء رحمهم الله قاعدة (إذا رأيت الداعية لا يبتلى فاتهم دعوته) إذا رأيت الداعية ما يبتلى فاتهم دعوته لأنه لو كان صادقًا في دعوته ومخلصًا لله في قصده وطلبه ليسَّر الله له هذه السنة لذلك إذا رأيت الداعية قد كثُر أعداؤه فاعرف أنه إن شاء الله على خير ولذلك أعظم من عودي هم أنبياء الله وذلك لعظم رتبتهم وصدقهم وإخلاصهم عند الله جلّ وعلا

[1] الأنعام (١١٢)

إذاً هذا أول حكمة من حكم وجود العداوة للأنبياء ووجود العداوة للحق ووجود الصراع بين الحق والباطل.

الأمر الثاني: حتى يَشِعّ شعاع الحق ويظهر نوره وترسخ قدمه فإن الحق لا يظهر نوره ولا يشع شعاعه ولا ترسخ قدمه إلا إذا قاومه أهل الباطل. هذه نعمة عظيمة على ذلك قول الشاعر في البيت اللي تعرفونه..

قال وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسودِ

فإذا أراد الله جلّ وعلا أن يُظهر الباطل فإنه ييسر للباطل أعداء فأحيانًا يُظهر الأعداء من الحق مالا يستطيع أهل الحقِّ أن يُظهروه، أحيانًا يُظهر أهل الباطل من الحق مالا يستطيع أهل الحق أن يظهروه وهذا له أمثلة كثيرة؛ فإذاً هذه الحكمة الثانية.

1. الحكمة الثالثة: حتى يتميز الخبيث من الطيب حتى يميز الله جلّ وعلا الخبيث من الطيب **(وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ)** [2]كما قال الله جلّ وعلا.

يقول أحد العلماء كلمة وهي حكمة يقول: كلما عظُم عَدُّوك كلما ظهر رونق الحق الذي معك. كلما عظم عدوك وكثر وتعدد أعداؤك كلما ظهر رونق الحقِّ الذي معك يقول بن تيمية - رحمه الله تعالى – "انتبه " (إن من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين بيان حقيقة أنباء المرسلين هو ظهور المعارضين لهم) [3] ولذلك متى ظهر فضلُ عائشة رضي الله عنها؟ وأُثبت فضلها في كتاب يتلى إلى يوم القيامة لما تُكلِم فيها

---

[2] الأنفال 37

[3] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٨٥/١)

هذه سنةُ الله لكن يجب على الإنسان أن يقابل هؤلاء الأعداء بالصبر واحتساب الأجر والمجاهدة وعدم الانصياع لهم أو الذل أو الخنوع لهم يقول العلماء - رحمهم الله - نقلاً طيب

يقول العلماء – رحمهم الله -: إنَّ الحق إذا جُحد وعورض بالشبهات أقام الله تعالى له مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة متى ظهرت عصى موسى؟ وصارت آية من آيات الله جلّ وعلا؟ لما عورض الحق، متى ظهرت آيات الأنبياء لو أن الأنبياء وافقتهم أممهم ولم يعادوه

هل ظهرت المعجزات والبراهين والآيات والدلالات دلّ على وحدانية الله وقدرته وكمال عظمته.. الجواب لا، فإذًا كلما اشتدت معارضة الحق كلما أشرق نور الحق سبحان الله أنا أمثل أن الحق مثل المسمار كلما ضرب رأسه كلما أزداد ثبوته

الحق كالمسمار كلما ضرب رأسه بالجدار كلما ازداد ثبوته وهذا يبعث الطمأنينة على الحق لأن الدين دين الله والكلمة كلمة الله والله هو الذي يحفظ دينه ويُعلي كلمته وإنما نحن أسباب فقط في نشر هذا الحق وإلا فالدين دين الله ما يستطيع أحد أن يعارض دين الله ولا أن يهلك دين الله لكن هذا من جملة الابتلاء الذي يبتلي الله به

إذاً كمْ ذكرنا من فائدة

الفائدة الأولى: لتحقق الابتلاء والتمحيص والامتحان

الثانية: لظهور رونق الحق.

الثالثة: حتى يميز الخبيث من الطيب...

نعم

المتن: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)[4] وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال الله تعالى

نعم وهو الواقع

ترى أهل الباطل ليسوا خِلصًا من المؤلفات وليسوا خِلصًا من الحجج والبراهين لا... عندهم حجج وعندهم كتب وعندهم مؤلفات وعندهم علماء وعندهم مخططات وعندهم مؤتمرات وعندهم أموال ينفقونها في الباطل...

يقول الشيخ قد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال الله جلً وعلا " **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ)**[5] فأثبت الله أن عندهم علم ولكن اعلموا أيها الإخوان أنه ضدهم لا لهم ولذلك عندنا جمل من القواعد في مسألة حجج الكفَّار وما يأتي به الكفَّار من الشبه والحجج والخيالات عندنا فيها قواعد طيبة وهي مجادلة أهل الباطل عندنا قواعد في مجادلة أهل الباطل وفي علومهم.

القاعدة الأولى: ما من دليل حق يستدل به المبطل إلا وهو عليه لا له. وهي قاعدة عظيمة عند أبي العباس بن تيمية

اعلموا أن المبطل إذا جاءك بحجة على باطل فإنها مع التمحيص والتدبر والنظر فهي في الحقيقة حجة عليه لا له خاصةً إذا احتج بشيء من آيات القرآن أو السنة فالقرآن ما يدل على الشرك فإذا رأيت المشرك يستدل على شركه بالقرآن اعرف أنه إنما أوتي من فهمه الفاسد حجه عليه لا له ولكن هذا الأمر يحتاج إلى نظر وإلى تدقق وإلى معرفة حجة الخصم وتعرف المدخل الذي تستطيع أن تدخل على حجته من طريق ثم تقلب حجته عليه وهذا قد أجاد به أبو العباس بن تيمية كثيرا

---

[4] الأنعام 112

[5] غافر 83

هؤلاء يأتون بحجج ثم يقول وهو في الحقيقة حجة عليهم لا لهم ثم يبين ثم يعاود يتحسف يقول يا ليتني ما قلت شيئًا لأنه كلما جاء بحجة قلب أهل الحق حجته عليهم للإيمان بهذه القاعدة قاعدة عظيمة ما من دليل حق دليل حق لا بد أن يصير دليل حق.

ما من دليل حق يستدل به المبطل على باطله إلا وهو في الحقيقة عليه لا له لكن يحتاج إلى تمحيص ويحتاج إلى نظر ويحتاج إلى تأمل

الثانية: لا حجة لمبطل

اسم جنس دخلت عليه اللام النافية فتفيد الاستغراق ما عندهم حجج ترى جميع المخالفين للرسل والله ما عندهم حجة أقسم بالله ما عندهم حجة أبدا.

أليس يستدلون؟ نعم هم يستدلون بأشياء يظنون أنها حججا وهي في الحقيقة شبه وخيالات وخرافات وأهازيج يأتون بها من هاهنا وهناك من زخرف القول الذي تمليه عليهم شياطينهم وإلا ففي الحقيقة لا حجة لمبطل اعرف أن جميع أهل الباطل ما عندهم حجة ما عندهم حجة أبدا، ما يمكن أن يأتي أهل الباطل بحجة لكن جميع ما يستدلون به إنما هو في حقيقته شبه وأوهام وخيالات وخرافات هم يسمونها حجج وبراهين ولكن هي في حقيقتها شبه كما قال الخطَّاب - رحمه الله –

شبه تهافت كالزجاج تخالها حقًا وكلٌّ كاسر مكسور

يعني أنها لا خير فيها ولا شيء فيها.

ولذلك يقول بن تيمية - رحمه الله – وهؤلاء يستدلون بأشياء يظنونها حجج قاطعة وهي في حقيقتها خيالات وأوهام... شيطانية مالها شيء أبدا لا حجة لمبطل احفظوا هذه القاعدة قبل ما نبدأ في الشبه التي سيذكرها الشيخ وخمسة وعشرون شبهة احفظوا هذه القاعدة: (لا حجة لمبطل) ولذلك سوف تجد سذاجة العقل في هذه الشبه التي سيذكرها الشيخ

هذه حجج هذه تجعلهم يتركون التوحيد الحجج ذي والشبه!!

ولكن أحمُد الله على التوفيق والسلامة هي عندك ما بشيء لكن عندهم حجج عظيمة وبراهين قاطعة وأدلة دافعة يريدون يدمغوا رأس الشيخ بها وهي في حقيقتها ليست بشيء أبداً

القاعدة الثالثة: مقام الجدل لأهل العلم الراسخين

مقام مجادلة أهل الباطل لأهل العلم الراسخين؛ يعني إن الإنسان في مقام المجادلة لا ينبغي أن يقحم نفسه فيها إلا إذا كان من أهل العلم الراسخين لأن مقام المجادلة مقام مناصرة ومغالبة الآن فلا يفلجنك أهل الباطل فإن انهزام صاحب الحق انهزام للحق الذي معه هذه مشكلة كبيرة جداً الناس يظنون أنك بانهزامك تنهزم فكرتك ينهزم منهجك فإذاً لا يُنصب أهل السنة لمناظرة أهل الباطل إلا العارفون بالعلم إلا الراسخون في العلم فإذاً مقام المجادلة ليس مقامًا صالحًا لكل أحد لا بل لا بد أن يخص بأهل العلم الراسخون النبيهين ليس كل من هب ودب يجادل ونحن نشكو إلى الله شجونا من كثير من عوام المسلمين بحسب القدرة على الدخول في مواقع الرافضة وغيرهم تلقى العوام الآن بدئوا يناقشونهم في مناقشات ولذلك يكثر سؤالنا وغيرنا من هؤلاء العوام والله أنا دخلت في موقع شيعي وقال كذا ،أنت ايش خلاك تدخل فيه أصلاً لا يجوز لك الدخول فيه لست من أهل العلم الراسخين ولا من العارفين بالعلم ولا بالحجج ولا كيفية ترتيب الكلام حينئذ لا يجوز لك الدخول فيه ولذلك ستأتينا قاعدة مهمة في هذا الباب أيضًا بس قبل ما ننتقل إليها فإذا مقام الجدل يخص به أهل العلم العارفون أهل العلم الراسخون متفق عليه يا جماعة مثل شيخ الإسلام محمد - رحمه الله – مثل شيخ الإسلام بن تيمية هؤلاء هم. هذه مقاماتهم

قاعدة مهمة: قاعدة منهج السلف التخويف من النظر في الشبه.

كما ذكره الإمام الصابوني - رحمه الله - في عقيدته وبين أن النظر في الشبهة قد يوجب تشرب القلب قد يوجب تشرب القلب لها والوقوع في حبائلها. فإن الشبهة خطافة وإذا مرت على القلوب غرت كما قاله العلماء - رحمهم الله تعالى -.

فإذاً السلامة لا يعدلها شيء فالمنهج العام السلفي هو عدم النظر في الشبهة عدم الخوض عدم المجادلة في الحق عدم الدخول والولوج في المناظرات والمهاترات الكلامية التي فيها تجاذب بين الحق والباطل.

السلامة لا يعدلها شيء لأنه ربما تعرض عليك شبهة أو تنظر في شبهة ثم تقع في قلبك موقع عظيمًا فلا يطفئها حينئذٍ نور الحق هذه مشكلة إذاً السلامة أن تحمي قلبك وعقلك وسمعك عن النظر في الشبه ويكون ذلك من مقامات العلماء الراسخين وأما عوام المسلمين وأنصاف المثقفين مثلي وأمثالي هؤلاء ينبغي لهم أن يحجروا أنفسهم ويحجزوا أنفسهم وأن يمنعوا أنفسهم من الوغول في ذلك.

ولذلك كره السلف - رحمهم الله – أن ينشأ كتاب فيه ذكر الشبهة مع جوابها كالإمام أحمد وغيره

بل إن الإمام أحمد جعل من جملة القوادح في الراوي أن يجمع شُبه القوم..

لأنه ربما في الزمان تأتي الأرضة تأكل الجواب وتبقى الشبهة، من باب حماية الدين حماية جناب التوحيد، من باب سد الذرائع

يعني لا تجمع لي في كتاب شبه والجواب عنها لكن لا جرم أن لكل مقام مقال... فإذا كثرت اَلشُّبَه فلا بد أن ينتدب لها أهل العلم في ردها حتى لا يكون انتشارها بين المسلمين سبيلاً لفساد عقيدتهم....، هذا ما أردت أن أبينه

قاعدة أخرى: كشف الشبهة من فروض الكفايات

فإذاً إذا كان الإنسان قد تشرَّب قلبه بشيء من الشبه ويحتاج إلى بعض علماء المسلمين أن يكشفها عنه فإذا كشف الشبه من جملة واجبات العلماء وهو منهج القرآن.

منهج القرآن أنه يكشف الشبه التي يتفوه بها المشرك ثم يجيب عنها تجيب عنها.

يقول الشيخ: وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج لكن والله العظيم جميع جهود الكفار عليهم لا لهم. كما قال الله جَلَّ وعلا﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ**)[6]

أحمد ربك يبنون المؤتمرات وينشؤون تلك المواقع ثم ترجع عليهم لا لهم لا تأتي بالنتائج المطلوبة لهم بل تأتي بضد ذلك لأن الله أخذ العهد على نفسه أنهم سينفقون هذه الأموال الطائلة التي لا عد لها ولا حصر ثم تكون تلك الأموال حسرة عليهم ثم في النهاية يغلبون في هذه الدنيا والذين كفروا إلى جهنم يحشرون.

هذه عقوبتهم في الآخرة إذاً هم خاسرون خائبون ضائع سعيهم في الدنيا وضائع سعيهم وجهدهم في الآخرة...

المتن (إذا عرَفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداءٍ قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج)

نعم

لا يمكن أبدًا أن يتركك أهل الباطل تصل إلى الله بل يزرعون في طريقك الألغام ويضعون في طريقك قطاع الطرق من شياطين الإنس والجن يصدونك عن سبيل الله،

[6] الأنفال36

ولذلك الله جلّ وعلا بين أن هناك طوائف من الذين كفروا ولم يكتفوا بكفرهم فقط ويصدون عن سبيل الله.

فإذاً بينك وبين الله عقبات ومصاعب وألغام وحفر وقطاع طرق فما الواجب علي تجاه ذلك؟ يجب عليك أن لا تسلك الطريق عِزلًا عن السلاح لا بد أن يكون معك سلاح في طريقك والمراد بهذا السلاح إنما هو سلاح العلم والبيان والحجة فإن أهل الباطل إذا أدلوا بحجتهم وردت هذه الحجة بالحجة فإن الإنسان حِينئِذٍ سيبعد تلك العقبات عن طريقه.

والعجب من هؤلاء لا يتركون أحدًا في حاله من أهل الخير أبدًا يشوهون سمعتهم ويقدحون في نياتهم ويؤذونهم في أبدانهم وأعراضهم وأموالهم ولا يجدون مسلكًا من مسالك إيذاء أهل الحق إلا ويطرقون ولا يقصرون في طريقه أبدًا يقول الله جلّ وعلا "﴿ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ ﴾ [7]أبدًا لا يجدون طريقًا و وَمَسْلَكًا من مسالك إيذاء الآخرين إيذاءً الآخرين إيذاء أهل الحق إلا ويسلكونه ولا يقصرون في سلوكها أبداً.

ثم العجب في وصف الشيخ لهم قال أهل الفصاحة وعلم حجج لا تظن أنك صاحب الفصاحة فقط فكمْ من منافق عنده لسان والله يلوك الجبال وتسقط بسببه فصاحته النجوم من السماء كما قال ﷺ"إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا"[8]كمْ من أناس يزخرفون القول يزخرفون باطلهم بالقول ويزينونه ويلينونه بالكلمات المعسولة التي تجتذب النفوس وتعشقها القلوب فهم أهل فصاحة وأهل لسن لكنهم سخّروا تلك النعمة التي هي اللسان والفصاحة والعلم سخروها في معصية الله جلّ وعلا في الصدِّ عن سبيله.

---

[7] التوبة 8

[8] أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابُ الطِّبِّ. | بَابٌ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا(٥٧٦٧)(١٣٨/٧)

ولذلك كان الصحابة كعمر وغيره يقولون إن أخوف ما نخاف منافق صاحب لسان يجادل بذلك يجادل بالباطل والعياذُ بالله وهناك من أهل الباطل إذا سمعته يتكلم عن الاختلاط أو يتكلم عن قيادة المرأة كأنه يتكلم في مقام الناصح للأمة وأنه يريد للأمة سعادتها وانشراح والمحافظة على الأعراض.

كما قال الله جلّ وعلا وهو أصدق الواصفين والقائلين: " **يوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** "[9] هذا هو فما الواجب عليك؟ الواجب عليك ألا تسلك الطريق إلى الله خُلُوًّا عن السلاح بل لا بد أن يكون معك سلاح على أهل الباطل وتكشف عنهم الشبهة وتصدّ عنك الأمر الذي يوجب قبوله خسارتك في الدنيا والآخرة.... الله المستعان

المتن (فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يَصير لك سلاحًا)

هذا هو لأن السلاح قسمان: سلاحٌ حسي وسلاحٌ معنوي ولا بد لأهل الحق من هذين السلاحين.

السلاح المعنوي هو سلاح الحجة والبيان، والسلاح الحسي هو سلاح الرمح والبندقية والسنان، فلا بد منهما جميعًا ولا يكفي

لا يبلغ الحق كماله إلا بالسلاحين جميعًا الله جلّ وعلا يقول: " يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ "[10].

سلاح الحجة والبيان طيب ما استجابوا انتقل للسلاح الثاني وأنزل ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**[11] ﴾ فالذي ما ينفع معه سلاح الحجة

---

[9] سورة الانعام آية (112)

[10] سورة التحريم آية (9)

[11] الحديد 25

وسلاح البيان وكشف الشبهة والدعوة بالخير والكلمة والموعظة والنظرة المشفقة عل طول مباشرةً السلاح الثاني.

السلاح الثاني هو سلاح القوة سلاح اليد، ولذلك لمَّا اجتمع السلاحان في عهد الإمام محمد بن عبد الوهاب فسلاح الحجة والبيان يملكه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسلاح القوة والحديد والنار يملكها الإمام محمد بن سعود.

انتشرت دعوة الحق واندحرت دعوة الباطل وظهرت معالم التوحيد وَخَفِيَتْ معالم الشرك والوثنية ولا نزال في بركات هذه الدعوة إلى هذا العصر بل إن شاء الله إلى أن تقوم الساعة بإذن الله الواحد الأحد لن ينساها الناس.

بل لم تقتصر على هذه المنطقة التي ظهرت فيها وانتشرت وإنما انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها حتى صار كتاب التوحيد وكشف الشبهات يدرّس في أدغال أفريقيا ويدرّس في جبال الصّين يدرسونه نعمة عظيمة لكن متى؟ إذا اجتمع الأمران جميعًا.

فإذاً لا تمشي في طريقك إلى الله مع كثرة أهل اللسن والفصاحة والمعادين لك في طريقك لا بد أن يكون معك السلاحان: سلاح الحجة والبيان وسلاح السيف والسنان.

لكن أنتم تعرفون أن سلاح السيف والسنان ليس مرد التصرف فيه لآحاد الناس والأفراد إنما أمره إلى أهل الحل والعقد لكن يبقى السلاح الذي يستطيع أن يتصرف فيه الأفراد وهو سلاح الحجة والبيان وهو أقوى من سلاح السيف والسنان أقوى بكثير. بل لا يقوم معه سلاح القوة ولا شيء أبدًا القوة الحقيقية قوة الأمم إنما هي فيما تحمله من العلوم والمعارف ليست فيما تحمله من القوات العسكرية لا أبدًا

أخطأت ولذلك لمّا اجتمعت القوة الجسدية في العفريت في عهد سليمان "(**قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**[12])

هذه قوة ولكن في قوة أقوى منها وهي القوة العلمية "قال الذي عنده علمٌ من الكتاب" ما وصفه ولكن وصفه بقوة العلم فغلبت القوة العلمية على القوة الجسدية استطاع الإنسان بعلمه أن يحقق ما لم تستطيع القوة الجسدية أن تحققه في أوقات طويلة ولذلك لمّا اجتمع

قال (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم) وهي القوة العلمية، والجسم وهي القوة الجسدية فإذًا القوة اجتماع القوتين نورٌ على نور لكن الاهتمام في المقام الأول لا بد أن يكون في القوة على القوة العلمية.

فالأمم لا تعظم بقوتها المادية الجسدية ولا العضلات وإنما تعظم بقوتها العلمية فمقدار كل أمة ما تُحسنه هذه الأمة من العلوم والمعارف. الأمم تقوى بعلمها بتعليم أفرادها وهو الأمر الذي يراد بالأمة الآن أن تبعد عن خصخصة مناهج التعليم أبعد الناس عن معرفة العلم الحقيقي المحتاج له ألغيت المواد الشرعية وجعل محلها مَوَادّ علمية بحتة دنيوية رياضيات، كيمياء، فيزياء مع احترامي لهذه العلوم لكن تكون على حساب هذا العلم الصحيح الذي به قوامُ الأمة وبه قوتها هذه مشكلة البنت الآن تتخرج من الكلية ولا تعرف مسألة من مسائل الحيض ولا تعرف شيئًا من مسائل الحيض ولا تعرف مسائل النفاس وهي أخص خصائص أمورها. إذاً الأمة يرادُ بها الآن أن تبعد عن القوة الحقيقية وهي قوة العلم ولذلك الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما انتصروا في يوم بدر بالقوة الجسدية..... لا القوة الجسدية والمادية مع من؟ مع الكفار ألف وثلاثمائة كافر مدججون بالسلاح وهؤلاء ما خرجوا أصلًا للقتال.

---

[12] النمل (٣٦)

المسلمون ما خرجوا للقتال وإنما خرجوا لعين أبي سفيان

فإذا خرجوا بسلاح مشي حالك لكن كيف انتصروا عليهم بالقوة العلمية، قوة التوحيد... قوة الإيمان... قوة المعرفة، قوة الفهم.

إذًا لا تمشي في الطريق إلى الله خُلُوًّا عن السلاح فإنه سوف تتخطفك اَلشُّبَه سوف يرصد لك الأعداء مراصد كثير جِدًّا فلا بد أن تكون مسلحًا بعلمك وفهمك ومعرفتك ودرايتك وخبرتك حتى تستطيع أن تتجاوز تلك العقبات وحتى تصل إلى الله جلّ وعلا هذا.. نعم.

المتن فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحًا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامُهم ومقدَّمُهم لربك: (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُأَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) [13]

يعني أنه لم يبقَ لنا جهة من الجهات الست إلا جهتين:

الجهة الأولى: الفوقية لعلمه بأن الله فوق عباده

والجهة الثانية: جهة السفلية لكبره وغطرسته فلا يأتينا من تحت أقدامنا لتكبره لا يأتي من تحت أقدام بني آدم، فالشاهد أن الشيطان قد جلس لبني آدم في كل مرصد من مراصد طريقه يأتيك عن طريق الخير ويأتيك عن طريق الشر، كيف يأتيك عن طريق الخير؟ لعلك تغلو في شيء من الخير

كيف يأتيك عن طريق الشر؟ يزينه لك حتى تؤخر التوبة أو يؤخرك عن التوبة.

---

[13] الأعراف (١٧)

وإن أعظم ما عورض به الشيطان ذكران:

الذكر الأول: كلمة التوحيد وكثرة الاستغفار هذه تقتل الشيطان قتلًا عظيمًا جِدًّا لا إله إلا الله واستغفر الله هذه تقتل الشيطان قتلًا عظيمًا قالوا لماذا؟ قالوا لأن لا إله إلا الله تجبر الخلل الذي حصل بسبب الشيطان في التوحيد واستغفر الله تجبر الخلل الذي حصل بسبب الشيطان في الإيمان فإذا لا إله إلا الله تلملم التوحيد واستغفر الله تلملم بعثرة الإيمان. فالشيطان يكره الذكرين هذين ولذلك جُعلت من أحب الكلام الذي يسمعه الله بعد القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وفي الحديث "طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا"[14] فالاستغفار مع كلمة التوحيد من أعظم ما يكوبهذه حربا لهذا الشيطان ، الشيطان يبني في قلبك أشياء كثيرة من الشبه والشهوات فإذا وقعت بعد أن غرك عشرين سنة حتى تقع في المعصية في لحظة واحدة استغفر الله تهدم ذلك كله، هذا الشيطان كثرة الاستغفار تغضب الشيطان كثيرًا جِدًّا يقعد يحاول معك يا ابن آدم عشان تشوف التليفزيون أو تنقل التليفزيون ثلاثين سنة يوم أقنعك في يوم واحد شفت التليفزيون وجه واحد ذكرك أو سمعت كلمة نبهتك في يوم واحد تستغفر الله جلّ وعلا فتهدم تعبه يروح تعبه ثلاثين سنة.

لذلك يُروى في الإسرائيليات أو في بعض الآثار أن الشيطان يقول أحرقت بني آدم بالذنوب والمعاصي فأحرقوني بلا إله إلا الله والاستغفار.

أنا أحرقهم وهم يحرقوني بلا إله إلا الله والاستغفار لكن لا يصح هذا الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام....

[14] أخرجه ابن ماجه في سننه | كِتَابُ الْأَدَبِ | بَابٌ: الِاسْتِغْفَارُ(٣٨١٨)(٥/٣٤٧)

(ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيناته فلا تخف ولا تحزن)
إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)[15]

إن الإنسان متى ما أقبل على الله وتعلم العلم المبني على الكتاب والسنة مقرونًا بفهم سلف الأمة فإنه قد تعلم شيئًا يمنعه من الوقوع أو الولوج في شيء من كيد الشيطان فلا يخف ولا يحزن وهذا يبين لنا أن التوكل مبني على أمرين وعلى ركنين أساسيين:

الركن الأول: كمال تفويض اعتماد القلب على الله جلّ وعلا

والأمر الثاني: القيام بالأسباب المشروعة المتاحة، فليس التوكل هو كمال التفويض فقط وليس التوكل هو الإقبال على الأسباب فقط. بل حقيقة التوكل مبنية على هذين الأمرين فإذا أحسن الظن بالله جلّ وعلا وحقق مراتب تفويض اعتماد القلب على الله وأسلك الأسباب المشروعة في تحصيل العلم وتوكل على الله جلّ وعلا ولن يضرك الشيطان ما دمت على الطريق الصحيح والصراط المستقيم لأن الله جلّ وعلا قد حكم على الشيطان بأن كيده ضعيف في قوله " إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا "[16]

افلأمر يطلب فيه شيئان الثبات يطلب فيه أمران: -

أن تتوكل على الله وأن تقوم بالأسباب المتاحة المشروعة...

المتن (والعامِّيُّ من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين)

الشيخ - رحمه الله – بين أن العامي من أهل التوحيد يغلب ألفًا من المشركين والمقصود يعني من عوام المشركين بل حتى أحيانًا يكون من علماء المشركين لأن العامي معه الفطرة السليمة.

---

15 النساء (٧٦)

16 سورة النساء آية (76)

ولا يقصد الشيخ - رحمه الله – العامي الجاهل بحجة التوحيد، بل يقصد بذلك مَن عنده شيء من المعرفة ولكن لم توصِّله إلى مرتبة العلماء.

فالعامي يغلب ألفاً من هؤلاء لأن معه صفاء الفطرة ومعه نقاء السريرة ومعه المذهب الصحيح وفوق ذلك معه توفيق الله جلّ وعلا "*إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا* "[17] فأنت من المؤمنين الموحدين فسينصرك الله على من ناوَأَكَ وعاداك فأحسِن الظن بالله جلّ وعلا

ويقول الله جلّ وعلا: (*إِنْ تَنْصُرُوا اللَّه*..)[18](ينصركم) وأعظم ما ننصر اللهَ به: الإيمان به وتوحيده وترك الشرك وطاعة رسله فحينئذٍ ينصرنا الله جلّ وعلا

فإذًا فالله كتب الغلبة والنصرة لعباده الموحدين.

قال الله جلّ وعلا " *(لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي)* "[19] فعلى الإنسان الموحد أن يتوكل على الله ويمضي قدمًا في طريقه إلى الله جلّ وعلا متسلحًا بسلاح العلم والمعرفة

(فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح!)

هذه مشكلة....

وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه أي سلاح؟

سلاح العلم

---

17 سورة غافر آية (51)

18 سورة محمد آية (7)

19 سورة المجادلة آية (21)

(وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى: ﴿ وَلَايَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[20] قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة)

.. إلى يوم القيامة لأن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم شريعة عامة فالله جلّ وعلا جعل هذا الدين حجة على العباد إلى قيام الساعة فإذًا الله جل وعلا تكفل بحفظ دينه من شبه المضلين فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وتجد في القرآن ما يرد عليه ولكن هذا لمن آتاه الله جل وعلا فهما وتدبرًا وتأملًا في آيات كتابه يقول الإمام أحمد رحمه الله :لو تدبر إنسان القرآن كان فيه ما يرد على كل مبتدع بدعته) [21]وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :فالقرآن قد دل على جميع المعاني التي تنازع الناس فيها دقيقها وجليلها)[22]إلى هنا ينتهي الكلام عن القسم الأول من أقسام كشف الشبهات وهي المقدمات والقواعد والمعلومات المهمة تطلع الطالب على المقاصد المهمة في تأليف هذا الكتاب ثم ينتقل بعدها إلى القسم الثاني وهو الغاية من تأليف هذا الكتاب وهي ذكر الشبه مع الإجابة عنها فقال الشيخ رحمه الله:

---

20 الفرقان (٣٣)

21 كتاب السنة للخلال (٩١٢)(٣/٥٤٦)

22 درء تعارض العقل والنقل (٥/٥٦-٥٧)

المتن(وأنا أذكر لك أشياءَ مما ذكر الله في كتابه جوابًا لكلامٍ احتج به المشركون في زماننا علينا، فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مُجمَلٍ، ومُفصَّلٍ) الشيخ رحمه الله أعطاك جوابا على أهل الباطل فيما سيورده من الشبه لكن أراد أن يجيب عنها بجوابين أحدهما مجمل تأخذه وتتوكل على الله والثاني مفصل يخص كل شبهة بعينها الجواب المجمل تذكرون أنه يدور حول قاعدة ماذا؟

أن المتشابه يرد إلى المحكم فالشيخ -رحمه الله- يقول: إذا أدلى عليك أيها الموحد أحد أهل الشرك بشيء من الشبه وأنت لا تعرفه فقل أنا ما اعرف كلامك ولا أفهمه لكن الذي أعرفه من كتاب الله أنه أمرنا بالتوحيد ونهانا عن الشرك وأنت تأتيني بحجة تريد أن تزين لي الشرك وأنا ما افهمها فحينئذ هذا مفزع، هذه قاعدة هي مفزع أهل الحق وهي الجواب المجمل، فأي إنسان من أهل الشرك يحتج عليك بحجة أنت لا تفقهها فاترك لا ترد حجته وانتقل إلى ذلك الجواب وقف والله أنت تأتيني بشبهة والله جل وعلا أمرني أن أرد ما تشابه علي إلى ما هم محكم وهي طريقة الراسخين في العلم.

قال الشيخ رحمه الله:

المتن(أما المُجمَل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لِمن عقَلها)

هنا أسباب جامعة أوجبت هذه الشبه التي ذكرها الشيخ، هذه الشبه الخمس عشرة شبهة يجمعها أشياء

الشيء الأول: الجهل بحقيقة الشرك، جميع هذه الشبه التي سيذكرها الشيخ ترجع إلى هذا المعنى وهي من أن قالها جاهل بحقيقة الشرك ما يدري ايش حقيقة الشرك بحيث أنه يقع في أمور شركية يرى أنها ليست بشركية، إذًا

أول سبب أوقع هؤلاء في مثل هذه الشبه جهلهم بحقيقة الشرك

الأمر الثاني: جهلهم بحقيقة التوحيد

هم يفعلون أفعالا ينسبونها إلى التوحيد ولا لا؟ يقولون فعلنا هذا ليس شركا وإنما هو توحيد إذًا هم جاهلون بحقيقة الشرك وجاهلون بحقيقة التوحيد. هذا السبب الثاني. الأسباب تمشي معك في كل شبهة. كالشبهة سوف تستشعر منها هذه الأشياء إنهم جاهلون بحقيقة التوحيد جاهلون بحقيقة الشرك

الأمر الثالث: تلبيس الحق بالباطل وهي واضحة في بعض الشبه تلبيس الحق بالباطل يعني أن الحق يتضح أمامه لكن يتعامى عنه أو يلبسه بغيره لبس الحق بالباطل ومنها وهو أخطرها أيضا من أخطرها

(حصر الشرك في صورة معينة)

.إن هؤلاء المشركين يحصرون الشرك في صور معينة كقولهم إن الشرك هو دعوة البنوة لله أو أن الملائكة بنات الله بس يعني الإنطراح بين يدي الأولياء والصالحين والسجود والركوع لهم مو بشرك فإذا مبدأ ضلالهم هو حصر الشرك في صور معينة وهذا يأتي إلى أنهم ما يعرفون حقيقة الشرك ومنهم أيضا وسوف تروها في كل شبهة من الشبه تفريق المشركين بين المتماثلات وجمعهم بين المختلفات فهذه الأمور الأربعة هي الأسباب التي أوجبت وقوع هؤلاء في مثل هذه الشبه والخيالات الباطلة

المتن(هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) [23]

23 آل عمران (٧)

(وقد صح عن رسول الله أنه قال: ﴿ فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [24]

الأمر الأول لا بد أن تعلم وفقك الله حتى تدرك لماذا جاء الشيخ بهذه الآية لا بد أن تدرك أولًا أربعة أمور

الأمر الأول أن الله حكم أن في القرءان متشابها ومحكما والمراد بالإحكام هنا ما اتضح معناه والمتشابه ما خفي معناه ما اتضح معناه يسميه القرآن بأنه محكم وما خفي معناه يسميه القرآن بأنه متشابه

لماذا قسم الله كتابه إلى محكم ومتشابه؟ الجواب من باب الابتلاء والامتحان

الأمر الثاني أن الله أمرنا في هذه الآية بالرجوع إلى الأمور المحكمة عند ورود الأمور المتشابهة، المحكمة الواضحة ولذلك جعل الله الأمور المحكمة الواضحة هي أم الكتاب وأم الشيء يعني بمعنى أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه والإشكال

الأمر الثالث أن الله جل وعلا ذم الذين يتبعون المتشابه من القرآن يعني عندهم المحكمات واضحة ولكن لا يريدونها ويتبعون هؤلاء المتشابهات

الأمر الرابع أن الشريعة حذرت من هذا الصنف من الناس الذين يتبعون المتشابهات ويتركون المحكمات ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قال النبي ﷺ بعد تلاوة هذه الآية "فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ"[25]

---

[24] أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابُ التَّفْسِيرِ. | سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ. | بَابٌ: مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ.(٤٥٤٧)(٦/٣٣) ومسلم في صحيحه باختلاف يسير (٢٦٦٥)(٨/٥٦)

[25] أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابُ التَّفْسِيرِ. | سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ. | بَابٌ : مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ.(٤٥٤٧)(٦/٣٣) ومسلم في صحيحه باختلاف يسير (٢٦٦٥)(٨/٥٦)

هذه الأمور الأربعة تدرك بها الجواب العام وهي أن كل أمر يورده عليك أحد من أهل الشرك والوثنية أو المخالفة وأنت لا تفقهه لأنك عامي فافزع مباشرة إلى الأمور المحكمة الواضحة عندك إذا جاءك أحد يلبس عليك الزنا ويزين لك الزنا ويستدل عليك تقول لا الأمر المحكم أن الله في كتابه حرم الزنا

إذا جاءك أحد يرغبك في شرب الخمر بأمور وحجج وقياسات عقلية وان الصحابة بعضهم شربه وفيهما أثم كبير ومنافع للناس تقول لالالا الأمر المحكم هو أن الله حرمها

إذا جاءك أحد في قضية الطواف حول القبور وغيرها وقال هذا لأولياء الله الصالحون ولا بد أن نعرف منازلهم وقدرهم قل لالا الأمر المحكم هو أن الله حرم الشرك

فإذا إذا جاءك أحد بشيء لا تفقهه ولا تفهمه فافزع مباشرة في هذا الباب إلى ما تقرر محكما بالأدلة فحينئذ هو ينقطع ولا يستطيع أن يرد عليك بهذا الرد لذلك وصف الشيخ هذا الجواب بأنه محكم وهو قوي وسيأتينا بيان أكثر.

بعد..

الدرس الثامن من المحاضرة الثالثة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه واهتدى بهداه ؛ ثم أما بعد ..

فإذا أيُّ مبطلٍ يُلبِّس عليك شيئًا من الحق فارجع مباشرةً إلى الأصل المتقرر المحكم في هذا الباب ومثالٌ آخر والشيخ سيضرب مثالاً.. مثالٌ آخر..

إذا لبَّس عليك أحدٌ في مسألةِ قتل أحد من المسلمين لأنه مثلاً يوالي الكفار أو غير ذلك فإن هناك شُبهًا كثيرة أوجب قبولها قتل المسلمين ممن لا يحل قتلهم من أهل عصمة الدم والمال.

فإذا جاءك أحدٌ ولبَّس عليك في رجلٌ من المسلمين أنه مثلاً عنده موالاة للكفار أو عنده وعنده مما يوجب قتله، وانت لا تفهم ذلك ولا تعرف كيفية الرد فقل مباشرةً أنا أرجع إلى الأمر المتقرر المحكم في كتاب الله وهو

﴿ وَلا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إِلّا بِالحَقِّ ﴾ (الإسراء ٣٣)

وهذا الجواب وصفه الشيخُ - رحمه الله تعالى - بأنه جواب محكم لأن صاحب الباطل لا يستطيع أن يرّد عليك فيه

والأمر الثاني أنه جوابٌ طيب لأنه يسيرُ ويستطيع العاميّ أن يفهمه.

أما الأجوبة التي سوف تكون عند الشبه الأخرى فربما العوام لا يستطيعون أن يفهموها ولا يفقهوها حق فقهها، لأنها تحتاج إلى عقلية طالب علم.

✦**المتن ..** مثال ذلك إذا قال بعض المشركين:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس ٦٢)

(وأن الشفاعة حق، أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاما للنبي يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره)

يعني هو يريد منك أن تعرف للأولياء منازلهم فيقول مثلاً نحن هؤلاء ما نعبدهم من دون الله جلّ وعلا، فنحن نعتقد أن الله هو الخالق الرازق ولكن نحن نعتقد أن لهؤلاء

منزلة كبيرة عند الله فنحن نطلب منهم هذه المنزلة ونطلب منهم الشفاعة التي أمكنهم الله جلّ وعلا منها، مثل ما جيء في بعض الشُبه، يقول أنا لا أطلب الشفاعة من النبي تعبدًا ولكّنني أطلب منه مما أعطاه الله، أعطاه الله الشفاعة فأنا أطلب شيئًا من النبي أعطاه الله إياه

يقول: مجرد أني أطلب الشفاعة من الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ لماذا؟

أليس الله هو الذي أعطاه الشفاعة

أنتم تنكرون وجود الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم .. قل لا، نثبتها

بما أنكم تثبتونها وأنها من خصوصيات النبي عليه الصلاة والسلام فأنا أطلب منه شيئًا أمكنه الله منه وملّكه الله إياه .. أين الشرك في هذا؟

يجيء الجواب عنها إن شاء الله أنا أقول لك إذا لبّس عليك شيئًا أنت لا تفقهه ولا تفهمه فارجع مباشرة إلى أن الأصل المتقرر في كتاب الله وجوب إفراد الله جلّ وعلا بالعبادة أنا لا أفهم ما تقول ولا شأن لي بك ، والأصل العام هو إفراد الله جلّ وعلا بالعبادة والنهي عن الشرك

✦**المتن ..** فجاوبه بقولك:

(إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم ﴿ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ (يونس ١٨)

هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي لا أعرف معناه)

قوله لا أعرف معناه، يعني أنا لا أفقهُه ولستُ من طلبة العلم الذين يعرفون حقائق هذا الكلام الذي أنت تقوله لكن أنا أعرفُ شيئًا واحدًا تقرر في قلبي واستقر في خلدي وهو أن الله أمرنا بالتوحيد ونهانا عن الشرك.

✦المتن .. (ولكن أقطع .. أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يُخالف كلام الله عز وجل وهذا جواب جيّد سديد)

لماذا وصفه الشيخ بأنه جيّد وسديد؟ قال العلماء لعدة أمور:

الأمر الأول:- أنه جرى على القاعدة، جواب هذا الموحد على هذا المشرك أنه جرى على القاعدة ما تخبطته يده بالشُبه والشكوك وأبعدته عن القاعدة.

الأمر الثاني:- أنه اعتمد في الرد على كتاب الله جلّ وعلا في الرد إلى كتاب الله جلّ وعلا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. هذا جواب سديد.

الأمر الثالث:- أن المشرك يعجز عن نقض هذه الحجة لايستطيع المشرك أن يقول دعك من المحكم وابقَ معنا ، ولكن لا يستطيع المشرك أن يقولها وإلا لفضح أمره.

الأمر الرابع:- أنه سهل يسير الفهم على عوام المسلمين لا يحتاج إلى طلبة علم، كلٌ يستطيع أن يستقر في ذهنه هذا الجواب ، لا سيما إذا قُرن بمثال ولكن مع يسره وسهولته وأهميته فإن الشيخ - رحمه الله – قال:

فلا تستهن به والأمر كله بيد الله جلّ وعلا في التوفيق فهذا الذي يفهمه العوام أعجز علماء الفلاسفة ، وأذكياء العالم عجزوا أن يفهموه وعجزوا أن يفقهوه.

الأمر مرده إلى ماذا؟ ليس إلى قوة العقل، ولا إلى قوة المعرفة والفهم، وإنما مرده إلى توفيق الله جلّ وعلا به.

✦المتن .. فإنه كما قال تعالى:

﴿ وَما يُلَقّاها إِلَّا الَّذينَ صَبَروا وَما يُلَقّاها إِلّا ذو حَظٍّ عَظيمٍ ﴾ (فصلت ٣٥)

هذا نهاية الكلام عن الجواب عن المجمل، وهو جواب يأتي معك مع كل شبهة من الشبه التي سيذكرها الشيخ - رحمه الله -.

إذاً ما ستقرأه الآن هو بداية زبدة الكتاب، نذكر الشبهة ونذكر جواب الشيخ عنها، ولن يأخذ معنا وقتًا طويلًا

✦**المتن ..** وأما الجواب المفصل:

(فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه)

مُراد المصنف بالاعتراضات: نعني الشبهات التي يلقيها المشركون في زمنه لنفي الشركُ عن أنفسهم مع أنهم يفعلون الشرك.

المُراد بالاعتراضات هي الشبهات

الشيخ سماها أحيانًا شبهة وأحيانًا اعتراضات ، كلها أسماء لمسمًى واحد ؛ منها قولهم: وهذه طريقة من طرق أهل الباطل، وهي صدّ الناس عن الخير .. صدّ الناس عن الخير هذه طريق من طرق أهل الباطل.

قال الله جلّ وعلا:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام 112)

ويقول الله جلّ وعلا:

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام 121)

يوحون إليهم بماذا ؟ بالحق أم بالباطل؟ (يوحون إليهم بالباطل).

والله جلّ وعلا يقول:

﴿ وَدَّت طائِفَةٌ مِن أَهلِ الكِتابِ لَو يُضِلّونَكُم وَما يُضِلّونَ إِلّا أَنفُسَهُم وَما يَشعُرونَ ﴾

(آل عمران ٦٩)

يعني يحرص أهل الباطل أن يضلُّوا أهل الحقّ حتى يكونوا مشاركين لهم في باطلهم، والله جلّ وعلا بيّن أن مِن صفات أهل الكفر أنهم يريدون أن يطفئوا نور الله بماذا؟؟ بأفواههم. ؛ سبحان الله هذا مثالٌ عظيم.

﴿ يُريدونَ أَن يُطفِئوا نورَ اللَّهِ بِأَفواهِهِم وَيَأبَى اللَّهُ إِلّا أَن يُتِمَّ نورَهُ وَلَو كَرِهَ الكافِرونَ ﴾

(التوبه ٣٢)

إذًا من الأشياء التي يحرص عليها اهل الباطل صد الناس عن الحق، وصد الناس عن الدِّين، وذلك بشبهٍ كثيرة، نبدأ بالشبهة الأولى مستعينين بالله ، الشبهة الأولى:

✦المتن .. (ولاينفع ولا يضرّ إلّا الله)

يقولون نحن لا نشرك بالله فنحن نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ..
ماذا يقولون الآن؟؟ أي توحيد الآن .. أأطلب من الله .. هذه مشكلتك الآن
هذه المشكلة التي وقعوا فيها لكن لا يسمونها شركًا.

✦المتن .. (مما تقدم وهوان الذين قاتلهم الرسول)

الشبهة الأولى خُلاصتها:- أن هذا المشرك يأتينا ويقول أن حقيقة الشرك هو أن أزعُم أن ثمّة خالق مع الله وأنا لا أقول أن هناك خالق مع الله .. ولكن أقول الله هو الخالق وحده لا شريك له.

إن حقيقة الشرك عن هذا المشرك اعتقاد رازق مع الله فيقول أنا لا أعتقد أن ثمة رازق، ولا خالق، ولا مدبراً، ولا محيي، ولا مميتًا مع الله، ولا نافعًا ولا ضارًا مع الله. ؛ الآن هذا أوتي من ماذا؟
من جهله بحقيقة التوحيد، وجهله بحقيقة الشرك، فيقول لكن أنا الذي عندي فقط ..

الذي عندي ما هو؟
أنني أطلب الله جلّ وعلا وأجعل هؤلاء الأولياء والصالحين من الملائكة والأنبياء والطيبين اجعلهم واسطة بيني وبين الله لأني لا أستطيع أن أطلب حاجتي من الله مباشرة وإنما أطلبها من هؤلاء حتى يوصلون حاجتي له.

فأنا لا أعتقد أنهم هم الذين يخلقون ويرزقون ويدبّرون ..
أسألكم بالله ما الفرق بين هذا الكلام وكلام المشركين؟؟
المشركين هل عبدوا الآلهة لأنها تخلق وترزق .. ماذا قلنا في القاعدة؟؟
أن أصل عبادة المشركين لمعبوداتهم أنما يطلبون منهم الشفاعة والتقريب من الله

إذاً هم ما يعتقدون أن هبل يخلق ويرزق ولا أن اللات و العزى ومناة الثالثة الأخرى أنها تدبر وتصرف الأمور.

ولذلك أجاب الشيخ – رحمه الله تعالى – عن هذه الشبهة بعدة أجوبة
هذا هو الذي أوقعهم في الشرك.
هذا هو السبب الذي جعل مع الله جلّ وعلا أن يكفرهم بهذا.
إذًا لابد أن تبين لهم الأمرين جميعًا.

الأمر الأول: أن تبين لهم أن المشركين الذين كانوا في زمان رسول الله كانوا يقرون بما كنتم تقرون به ويقعون بنفس ماوقعتم به فهم قد كانوا يقرون بأن الله هو الخالق الرازق وأنه هو يحيي ويميت يقول الشيخ فإن شككوا في ذلك فاتل عليهم الايات التي ذكرتها لك سابقا يعني قول الله جلّ وعلا:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَن خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ ﴾ (العنكبوت ٦١)

إلى آخر تلك الآيات التي فيها يبين الله عزوجل ان المشركين الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يقرون بنفس ما أنتم مؤمنين به.

الأمر الثاني: أن تبين لهم أن السبب الذي أوقع المشركين في الشرك في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم: ليس هو شرك المعبودات مع الله في الرزق والإحياء والإماتة - لا - وإنما الذي أوقعهم في الشرك هو:
أنهم صرفوا العبادة من الدعاء، والتضرع، والاستغاثة، واللجوء لغيرِ الله جلّ وعلا كما أنتم الآن تقولون، وإنما ندعو الرسول، ونستغيث بالرسول هي نفس الكلام.
الكلام واحد كما تقرر سابقا وإن سموه بغير أسمه.

الأمر الثالث: أن تسألهم لماذا قاتل النبي صلّ الله عليه وسلم هؤلاء المشركين هل لأنهم ما كانوا يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت؟ هل قاتلهم لأنم ما كانوا يقرون بهذا؟ ؛ الجواب لا.

إذًا قاتلهم لماذا؟ بين لي أنت؟ بين لي قاتلهم لماذا؟ ما العلة التي جعلت النبي صلّ الله عليه وسلم يقتلهم عن بكرةِ أبيهم حتى يدخلوا في الإسلام؟ ماذا؟
هذا هو الذي جعله يقاتل. لذلك لابد أن يبين لهذا المشرك أن كلمتك هذه إنما أردت أن تخفف بها على نفسك وإلا فهو في الحقيقة شرك أكبر حتى وإن سميته ما سميته.

✦المتن .. (كيف تجعلون الصالحين كالأصنام)

هذه الشُبهة الثانية .. يقول هذا المشرك حقيقة هذه الشبهة أن الذين ندعوهم ونبتهل إليهم ونلتجئ إليهم إنما هم أولياء الله الصالحون وحزبه المفلحون كيف تجعلون حالنا ونحن نُقبل على دعاء الصالحين تجعلون حالنا كحال كفار قريش الذين يعبدون الأصنام والأشجار والأحجار والكهوف والمغارات فهو يريد أن يفرق بين حقيقة الشرك.

تأتي قاعدة ماذا؟ .. أن اختلاف أجناس المعبودات لا تغير الحكم من الحكم شيئًا ما ننظر إلى ما عبدت هل هو صالح ولا طالح ولا نبي ولا كافر ولا فوق ولا تحت مالنا شيء فيه .. المهم أنك صرفت شيئًا من العبادة لغير الله جلّ وعلا.

- فإذاً خلاصة هذه الشبهة:-
يقول فيها ذلك المشرك أن هؤلاء الآيات التي نزلت في قضية الشرك والوثنية والنبي صلّى الله عليه وسلم حارب هؤلاء لأنهم كانوا يعبدون أصناماً وأشجاراً وأحجاراً، هم مشركين من العيار الثقيل.

نعبد أشجاراً وأحجاراً؟ إنما نحن ندعو فلان الصالح وندعو الملائكة وندعو الأنبياء وندعو الصالحين، فتجيبه بما تقدم، سوف تجيبه على ذلك بعدة أجوبة:

الجواب الأول: أن تبين له أن العبرة هي في صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله بغض النظر عن المصروف له هذه العبادة.
فالذي يدعو جبريل من دون الله هذا ماذا نسميه ؟ مُشرك، والذي يعبد حجرًا من دون الله، أنا أدعو جبريل أنا موحد لا شأن لنا بأجناس ما صرفت له هذه العبادة سواء كان

له رتبة عند الله أو غير رتبة، لا شأن لنا باختلاف أجناس المعبودات من دون الله وإنما العبرة بماذا؟ العبرة بأنك صرفت شيئًا من أنواع العبادة لغير الله، هذا الجواب الأول ، ثم تصكه مباشرةً بالجواب الثاني

الجواب الثاني: من الذي قال لك أن الأوائل كانوا يعبدون شجرًا وحجرًا؟ ألم يعبدوا الملائكة؟ أليس منهم طوائف عبدوا الملائكة؟ ومع ذلك حكم الله عليهم بالشرك والكفر أليس منهم طوائف عبدوا الأنبياء والصالحين؟ نعم ولكن حَكم الله عليهم بالكفر والشرك أليس هناك طوائف منهم عبدوا الأولياء والصالحين؟
الجواب: نعم ، فيقول ما الدليل؟
الدليل: أن النصارى عبدو عيسى وعيسى نبيٌ من أنبياء الله.

وكذلك اليهود عبدو عزيرًا وعزيرٌ نبي من أنبياء الله
وكذلك طوائف من المشركين عبدوا الملائكة والملائكة عباد الله المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.
وكذلك اليهود والنصارى منهم طوائف عبدت الأولياء والصالحين كما في الحديث:
" إِنَّ من كان قبلكم كانوا إِذَا مات فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ " (52)
لا يا جماعة ، فإذًا كونك تقول إن الأوائل كانوا يعبدون الأصنام ونحن نعبد الأولياء والصالحين خطأ ، أنت أصلاً خطأ

الأمر الأول: لأن القضية قضية الشرك لا تختلف باختلاف نوع المعبود.
الأمر الثاني : أن من قبلنا حكم الله عليهم بالكفر والشرك وقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم مع أن منهم طوائف يعبدون الملائكة، ومنهم يعبدون الصالحين مثلك بالضبط.
فإذًا هو يريد أن يفرق بين المتماثلات و يجمع بين المختلفات وهذا كله يرجع إلى الجهل بحقيقة التوحيد والجهل بحقيقة الشرك.

(52) - أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابٌ : الصَّلَاةُ | بَابٌ : هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ (٤٢٧)(٩٣/١)

فأين هو من قول الله جلّ وعلا ﴿ أُولئِكَ ﴾ يعني هذه المعبودات

﴿ أُولئِكَ الَّذينَ يَدعونَ ﴾ يعني هذه المعبودات التي تدعونها يا كفار قريش من دون الله

﴿ يَبتَغونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ ﴾ (الإسراء ٥٧)

يعني أنتم تعبدون الملائكة والملائكة مشتغلة عن عبادتكم هي تتقرب إلى الله وتعبدهُ أنتم تعبدون الأنبياء والأنبياء مشتغلون دائبون في طاعة الله جلّ وعلا ودعوته.
أنتم تعبدون أناسًا أصلًا أنتم تعبدون أشخاصًا أو مخلوقات هي منشغلة عنكم تتقرب إلى الله جَلَّ وعلا ما يأبهون بعبادتكم ولا نظروا إلى عبادتكم أبدًا.

﴿ أُولئِكَ الَّذينَ يَدعونَ يَبتَغونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ ﴾ (الإسراء ٥٧)

فكيف مع نزول هذه الآية وورود هذه الدلائل الواضحات والبراهين القاطعة تقول والله الأوائل كانوا يعبدون أصنامًا أما نحن مشركي الزمان فنعبد أولياء وأنبياء وملائكة ومن أنت ما قرأت الآيات هذا دليلا على وجود الجهل، وجود الظلم، وجود الجمع بين المختلفات والتفريق بين المتشابهات والجهل العارم بحقيقة التوحيد وحقيقة الشرك.

✦المتن .. (مما تقدّم)

ايش معنى مما تقدم الإشارة إلى شبهة المشركين في مسألة توحيد الربوبية.
يعني تقول أنا لا شأن لي بنوع من عبدتموه ولكن الشأن عندي أنكم صرفتم شيئًا من أنواع العبادة لغير الله جلّ وعلا.

✦المتن .. (أُولئِكَ الَّذينَ يَدعونَ يَبتَغونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ)

يعني أن هؤلاء المشركين الذين بُعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم تنوعت معبوداتهم فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم من يعبد الملائكة ، وهذا كله لا يختلف به حكم الشرك

الشرك: هو الشرك حتى وإن تنوعت المعبودات أو صارت لها منزلة عالية عند الله.

وهم أنبياء وأولياء عيسى نبي وأمه صديقة صالحة ولية من أولياء الله كانا يأكلان الطعام ذكر العلماء لطيفة وهو أن الله أبطل ألوهياتهم بقوله

﴿ كانا يَأكُلانِ الطَّعامَ ﴾ (المائده ٧٥)

كيف؟ يقول العلماء من وجهين:-

الأمرالأول: أن المحتاج إلى الطعام والشراب دليل على ضعف بنيته وأنه محتاج والرب لا يصلح أن يكون ضعيفًا ولا محتاجًا لغيره. هذه واحدة.

الأمر الثاني: الذي يأكل الطعام والشراب يكون منه ما يكون من الانسان من فضلات والقاذورات التي يستحي الانسان من نفسه وغيره أن يطلع عليها أو تنفصل منه وهذا كله صفات لا تليق بأن يوصف صاحبها بأنه الرب الذي يستحق العبادة

✦المتن .. (وهو السميع العليم)

يعني يريد الشيخ أن يثبت أن هناك من الطوائف السابقة من عبدت الأولياء والصالحين فلا حجة لك في أن تقول والله نحن نعبد أولياءً وهم يعبدون أصنامًا

✦المتن .. (قال سبحانك مايكون لي أن أقول)

ثم سيسكت هو سيسكت نتيجة ذلك كله تقول أرأيت إن كلامك خطأ في قولك إن من كان قبلنا كانوا يعبدون الأصنام ونحن نعبد الأولياء والصالحين.

فتقول لا أخطأت تلك الآيات التي أتلوها عليك ، الآن تبين أن من قبلك كانوا يعبدون الأولياء والصالحين والملائكة والأنبياء ومع ذلك ما عصمهم ذلك من الحكم عليهم بالشرك وأن دمائهم حلال وديارهم حلال.

وخُلاصة الرد على هذه الشبهة ما يلي:

الأمر الأول: أن تبين له أن الشرك هو الشرك وإن اختلف جنس المعبود.

الأمر الثاني: أن الأدلة الواردة في تحريم الشرك عامة يدخل فيها كل نوع من أنواع الشرك سواء الشرك بالأصنام أو الأولياء والصالحين لأن الأصل هو بقاء العموم على عمومه ولا يخصّ إلا بالدليل.

لا تخصّ الأدلة التي وردت في التحريم من الشرك بالأصنام فقط لا الأدلة عامة.

يقول الله جلّ وعلا: ﴿ فَلا تَدعوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن ١٨)

نكره في سياق النفي فتعم .. لماذا تخصها أنت؟؟

قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَاعبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشرِكوا بِهِ شَيئًا ﴾ (النساء ٣٦)

نكره في سياق النهي فتعم فإذًا الأدلة عامة وردت في كل ما عبد من دون الله جلّ وعلا سواءً ولياً أو ملكًا أو شجرًا أو حجرًا أو صنمًا أو غير ذلك من الأمور.

فكل ما عبد من دون الله فإن عابده يوصف بأنه مشرك

الجواب الثالث: أننا لا نسلم أن من قبلنا كانت عبادتهم مقتصرة على عبادة الأصنام فقط .. لا ، بل كان منهم من يعبد الأصنام ومنهم من يعبد الأولياء ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ومع ذلك وصف الله الجميع بأنهم كفَّار ومشركون وبُعثت إليهم الرسل وأنزلت عليهم الكتب ..

✦المتن .. (ثم قال)

الشبهة الثالثة: أنت ترى أن الشيخ الشبهة الأولى أجاب عنها بجواب واحد.

والشبهة الثانية: أجاب عنها بجوابين ، وأنا زدت بعض الأجوبة

والشبهة الثالثة: سيجيب عنها أيضًا بأجوبة قليلة ثم سيذكر الشيخ بعد هذه الشبه الثلاث قال وتلك غالب شبههم التي يفاجئونك بها من حين ما تنكر عليهم هذه غالب الشبه

✦المتن .. (ولكن أقصدهم)

الشبهة الثالثة: ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم

هو نفس شرك المشركين في السابق يقول هذا الرجل في الشبهة الثالثة يقول أنا اختلف عن المشركين الأوائل ، ما شاء الله في أي شي؟

قال: أن الأوائل كانوا يعبدون هؤلاء الصالحين من الملائكة والأنبياء، يطلبون منهم حاجات ، هم يحتاجون إلى أشياء في الدنيا فيطلبون حاجاتهم من هؤلاء الأولياء والصالحين

أنا لست مثلهم ولله الحمد والمنة أنا لست بمثلهم أبدا، وبماذا اختلفتَ عنهم فيه ؟

قال : أنا لا أطلب حاجاتي ولا أرزاقي ولا أموري الخاصة والعامة إلا من الله والله هو الضار النافع المعطي المانع ولكنني أرجو من هؤلاء أن يقربوني إلى الله زلفى فقط . والله أعلم

إن هذا هو قول الكفار سواء بسواء فالكفار ما عبدوا هذه المعبودات لأنها تخلق وترزق وتعطي وتمنع، لا لا ،عبدوها بمثل كلامك أنت .
قال:إنني أريد منهم القرب والشفاعة والزلفى . هل هذا فقط ؟
ولذلك هو يفرق بين متماثلات ، تذكرون كلامي بالأول أن هؤلاء أوتوا من التفريق بين المتماثلات ، يأتون إلى صورة من صور الشرك ثم يفردونها على أن تكون مماثلة لصور الشرك السابقة بخلاف بينها ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون .. نعم
هذه الشبه الثلاث هي باختصار..

الشبهة الأولى: أن الأولياء والصالحين لهم جاهٌ عند الله ونحن نسأل الله جلّ وعلا بجاههم ومكانتهم.
الشبهة الثانية: أن الكفار إنما كانوا يدعون الأصنام وأما نحن فندعو الأولياء والصالحين.
الشبهة الثالثة: أن الكفار كانوا يريدون منهم أشياء دنيوية كانوا يريدون جلب المصالح ودفع المفاسد.
وأمّا أنا فلا أريد منهم شيئًا وإنما أريد أن يقربوني إلى الله زُلفى.

هذه الشبهة التي يحتجون بها على باطلهم هي كما وصفها المصنف من أكبر ما عندهم هذه الشبهة ، من أكبر ما عند المشركين ، وإن كانت في الحقيقة شبهاً زائفة وحجج باطلة ، وقد صدق القائل لما قال:

حجج تهافتت كالزجاج تخالها ... حَقًّا وكل كاسر مكسور

تذكرون قاعدة (لا حجة لمبطل)؟
وإنما هي شبه وخيالات وأوهام يأتون بها من ها هنا وهناك ، فما بعدها أيسر منها ..

لأنها إذا كانت هذه الشبهة هي أكثر ما عندهم على وضوحها كما رأيت وسهولة الرد عليها فما بعدها من الشبه أولى وأيسر في الرد إن شاء الله ، فهذا تهوين لطالب العلم من قبل الشيخ ، يقول لك أنا أطلت عليك ، لكن ترى هذه الشبهة هي أكثر شيء الذي يعقبها أهون منها ، وهذه طريقة طيبة جداً لتهوين الأمر على الطالب وتهوين أمر المشركين، وهذا في غاية الجودة والإتقان في فن التعليق والتصنيف.

✦المتن .. (حمي الوطيس)

الشبهة الرابعة: هي حمي الوطيس فهو يريد أن يخرج الصور الشركية من كونها شركاً لماذا لأنكم تعرفون من جملة الأسباب حصر صور الشرك في صور معينة .
يقول أنا أدعو الصالحين وأدعو الأولياء وألتجئ إليهم واستغيث بهم ، فإذا سألناه وقلنا له وماذا عندك ؟ قال:
ولكن هذه الأمور التي افعلها مع الأولياء والصالحين لا تدخل في حيز الشرك ولا تدخل في حيز العبادة .

إذاً وماذا تسميها أطال الله في عمرك على طاعته قال:
هي توسل ، هي تعظيم للأولياء والصالحين ،هي معرفة منازل القوم ،هي انزال هؤلاء عباد الله الصالحين منزلتهم لأنهم أولياء الله وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

هذه شُبهة ليست كبيرة ولا عظيمة في الرد لأن الرد عليها سهل يسير إن شاء الله كما سترى ، إذاً خلاصة هذه الشبهة:
أنه يريد أن يصف فعله مع الأولياء والصالحين بأنه ليس عبادة وليس شرك.
فإذا دعوت الصالحين فأنا ما عبدتهم إنما دعوتهم وإذا ذبحت لهم أنا ما عبدتهم إنما ذبحت لهم

✦المتن .. (فإن قال نعم) هذا أسلوب حواري يعني يبلغ به الجهل، أنه حَكم على الشرك بأنه ليس بشرك ، فهذا الرجل جاهل فلا بد أن نترفق معه والأسلوب الحواري في الأخذ والعطاء ،هذا من أعظم الأساليب التي توجب ظهور الحق والاقتناع به.

الإنسان لا يضرب لا بد من أسلوب الحوار، اسلوب حواري جميل جدًا يحتاجه الناس جميعاً ، يقال له تعال أنت الآن تُخرج هذه الأشياء التي تفعلها مع الأولياء والصالحين عن كونها عبادة ، لماذا ؟ لأنها ليست عبادة ، نقول له:
الله فرض عليك أن تعبده خلقك لعبادته أم لا؟
يقول: نعم الله خلقني للعبادة ، قل له بارك الله فيك بين لي هذه العبادة التي خلقك الله لها بينها لي عرفها لي، عرف لي هذه العبادة التي خلقك الله بها، فهو دائر بين أحد جوابين إما أن يعرف لك العبادة تَعْرِيفًا خاطئًا فحينئذٍ يجب عليك كطالب علم أن تبين له الوجهة الصحيحة في هذا التعريف لأن هؤلاء جُهَّال ، لأنه يمكن أن يقول العبادة هي أن أعتقد أن الله هو الخالق الرازق المحيي المدبر المميت ، فنقول لا لا هذا ما خلقت له أبدا، أنت ما خلقت حتى تقر بهذا، فبيَّن له أن العبادة هي مجموعة أقوال وأعمال واعتقادات يحبها الله جلّ وعلا ويرضاها أليس كذلك ؟

إذا كان الأمر كذلك فإن دعاء الله جلّ وعلا من أعظم ما يتعبد العبد به إذا أخرجت الدعاء عن كونه عبادة.
فماذا بقي لنا من العبادات ؟ إذا كان النبي ﷺ يقول: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ " (53)
فنحن مخلوقون لندعو الله بقسميه: دعاء المسألة و دعاء العبادة.

فالصلاة من الدعاء لكنها دعاء عبادة والزكاة من الدعاء لكنها دعاء عبادة أنت تفعل عبادة لله جلّ وعلا ترجوا ثواب الله فإذًا هي دعاء
فالصلاة دعاء والحج دعاء والعمرة دعاء والصدقة دعاء وتربية اللحية دعاء وتقصير الثياب دعاء كلّها دعاء أنت تفعلها ترجوا من الله شيئًا إذا أنت تطلبه ولكن طلبته على صورة فعل عبادة. ، ما طلبته برفع يديك إذاً هذا دعاء لكنه دعاء عبادة يعني دعاء أخرجته على صورة عبادة.

(53) - أخرجه الترمذي في سننه |أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ |بَابٌ :وَمِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ (٢٩٦٩)(٥/٨٠)

والدعاء الثاني دعاء الطلب وهو دعاء السؤال ترفع يديك ، الشريعة كلها دعاء.
فإذا أخرجت أيها المشرك الدعاء عن كونه عبادة ففي الحقيقة لم يبق لك شيء من العبادة ..

فإذا كان دعاؤك لهؤلاء الأولياء والصالحين لا تسميه عبادة وتخرجه عن دائرة العبادة فإذًا ما الذي بقي لنا من العبادات التي أنت عرفتها الآن أن ..

العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه وأعظم ما يحبه الله ويرضاه هو الدعاء والتضرّع إليه والإلتجاء إليه وهي التي صرفتها إلى هؤلاء الخلق.

فإذًا أنت تحجه بتعريف العبادة ثم تبيّن له أن هذه الأشياء والأفعال التي صرفتها لهؤلاء الأولياء والصالحين داخلة في مسمى العبادة التي أنت من أجلها خلقت وأوجدت في هذه الدنيا فبحقيقة فعلك هذا أنت صرفت شيئًا مما أُمرت ألا تصرفه إلا لله فقط فلذلك دعاء الصالحين حتى وإن لم تُسمه عبادة فهو في حقيقته عبادة.

الإلتجاء إليهم والتوسل إليهم كل ذلك من باب العبادة التي خلقت من أجلها وجهلت حقيقتها فصرفتها لغيرهم ، ثم تقول والله أنا ما افعله مع هؤلاء ليس بعبادة. ثمَّ

الجواب الثاني: أنك وإن سميتها توسلاً وإن لم تسمها عبادة وإن سميتها ما سميتها فإن الأسماء لا تغير من الحقائق شيئًا.
فالشركُ هو الشرك حتى وإن سميته بأسماء جميلة حتى تُتمم أمرك وتعتذر لنفسك فإن الشرك هو الشرك .. الشرك هو الشرك.

إذاً خُلاصة هذا الجواب من وجهين:
الوجه الأول: أن تبين له حقيقة العبادة وأن تسأله عنها فإن أخبرك بجواب صحيح للعبادة بين له أن ما صرفه لهؤلاء الأولياء والصالحين داخل في مسمى العبادة فإن

أبى أن يدخله في مسمى العبادة فقُل له حتى إن لم تسمه عبادة فإن الاسماء لا تغير من الحقائق شيئًا فحينئذٍ ينكشف جواب هذه الشبهة.

الدرس التاسع من المحاضرة الثالثة

✦المتن ..

(فبيّن لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحدَه وهو حقُّه عليك ، فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبيّنها له بقولك): قال الله:

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (الأعراف 55)

الشيخ في هذه الآية لا يريد تعريف العبادة على وجه الإجمال والحد الجامع المانع أراد أن يعرف الشيء بالمثال فقال أن العبادة هي قوله:

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (الأعراف 55)

فعرّف العبادة بفرد من أفرادها وهو الدعاء.

وهذه جرت عادة السلف عليه وهي تعريف الشيء بأمثلتها كأن يأتيك رجل ويقول ما الخبز؟

فعندك خبزة صامولي تطلع تقول هذا هو الخبز هل هذا هو تعريف الخبز بالحد الجامع المانع أم يضرب مثال من أمثلته وهذا أوقع في الذهن وأفهم فلو أن الشيخ قال لهذا المشرك الجاهل العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة لازداد جهلاً لكنه قال العبادة هي ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (الأعراف 55)

وخصّ الشيخ هذه الآية لأن فيها أعظم عبادة وهي عبادة الدعاء التي يجعل المشرك صرفها للأولياء والصالحين خارجًا عن مسمى العبادة ،يا سبحان الله ، مثل الذي يصلي للصنم ويقول الصلاة ليست عبادة ..

الصلاة ليست عبادة أخرجتها عن دائرة العبادة ويدعو الأولياء والصالحين ويقول الدعاء ليس بعبادة ويتوسل بهم ويقول التوسل ليس بعبادة ويلتجئ إليهم ويتوسّل بهم ويقول الالتجاء والتوسّل والاستغاثة والاستعانة ليس بعبادة أجل .. ايش باقي لنا من العبادات التي خلقنا من أجلها؟ ايش باقي لنا؟

✦المتن ..

(فإذا أعلمتَه بهذا فقُل له: هل علمتَ هذا عبادة الله؟ فلا بد أن يقول: نعم. والدعاء مخ العبادة)

قوله " الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ " (54) هذا نص حديث أخرجه الإمام الترمذي في [جامعه] من حديث ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي جعفر عن أبان بن صالح عن أنس به وقال الترمذي وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه فهو حديثٌ ضعيف.

والحديث الثابت في جامع الترمذي من حديث النعمان بن بشير

" الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَة " (55) وقد بينت لكم أن الشريعة كلها تدخل في مسمى الدعاء ،الصلاة والزكاة والحج والصيام وغيرها من الأعمال كلها دعاء ولكنها دعاء عبادة والدعاء الثاني هو دعاء المسألة

يقول الناظم:

إن الدعاء هو العبادة وهو في ... عقد الشرائع يا فتى نوعان

فدعاء مسألة كذاك عبادة ... وكلاهما في النص متفقان.

ما معنى وكلاهما في النص متفقان؟ يعني: أي لفظة دعا وما تصرف منها تأتيك في الكتاب والسنة ففسرها بالأمرين جميعا.

مثالها: قول الله جلّ وعلا: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن 18)

اختلف السلف فيها على تفسيرين منهم من قال لا تعبدوا وفسرها بدعاء العبادة ومنهم من قال لا تسألوا وفسرها بدعاء المسألة وهذا من باب خلاف التنوع لأن الدعاء يصدق على دعاء العبادة ودعاء المسألة.

قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر 60)

منهم من فسّرها بدعاء العبادة فقال اعبدوني أثيبكم، ومنهم من قال اسألوني أُعطكم وكلا التفسيرين صحيح فإذن وكلاهما في النص متفقان إذا وردت لفظ دعا .. يدعونا .. تدعوهم .. يدعونك وما تصرف منها.

---

(54) أخرجه الترمذي في سننه | أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ | بَابٌ مِنْهُ (٣٣٧١)(٣٨٦/٥)

(55) أخرجه الترمذي في سننه | أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ | بَابٌ : وَمِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ (٢٩٦٩)(٨٠/٥)

ورأيت السلف يفسرونها بالتفسيرين:
منهم من فسرها بدعاء العبادة ومنهم من فسرها بدعاء المسألة
فاعرف أن المُراد أن القضية قضية خلاف تنوع لا تضاد
لأن الدعاء يصدق على دعاء العبادة ودعاء المسألة.

✦المتن .. (فقل له: إذا أقررتَ أنها عبادة ودعوتَ الله ليلًا ونهارًا خوفًا وطمعًا ثم دعوتَ في تلك الحاجة نبيًّا أو غيرَه هل أشركتَ في عبادة الله غيرَه؟)

إذا كان الدعاء داخل في مسمى العبادة التي خُلقت من أجلها وأنت تدعو الله ليلًا ونهارًا ثم في مرة من المرات دعوت وَلِيًّا أو صالحًا هل تكون قد أشركت مع الله غيره في العبادة التي خلقت من أجلها؟؟ الجواب نعم.
لو كان عاقلًا سيقول نعم
إذًا في الحقيقة أن الدعاء والالتجاء والاستغاثة للأولياء والصالحين داخل في مُسمى العبادة

✦المتن .. (فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: فإذا عملتَ بقول الله تعالى :

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر 2)

وأطعتَ الله ونحَرتَ له هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: فإن نحرت لمخلوقٍ -نبيٍّ أو جنِّيٍّ أو غيرِهما- هل أشركتَ في هذه العبادة غيرَ الله؟ فلا بد أن يُقِرَّ ويقول: نعم)

إذاً هذا الجواب ينبني على تعريفه هو للعبادة لا بد أن تبين له العبادة
بيّن له العبادة وحدود العبادة واضرب له أمثلة على العبادة فقل الذبح الآن ذبح الأضحية الآن ألا تتقرب به إلى الله بقولك نعم قل ليش تتقرب به؟

الذبح عبادة تتقرب بها إلى الله طب لو ذبحت عند قبر تكون قد صرفت شيئًا من العبادة لغير الله ما يقدر يقولك لا كيف ذبح الأضحية عبادة والذبح عند القبر ليس عبادة.؟ ؛ الذبح واحد، عبادة في كلتا الصورتين، ولكن ..

الأُولى: ذبحُ أضحية صرفتَه لله فصِرتَ موحدًا

والثاني: ذبحٌ صرفته لغير الله فصرتَ مشركًا.

طيب، دعاؤك إذا قمت في الليل ودعوت الله، أنت الآن تفعل عبادة أم لا؟ أنت أيها المشرك الآن تفعل عبادة أم لا؟ إذا دعوت الله في الليل قل إلا عبادة عبدت الله بأي شيء الآن؟ بالدعاء.

طيب.. لو دعوت صاحب قبر؟ لا.. ما هي بعبادة ؛ لماذا؟ لا تلعب علينا! لماذا "لا"؟! تلعب علينا؟! بل أنت وصفتَها أنها عبادة! عبادة في ثلث الليل الآخر، أنت الآن وصفته أنه عبادة، عما كنت متجهًا به إلى الله صار عبادة فكذلك إذا توجهت به إلى المخلوق صار عبادة ، هو عبادة في كلتا الصورتين بس ..

الأولى: عبادة موحد ، والثانية: عبادة مشرك

فإذًا دعاء غير الله شرك ثم بين له شيء آخر أيضًا .. قاله الشيخ في هذه العبارة ؛ قل له إن المشركين إنما حكم عليهم بالشرك لأنهم صرفوا الدعاء لأيش يا جماعة؟ لغير الله جلّ وعلا .. فحكم الله عليهم بالشرك لأنهم صرفوا الدعاء لغيره قال الله جلّ وعلا:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ (الأحقاف 5)

قال الله جلّ وعلا في آيات كثيرة: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن 18) .. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

✦المتن ..

(وقل له أيضًا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللاتَ وغيرَ ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك؟ وإلَّا فهُم مُقِرُّون أنهم عَبيدُه وتحتَ

قهرِه، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكنْ دعَوهم والتجأوا إليهم لِلْجاهِ والشفاعة، وهذا ظاهر جدًّا)

فحاصل جواب هذه الشبهة عدة أمور:

الأمر الأول: أن تبين له حقيقة العبادة التي مِن أجْلها خلق الناس.

الأمر الثاني: أن تبين له أن ما صرفه لهؤلاء الأولياء والصالحين داخل في مسمى العبادة.

الأمر الثالث: أن تبين له أنه داخل في حدود العبادة حتى وإن لم يسميها عبادة فإن أبى أن يسميها عبادة فإنها داخلة في مسماها وهي شرك حتى وإن سماها بغير اسمها. هذه الشبهة الخامسة:

إذا قلنا لهم لا تطلبون الشفاعة من الرسول أطلبوها من رب الرسول صلى الله عليه وسلم يقولون طيب تعال ما تبينا أن نطلبها من الرسول

قال لا ما تطلبها من الرسول قالوا إذاً أنت تنكر شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طبعًا وهذه غالبًا عند القول دائمًا يقولون هذا وإذا قلنا ولا تطوفون حول قبور الأولياء والصالحين إيش يقولون؟

أتنكر ولاية الأولياء والصالحين؟ أتنكر قول الله جلّ وعلا:

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (يونس 62)

✦المتن ..

(فإن قال: أتُنكر شفاعة النبي وتتبرأ منها؟ فقل: لا أُنكرها ولا أتبرأ منها، بل هوالشافع المشفَّع، وأرجو شفاعته، ولكنَّ الشفاعةَ كلَّها: لله، كما قال تعالى:

﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ (الزمر 44)

ولا تكون إلا مِن بعد إذن الله، كما قال تعالى:

﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِه ﴾ (البقرة 255)

ولا يَشفع في أحد إلا مِن بعد أن يأذن الله فيه، كما قال تعالى:

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ (الأنبياء 28)

وهو لا يرضى إلا التوحيدَ كما قال:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْه ﴾ (آل عمران 85) ،

فإذا كانت الشفاعة كلُّها لله، ولا تكون إلا مِن بعد إذنه، ولا يَشفع النبي ولا غيرُه في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد- تَبيَّن لك أن الشفاعة كلَّها لله فأطلُبُها منه فأقول: "اللهم لا تَحرمني شفاعتَه"، "اللهم شفِّعه فيَّ") ، وأمثال هذا ..

هذه الشبهة الخامسة وإيش قال فيها الشيخ الكلام على هذه الجملة الطويلة في جمل من المسائل

المسألة الأولى: أعلم أن القاعدة المتقررة أن الشفاعة ملكٌ لله جلّ وعلا لا يملكها لا ملك مقرّب ولا نبيٌ مرسل ولا وليٌ صالح. الشفاعة ملك لله
الشفاعة لا تدخل تحت ملكية أحد كائنًا من كان وإنما الشفاعة لله جلّ وعلا والدليل على ذلك قوله جلّ وعلا: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ (الزمر 44)

وقال الله جلّ وعلا: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ (الزخرف 86)

فالشفاعة ملك لله.

إذاً لا بد أن نطلب الشيء ممن يملكه لا تطلبها من النبي صلى الله عليه وسلم وإنما أطلبها ممن يملكها جملةً وتفصيلا الملكية المطلقة والمتصرف فيها وهو الله جلّ وعلا ؛ هذه أول مسألة (أن الشفاعة كلها لله) جلّ وعلا.

المسألة الثانية: لا شفاعة لمخلوق إلا بشرطه
وقد ذكر العلماء أن الشفاعة لا تكون يوم القيامة إلا بشرطين:
الشرط الأول: إذن الله جلّ وعلا ؛ الشرط الثاني: الرضا.

قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (النجم 26)

وقال الله جلّ وعلا: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ (الأنبياء 28)

وقال الله جلّ وعلا: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة 255)

يقول الناظم:

وشروطها إذن الإله كذا الرضا ودليلها في النجم دون تواني

يعني في سورة النجم.

فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يشفع ابتداءً أمام الله! ..لا بل أنه يأتي ويسجد تحت العرش ويبقى ما شاء الله له أن يبقى حتى يأذن الله له بالشفاعة في قوله كما في الحديث القدسي:

" يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ " (56)

فيرفع رأسه ﷺ ويقول " رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. " (57)

فإذًا لا يبتدئ بالشفاعة أولاً حتى يأذن الله جلّ وعلا له

؛ فإذاً لماذا إذا قيل لك أين إذنك تقول والله هذا إذني ليش تروح للبعيد أنت لماذا تطلبها ممن لا يملكها إلا بالإذن؟ اطلبها من الله الذي يملكها الملكية المطلقة ولا يحتاج الله جلّ وعلا إلى أن يأذن له أحد لا تطلبها من الرسول لأن الرسول ما خولت له ابتداءً إلا بإذن الله جلّ وعلا هو الذي أعطاه الشفاعة بإذنه.

المسألة الثالثة: أعلم أن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص كما نبه الشيخ عليه هذه مسألة مهمة وهي أن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص لا حظَّ في الشفاعة لمشرك يوم القيامة أبدا فإذا كنت حريصًا على أن تكون من جملة من يشفع فيهم رسول الله فاحذر كل الحذر من أن تزل قدمك في أمر من أمور الشرك فإذا زللت فإنك سوف تحرم نفسك من أن يشفع فيك محمد عليه الصلاة والسلام

(56) أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ : الْإِيمَانُ | بَابٌ : أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٩٣)(١/١٢٥)

(57) أخرجه مسلم في صحيحه |كِتَابٌ :الْإِيمَانُ |بَابٌ :أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (١٩٣)(١/١٢٥)

فإذًا لا تطلبها من الرسول لأنك إن طلبتها من الرسول ﷺ فقد أشركت وحينها تخرج في حقيقة الأمر من جملة من يشفع فيهم الرسول ﷺ ؛ ولذلك في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

" قلت يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قال " أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِه "

فأهل التوحيد والإخلاص هم أسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وأما المشركون فكما قال الله جلّ وعلا:

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (المدثر 48)

فإذا طلبها من الله توحيد لأنها طلب ممكن يملكها وطلبها من النبي صلى الله عليه وسلم شرك لأنها طلب من إنسان لا يملكها.

فالنبي عليه الصلاة والسلام ما يملك أن يشفع لأحد إلا أذن الله جلّ وعلا ورضي فإذا قال لك المشرك أتنكر شفاعة رسول الله صلّ الله عليه وسلم فبين لهذا المشرك أنني لا أنكرها بل أنا أثبتها وأؤمن الإيمان الجازم بأنه صلّى الله عليه وسلم هو الشافع المشفع بأبي هو وأمي صلّى الله عليه وسلم وأطلبها من الله فأقول اللهم شفع فيّ نبيك صلّى الله عليه وسلم ما أقول يا رسول الله اشفع لي لا.. ما أطلبها من الرسول وإنما أطلبها من رب الرسول صلّى الله عليه وسلم فأقول اللهم شفعني في رسولك أو اجعلني ممن يشفع فيهم نبيك لماذا؟ لأنني لا أطلب الشيء إلا ممن يملكه الله وهو مالك الشفاعة على وجه الإجمال والتفصيل.

إذًا فأنا أثبت شفاعة الرسول صلّى الله عليه وسلم ومع إثباتي لها لا أجيز أن يطلبها أحد منه صلّى الله عليه وسلم بل لا تطلب الشفاعة إلا من الله

الأمر الثالث: بيَّن الشيخ رحمه الله الطريقة المثلى في طلب الشفاعة لهذا المشرك لأنه جاهل قال يا مشرك لا تقول يا رسول الله اشفع فيني .. لا يا أخي .. قل له اللهم شفع فيّ نبيك محمد صلّى الله عليه وسلم فإذا ما هو بصحيح إذا قلت لا تطلبها من الرسول هذا يدل أنني أنكر شفاعة الرسول هذا تلازم باطل .. أنا أقر بشفاعة الرسول ولكنني أحرم عليك وعلى أمثالك أن تطلبها من ايش يا جماعة؟؟ أن تطلبها منه

ثم أضف إلى ذلك جواب آخر قل هل الرسول هو الذي سيشفع يوم القيامة.. الملائكة بيشفعون ولا لا يا جماعة؟ ولا لا يا أخوان؟ الله سيأذن للملائكة أن يشفعوا ولا لا؟

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ (النجم 26)

إذاً الملائكة بيشفعون طيب والأفراط والأطفال. الأطفال الصغار؟

بيشفعون.. والشهداء؟ بيشفعون إذاً كل هؤلاء يملكون الشفاعة.

طب روح أطلبها منهم كلهم .. عاودنا للشرك مرة ثانية وهو سؤال غير الله جلّ وعلا عاودنا للشرك .. إذا كنت والله أجيز دعاء طلب الشفاعة من الرسول وطلب الشفاعة من الملائكة وطلب الشفاعة من الأفراط وطلب الشفاعة من الشهداء وطلب الشفاعة من من من من من إذاً هذا هو حقيقة الشرك وهو صرف الدعاء لغير الله جلّ وعلا فالشفاعة ليست مخصوصة بالرسول صلَّى الله عليه وسلم سيشفع الأنبياء كما قال النبي ﷺ عن رب العزة في الحديث القدسي:

" شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ " (58)

إذًا كل يشفع يوم القيامة فهل كل من خولت له الشفاعة يوم القيامة يجوز لك أيها المشرك في الدنيا أن تطلبها منه هذا هو حقيقة الشرك عدنا للشرك مرة ثانية .. فهمتوا هذه؟ فإذًا أجبه بعدة أمور:

الأمر الأول: أنني أثبت شفاعة الرسول صلّ الله عليه وسلم

الأمر الثاني: وأحرم طلبها من النبي صلّ الله عليه وسلم.

الأمر الثالث: أن أبين له أن الملائكة ستشفع والإفراط سيشفعون كما سيذكره الشيخ رحمه الله تعالى.

✦المتن .. (فإن قال: النبي أُعطِيَ الشفاعةَ وأنا أطلبه مما أعطاه الله)

وأنا أطلبه مما أعطاه الله أو أطلب منه مما أعطاه الله وهذه شبهة خسيسة في الحقيقة وخلاصتها أن المشرك يقول تعال أنا لا أطلب النبي صلَّى الله عليه وسلم شيئًا

(58) أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ : الْإِيمَانُ | بَابٌ : مَعْرِفَةُ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ (١٨٣)(١/١١٤)

لا يقدر عليه .. لا ولا يملكه ولكن أطلبها منه بعد أن أمكنه الله جلّ وعلا منها بعد أن أمكنه الله وملكه الله شيئًا من الشفاعة يوم القيامة أنا أطلبها منه أنا أطلبها من الرسول لأن الله أعطاه شيئًا من الشفاعة فأنا أطلب النبي صلىالله عليه وسلم الشفاعة لأنها من جملة خصائصه وهذه هي الشبهة السادسة كما ذكرتها لكم.

هذه هي الشبهة السادسة أجاب الشيخ رحمه الله عنها بجوابين أو بعدة أجوبة .. المهم أذكر الأجوبة على وجه الإجمال ..

الجواب الأول: سلمنا وآمنا وأيقنا وصدقنا أن الله أعطى نبيه الشفاعة لكن الذي أعطاه الشفاعة انتبه نهاك في مقام آخر أن تطلبها منه لأنه يقول

﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن 18).

فالذي أعطى نبيه الشفاعة نهاك أنت أن تطلبها منه فالله جلّ وعلا أعطى نبيه الشفاعة نهاك أنت أن تطلبها منه فالله جلّ وعلا اعطى نبيه الشفاعة قم قال لك أيها المسلم لا تدعو معي أحدًا فإذا كنت مستجيبًا لأمر الله جلّ وعلا وحريصًا على تطبيق شريعته فإياك أن تطلب الشفاعة من أحد ولو كان النبي صلّى الله عليه وسلم.

الجواب الثاني: أن لا تلازم بين إعطائه الشفاعة وبين دعائك له إذاً ليس كل شيء أعطاه الله لأحد أن نطلبه منه فإن أصحاب الأموال أعطاهم الله جلّ وعلا أموالًا كثيرة فهل هذا يقتضي أن نطلب منهم أموالهم؟ أن نطلبها منهم؟ الله جلّ وعلا أعطى بعض المخلوقات بيوتًا وبعضهم أعطاهم سيارات وبعضهم .. فنقول والله أعطني مما أعطاك الله هذا ليس بحجة على الله جلّ وعلا ولذلك يقول العلماء رحمهم الله تعالى أي دليل يدل على أن كل من أعطي شيئًا جاز طلبه منه ما في تلازم بين هذا وهذا وأي دليل على هذا القول؟ وهل يجوز للناس جميعًا أن يسألوا الأغنياء والأموال والأشياء التي أعطاهم الله إياها؟ وهل يجوز لكل مسلم أن يسأل كل مخلوق ما أعطاه الله وما ملكه إياه من أنواع الأموال والأعطيات بحجة أن الله أعطاه ذلك؟ الجواب: لا
إذاً فالله أعطى نبيه الشفاعة ولكن نهاك أن تطلبها وأن تدعوه فيها

الله أعطى الغني المال ونهاك أن تدعو صاحب المال ، تقول يا صاحب المال يا صاحب المال تدعوه من دون الله جلّ وعلا بحجة أن الله أعطاه المال .. لا أعطاه المال ولكن نهاك أن تطلب منه ماله كما قال الله جلّ وعلا :﴿ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ (محمد 36)
إلا بالحقوق الشرعية من الزكاة وما يجب من النفقات.

الجواب الثالث: أن الله جلّ وعلا أعطى الملائكة الشفاعة وأعطى الأفراط الشفاعة وغير ذلك ما ذكرت لكم قبل قليل وهذا ليس دليلًا على أنك تطلبها من الملائكة أو تطلبها من الأفراط أو تطلبها من الشهداء أو تطلبها ممن أمكنهم الله جلّ وعلا منها.

خُلاصة الجواب في عدة أمور:
الجواب الأول: - أن الله أعطى نبيه الشفاعة ونهاك عن طلبها منه هذا الجواب الأول
الجواب الثاني: أنه لا تلازم بين إعطاء الله وطلب المُعطَى
أي لا تلازم أن يعطي الله عبدًا شيئًا وأن تطلبها منه
الجواب الثالث: أن الله أعطى الملائكة الشفاعة فهل هذا دليل على جواز طلبها منهم ؛ أن الله أعطى الأفراط والشهداء الشفاعة فهل هذا دليل على جواز طلبها منهم؟
الجواب: لا
ليس هذا بدليل على هذا التلازم فبهذه الأجوبة الثلاثة تنكشف شبهة المشرك في قوله أنا أطلب منه شيئًا أعطاه الله جلّ وعلا.

✦المتن .. (فالجواب: إنَّ الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال:
﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن 18) ،
فإذا كنت تدعو الله أن يُشفِّع نبيَّه فيك فأطِعْهُ في قوله:
﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن 18).

✦المتن .. وأيضًا إنَّ الشفاعة أُعطِيَها غيرُ النبيِّ فصَحَّ أن الملائكة يشفعون والأولياء يشفعون والأفراط يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟ فإن قلتَ هذا رجَعتَ إلى عبادة الصالحين التي ذكَر الله في كتابه، وإن قلتَ: لا، بطَل قولك: "أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله" .. هذا الجواب الثاني.

✦المتن ..
(وإن قلت: لا، بطَل قولك: " أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله ")

وقد زدتها جوابًا وهي أنه لا تلازم بين كون الله يعطي عبدًا ثم تطلبه تطلب هذا منه ؛ وهناك جواب آخر وهو أنه لا دليل صحيح يصح عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في أنهم كانوا يطلبون الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ما كانوا يطلبون الشفاعة منه ولذا قال المصنف رحمه الله القائل أنه يطلب الشفاعة بعد موته يورد علينا الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلم أو من اجتماع الأمة والحق أحق أن يتبع يعني ليس هناك دليل يجيز طلب الشفاعة من النبي صلّى الله عليه وسلم لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلّى الله عليه وسلم ولا من قول الأصحاب هذه ست شبه أجاب عنها الشيخ بأجوبة مختصرة.
السابعة بسيطة جدّا سهلة وهي تسمية الشرك بغير اسمه تسمية الشرك بغير اسمه قال الشيخ:

✦المتن .. (فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئًا، حاشا وكَلَّا، ولكنَّ الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، فقُل له: إذا كنتَ تُقِرُّ أن الله حرَّم الشرك أعظم من تحريم الزنى وتُقِرُّ أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي حرَّمه الله وذكَر أنه لا يغفره؟ فإنَّه لا يدري ، فقُل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تَعرفه؟ أم كيف يحرِّم الله عليك هذا ويذكُر أنه لا يَغفره، ولا تسألُ عنه ولا تعرفُه؟! أَتَظُنُّ أن الله يحرِّمه ولا يبيِّنه لنا؟!)

خلاصة هذه المسألة أن هذا المشرك لجهله بحقيقة الشرك وجهله بحقيقة التوحيد يخرج أفعاله التي يفعلها عند الأولياء والصالحين عن كونها شركًا ويسميها توسلًا واستعانة واستغاثة ومعرفة لأقدار القوم وغير ذلك من الأسماء التي يتفوهون بها زخرف القول غرورًا فهو لا يسمي فعله شركًا ولا يصف فعله هذا بأنه شرك فالشيخ رحمه الله تعالى أراد أن يحصره في زاوية وقال له: أأنت تؤمن معي بأن الله حرَّم علينا الشرك في القرآن فسيقول هذا المشرك نعم

فقل له: بيّن لي حقيقة هذا الشرك في بعض الشبه يقول بيّن لي حقيقة العبادة .. هذيك انتهى. ؛ لكن هذا يقول بيّن لي حقيقة هذا الشرك الذي هو أعظم من الربا وأعظم من الزنا وأعظم من السرقة فهو أكبر الكبائر على الإطلاق بيّنه لي
فيقول هو بين أمرين:

إما أن يجهله وهو الظن به ليخرج الأفعال من كونها شركًا أكيد أنه جاهل بحقيقة الشرك ؛ فإذا كان جاهلًا به فقل له إذًا كيف بالله عليك تبرئ نفسك من الشرك وأنت أصلًا لا تعرف حقيقة الشرك فربما تكون واقعًا في الشرك من حيث لا تشعر لأنني سألتك ما الشرك؟
فأنت ما عرفته أنت ما عرفت الشرك الآن وربما تكون واقعًا في الشرك وأنت ما تعرفه مثل رجل لا يعرف عقوق الوالدين ما يعرف معنى العقوق فهل له الحق أن يبرئ نفسه ويقول أنا والله لا أقع في عقوق الوالدين.
مالك حق لأنك أصلًا ما تعرف العقوق ..
يمكن أنك واقع في نوع من أنواع العقوق وأنت ما تدري عنه فإذا كنت تبرئ نفسك من شيء أنت أصلًا تجهل حقيقته ولذلك يقول كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟

لا تبرئ نفسك من الشرك إلا إذا كنت عارفًا بحقيقته لأن المتقرر عند العلماء أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره فأنت تصور حقيقة الشرك أول ثم بعد ذلك برئ نفسك منه فحكم هذا المشرك حكم ببراءة نفسه من الشرك وهو لا يعلم حكم الشرك ولا حقيقة

الشرك ثم قل له إذا كان الشرك بهذه المثابة في الشريعة من التحريم فهو أعظم من الزنا وأعظم من قتل النفس وأعظم من السرقة والربا وأي محرم.

كيف لا تشغل نفسك بمعرفته فلماذا لا تسأل عن الشرك الذي حرمه الله جلّ وعلا أعظم من تحريم قتل النفس والزنا وأوجب لفاعله النار والخلود الأبدي وأوجب أنه لا يغفر له ذنبه
أنت ترى أن هذه الأجوبة في الحقيقة هي مُناصحة ... ولا لا
هي ليست أجوبة ولكنها مناصحة لهذا المشرك أنت الآن تخرج أفعالًا من كونها شركًا لأنك جاهلًا بحقيقة الشرك فلا أجد لك شيئًا أنصحك به إلا أنه لا بد أن تتعلم حقيقة الشرك حتى لا تقع في شيءٍ منه وأنت لا تشعر ولا يجوز لك أن تبرئ نفسك من حقيقة أنت تجهلها.

✦المتن .. (فإن قال: الشرك: عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام
الشبهة الثامنة: وهي حصر الشرك في صور معينة فهذا المشرك يقول أن حقيقة الشرك إنما هي عبادة الأصنام والأوثان فقط يعني أن عبادة الملائكة والأولياء والصالحين من دون الله جلّ وعلا هذه لا شأن لها ولا تدخل في مسمى الشرك

فقُل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ أَتَظُنُّ أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلُق وترزُق وتدبّر أمرَ مَن دعاها؟! فهذا يكذِّبه القرآن، وإن قال: هو مَن قصَد خشبة أو حجرًا أو بنية على قبرٍ أو غيره، يدْعون ذلك ويذبحون له ويقولون: "إنه يقرِّبنا إلى الله زُلفَى، ويَدفع الله عنَّا ببركته أو يعطينا ببركته")

لا يزال الشيخ يطلب من هذا المشرك أن يبين له حقيقة الشرك لأن تلك الشبه التي يوردها هذا المشرك في حقيقتها تدل على جهل كبير بحقيقة الشرك ومعاني الشرك فهو يحصر صورة الشرك في عبادة الأصنام والأوثان فقط فحينئذٍ الشيخ رحمه الله يطلب من الخصم أن يبين له معنى الشرك يقول بين لي معنى الشرك؟
فهذا الرجل إما أن يبينه على وجه الحق أو على وجه الباطل

فلا يخلو جوابه من عدة أمور:

إمّا أن يقول الشرك هو عبادة الأصنام فقط فحينئذٍ تقول له لا فإن المشركين الأوائل عبدوا الملائكة وعبدوا الأنبياء وعبدوا الأولياء وعبدوا الصالحين ومع ذلك حكم الله عليهم بأنهم وقعوا في الشرك.

فإذًا لا يجوز لك أن تحصر الشرك في صورة عبادة الأصنام فقط
إذًا فسر أن الشرك هو عبادة الأصنام فقط فبين له تلك الآيات التي تدل على أن ثمة أناس عبدوا الملائكة والأنبياء والصالحين إلى غير ذلك
أحيانًا قد يقول لك أن الشرك هو أن تعتقد أن هناك خالقًا مع الله وأن هناك رازقًا مع الله وأن هناك مدبرًا مع الله هذه حقيقة الشرك عند ذلك الرجل فإذا قال ذلك فقل نعم أحسنت ولكن هذا هو شرك في ماذا؟
في الربوبية .. هذا شرك في الربوبية فهو بعض أفراد الشرك وليس كل أفراد الشرك فإذا هو أوتي من حصره أنواع الشرك في حقائق أو في صور معينة وإن قال لك - ولعله أن يقول لك-: إن الشرك هو خشية غير الله والانطراح بين يدَيْ غير الله ودعاء غير الله هذا هو حقيقة الشرك الذي نزلت الأدلة بذمه فقل له حينئذٍ: صدقتَ، وهذا هو الواجب عليك أن تعتقده فإذًا لا يجوز لك تحصر الشرك في عبادة الأصنام فقط ولذلك يجب علينا أن نتعرف على حقيقة الشرك كما قال العلماء رحمهم الله.

يقول ابن تيميَّة رحمه الله: " وأصل الشرك أن تعدل بالله غيره من مخلوقاته في بعض ما يستحقه " (59)
كما قلت لكم سابقًا أن حقيقة الشرك العامة هي مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله جلّ وعلا .. إذاً هذه الشبهة مبنية على عدم تصور هذا المشرك لحقيقة الشرك وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(59) الاستقامة (١/٣٤٤)

كشف الشبهات

بشرح فضيلة الشيخ

وليد بن راشد السعيدان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

« المقدمة »

المحاضرة العاشرة (المقطع الأول من الدرس الرابع)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه ومن اهتدى بهداه، ثم أما بعدُ: **(ويقال له أيضًا: قولك: "الشرك: عبادة الأصنام" هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟! فهذا يردُّه ما ذكره الله في كتابه مِن كفر مَن تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحدًا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب. وسر المسألة: أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله.**

فقل له: وما الشرك بالله؟ فسِّره لي!

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسِّرها لي!

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسِّرها لي! فإن فسَّرها بما بيَّنه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يَعرفه فكيف يدَّعي شيئًا وهو لا يَعرفه؟!

وإن فسَّر ذلك بغير معناه بيَّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنَّه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي الذي ينكرون علينا ويَصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا:

أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ

فهذا المشرك إنما أوتي مِن: (جهلِهِ بحقيقة التوحيد وبحقيقة العبادة) فيطلب منه الموحد أن يفسر له حقيقة التوحيد ويطلب له أن يفسر حقيقة الشرك.

قول الشيخ: "فكيف يدَّعي شيئا وهو لا يعرفه؟": إذا كان الإنسان لا يعرف معنى العبادة فإنه ربما يقع في شيء من المخالفات في العبادة وهو لا يشعر وهو ما يسميه العلماء رحمهم الله تعالى بالجهل المركب وهذا الصنف من الناس هو الذي آذى المسلمين.لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فهو يدَّعي شيء وهو لا يعرفه وهذا الصنف الذي يسميه العلماء بالجهل المركب ، يقول الإمام الطرطوشي : فتدبر هذا الحديث – وهو قوله ﷺ"إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إذا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا "[1]– .يقول الإمام الطرطوشي رحمه الله :فتدبر هذا الحديث فإنه يدل على أنه لا يؤتى الناس قط من علمائهم وإنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم فيؤتى الناس من قبله)[2]فهؤلاء الذين يقعون في مثل هذه الشبه لو تسأل الواحد منهم ما معنى حقيقة التوحيد وما معنى حقيقة الشرك فهو لا يعرفه .

خلاصة الشبهة الماضية وجوابها تقدم في الدرس الماضي.

الشبهة التاسعة: خلاصة الشبهة التاسعة هو حصر صورة الشرك في دعوى البُنوة لله جل وعلا فقط يعني يقول إنه ليس ثمة صورة من صور الشرك في الدنيا إلا في حق من قال إن الملائكة بنات الله أو إن عيسى ابن الله أو أن عزير ابن الله وأما ما عدا ذلك من صور الشرك فلا يراها ذلك المشرك شركا. فالتوسل بالصالحين والانطراح بين أيديهم و دعاؤهم والاستغاثة بهم لا يراها هذا المشرك أنها داخلة في صور الشرك وإنما الذي يدخل في مسمى الشرك عند هذا المشرك هو من يدعى أن لله ابنا أو بنتا فقط فإذا هذا أوتي من ماذا يا شباب أوتي من حصر الشرك في صور الشرك في معينه هذا وقد أجاب الشيخ رحمه الله تعالى عن هذه الشبهة بأربعة أجوبة:

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابٌ : الْعِلْمُ | بَابٌ : كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ(١٠٠)(٣١/١)

[2] الحوادث والبدع (٧٧)

الجواب الأول: بين له أن الشرك شعب وأن الكفر شعب كما أن الإيمان شعب فشعب الكفر كفر وشعب الإيمان إيمان فالإيمان شعبه متعددة فالصلاة إيمان والزكاة إيمان فالإيمان لا يحصر في صورة واحدة وإنما هو شعب متعددة فكذلك الكفر أيضا والشرك صور متعددة وشعب متعددة فمن الشرك عبادة الأصنام ومن الشرك دعوى البنوة لله تعالى ومن الشرك تعطيل الرب عن وجوده ومن الشرك عبادة الملائكة؛ فإذًا الجواب الأول تبين أيها الموحد لهذا المشرك إن الكفر ليس صورة واحدة ولا صورتين ولا ثلاث وإنما هو شعب. كما قال الشيخ رحمه الله تعالى فالجواب أن نسبة الولد لله جل وعلا كفر مستقل يعني أن هذا شرك بحد ذاته وكفر بحد ذاته لكن بقيت صور كثيرة من الكفر وبقيت صور كثيرة من الشرك فإذا إذا قال إن حقيقة الشرك هو نسبة البنات إلى الله فنقول نعم ولكن ليس هو كل صور الشرك وإنما هي واحدة من صوره. الجواب الثاني: أن الله جل وعلا جمع بين هذين الكفرين بين عبادة غيره وبين نسبة الولد له بحرف الواو الذي هو واو العطف فدل ذلك على أن العطف يقتضي المغايرة فهذا شيء وهذا شيء هذا كفر مستقل وهذا كفر مستقل كما قال الله جل وعلا ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ**[٣]﴾ فدل ذلك على أن هناك صور شركية أخرى غير اتخاذ الولد مع الله فمن يزعم أن الله اتخذ ولد فقد أشرك ومن اتخذ إلها مع الله فقد أشرك لأن العطف بينهما يقتضي المغايرة. فإذا قوله إن الشرك هو نسبة الولد إلى الله كيف نجيب عن قول الله جل وعلا (ما اتخذ الله من ولد هذا شرك وما كان معه من إله) إذا دل ذلك على أن هناك صور شركية أخرى غير مجرد نسبة إلى الله جل وعلا فحصره الشرك في الولد فهذا ما أوتي من قلة فهمه ومعرفته بحقيقة الشرك. الجواب الثالث: إن الذين عبدوا اللات كفَّرهم الله مع أنهم ماقالوا إن اللات ابن الله ولا إن اللات بنت الله، عبدوه ودعوه من دون الله ومع ذلك كفَّرهم الله والنبي صلى الله على

---

[٣] المؤمنون ٩١

وسلم وجاهدهم النبي عليه الصلاة والسلام مع أنهم ما قالوا أنه ابن الله ولا ثالث ثلاثة ولا قالوا أنه هو الله ومع ذلك كفرهم الله جل وعلا هذا دليل على أن الكفر والشرك صور متعددة ولا يحصر في صورة واحدة وهي نسبة الولد إلى الله لو كان الشرك كله نسبة الولد إلى الله لما كان عباد اللات قد كفروا لأنهم ما قالوا إن اللات هو ابن الله. هذا غبي هذا هذه شبهة غبية جدا وهي تخصيص للعموم الوارد في قول الله جل وعلا ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا[٤]﴾

الجواب الرابع: أن الشيخ رحمه الله قال انظر في كتب الفقهاء في باب حكم المرتد هم عددوا صورا كثيرة توجب الردة للإنسان فكونك تحصر الردة فقط في دعوى الولد لله طيب وين تلك الصور الكثيرة التي ينص عليها الفقهاء في حكم المرتد قالوا هكذا بس كذا، أثبتوا شيئا ليس بكفر في الحقيقة وليس شرك في الحقيقة فإن من نظر في كتب الفقهاء في باب حكم المرتد وجد أنهم نصوا على أشياء توجب الردة كثيرة منها ما يرجع إلى الشك ومنها ما يرجع إلى العمل ومنها ما يرجع إلى الأقوال ومن جملة ما نصوا عليه أن من ادَّعى الولد لله جل وعلا أنه مشرك فإذن هذه شبهة داحضة أجاب الشيخ عنها بأربعة أجوبة.

خلاصة الأجوبة. أن الجواب الأول أن هذا كفر مستقل يختلف عن الكفر الثاني.

الجواب الثاني أن الله جمع بينهما في أية واحدة في نصوص واحدة فدل بحرف الواو مما يدل على أن هذا شيء وهذا شيء.

الجواب الثالث: أن الذين عبدوا اللات ما قالوا إن اللات ابن الله ومع ذلك كفرهم الله جل وعلا.

الأمر الرابع (الجواب الرابع) أن العلماء في كتاب حكم المرتد يذكرون صورا كثيرة من صور الردة ليست مقصورة على هذه الشبهة أو على ما قالوا. نعيدها مرة ثانية : الجواب الأول أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل ولذلك قال الله جل وعلا قل هو الله أحد ، أحد في عبادته و أحد في ربوبيته و أحد في أسمائه وصفاته قال الله

---

[٤] الجن ١٨

الصمد ثم قال لم يلد ولم يولد وسيأتينا تفصيل السورة بعد قليل. الشاهد إن هذا كفر مستقل

الأمر الثاني (الجواب الثاني) أن الله جمع بينهما بحرف الواو وحرف الواو يقتضي المغايرة.

الثالث (الجواب الثالث) أن الله كفَّر من عبد اللات وهم لم ينسبوها إلى أنه ابن الله

الرابع (الجواب الرابع) أن العلماء في باب حكم المرتد يذكرون صورا من صور الردة كثيرة ليست محصورة في البنوة فقط .

المتن(فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء وإنما يكفرون لما قالوا، الملائكة بنات الله فإنا لم نقل عبد القادر ابن الله ولا غيره.

فالجواب أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل،

هذا الجواب الأول

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ(2) ﴾، والأحد الذي لا نظير له، والصمد المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا فقد كفر)

لقد اختلف تفاسير السلف رحمهم الله تعالى في الصمد على ثلاثة أقوال وهو من باب خلاف التنوع لا من خلاف التضاد؛ فمنهم من قال إن الصمد هو الذي تصمد إليه الخلائق في طلب حوائجها كما قال الشيخ محمد رحمه الله فالإنسان إذا أراد حاجة من الله أو حلت عليه الضرورة وأراد شيئا من الله فإنه يصمد إلى الله بطلب حاجته إليه يطرق باب الله جل وعلا بالدعاء. الأمر الثاني أن الصمد هو من بلغ الكمال المطلق في صفاته فهو السيد الذي بلغ الكمال في سؤدده والكريم الذي بلغ النهاية في الكرم والقوي الذي بلغ الكمال في القوة والقدير الذي بلغ الكمال في القدرة هذه يسمونه الصمد. الصمد هو الذي بلغ الكمال في صفاته.

الثالث (الأمر الثالث) أنه الذي لا جوف له فلا يأكل ولا يشرب والله جل وعلا لا يأكل ولا يشرب لغناه عن كل أحد وكل هذه التفاسير صحيحة مليحة فهو من باب خلاف التنوع لا من باب خلاف التضاد.

(وقال الله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾ ، ففرق بين النوعين، وجعل كلا منهما كفرا مستقلا)

هذا هو الجواب الثاني يعني أن الله فرق بينهما بحرف الواو المقتضي للمغايرة فنص الله جل وعلا على أن هناك كفرين الكفر الأول هو نسبة الولد إلى الله والكفر الثاني اتخاذ الإلهة مع الله جل وعلا.

متن ففرق بين النوعين، وجعل كلا منهما كفرا مستقلا (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ)

إذاً جمع بينهما بحرف الواو غاير بينهما بحرف الواو قال الله جل وعلا ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ**﴾ [٥] هذا هو المكفر الأول ، والمكفر الثاني قال وخرقوا له بنين وبنات بغير علم فدل ذلك على أن صور الشرك كثيرة وليست محصورة في ادعاء البنوة فقط.

المتن (والدليل على هذا أيضا: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلا صالحا لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك)

هذا هو الجواب الثالث.

---

[٥] الأنعام ١٠٠

يعني الذين يعبدون الجن من دون الله جل وعلا من السحرة والكهنة وغيرهم هؤلاء هل يزعمون أن الجن بنات الله أو أن الجن أبناء الله الجواب لا ومع ذلك كفَّرهم الله جل وعلا والذين عبدوا والعزى ومناة الثالثة الأخرى هؤلاء كفَّرهم الله مع أنهم لم يزعموا أن تلك الأصنام هي بنات الله جل وعلا.

المتن (وكذلك أيضا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في (باب حكم المرتد) أن المسلم إذا زعم أن لله ولدا فهو مرتد، ويفرقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح)

هذا هو الجواب الرابع.

فيفرقون بين النوعين والنوعان هما كفر من زعم لله ولدا وكفر من جعل لله شريكا ففرقوا بين النوعين وجعلوا كل واحد منهم كفرا مستقلا.

إذا هذه شبهة داحضة لا ينظر لها بعين الاعتبار مطلقا.

ثم انتقل بعدها الشيخ رحمه الله إلى الشبهة العاشرة فقال.

المتن(وإن قال ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

فقل هذا هو الحق، ولكن لا يعبدون ، ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه، وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم)

لقد تقرر عند العلماء رحمهم الله تعالى على أن مشروعية الشيء في أصله لا تستلزم مشروعيته بوصفه، فليس كل شيء يشرع بأصله يكون مشروعا بوصفه أحيانا نمنع الأشياء لأنها اختلت شرعا في صفاتها فالمشروع بالأصالة أن الأولياء لهم منزلة عظيمة وجاه عظيم وكبير عند الله جل وعلا فنحن نؤمن بجاههم وعلو منزلتهم وقربهم من الله جل وعلا

وكرامتهم على الله ونؤمن بما يجريه الله جل وعلا على أيديهم من الكرامات وخوارق العادات سواء كانت في العلوم أو التأثيرات أو القدرة أو غير ذلك هذا كله نؤمن به إيمانا جازما ودليل ذلك قول الله جل ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[٦]﴾ فإذا باعتبار الأصل الأولياء لهم منزلة ولهم كرامة عند الله والواجب علينا أن نحبهم لهذه المنزلة و الإيمان الذي يحملونه في قلوبهم ولا يجوز لنا معاداة أحد من أولياء الله لقول الله تعالى في الحديث القدسي "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"[٧] ولكن الشيخ رحمه الله تعالى بين أن اعترافنا بولايتهم وأن لهم منزلة كبيرة عند الله وأن لهم جاها وعظمة عند الله تعالى لا يسوغ لنا أن نصرف لهم شيئا من معاني الربوبية ولا شيئا من معاني الألوهية فهذا شيء وهذا شيء ، فليس كل من أقررنا بفضله من الخلق لا بد أن نُضفي عليه شيئا من معاني الربوبية والألوهية فالله تعالى الذي أخبر بمكانتهم نهانا عن عبادتهم ، فقال الشيخ رحمه الله تعالى في عبارة مقتضبة كعادته قال (نعم لهم منزلة عند الله ولكن لا يعبدون) فمهما بلغ الولي في منزلته فإنه لا يستحق شيئا من العبادة . وفي بداية شرح هذا الكتاب المبارك ذكرت قاعدة وهي : أن علو منزلة المخلوق لا تسوغ له أن نرفعه عن رتبة البشرية إلى رتبة الربوبية أو الألوهية وهذا بخلاف الطائفة الوثنية الشركية الرافضة الغلاة الذين يجعلون من مقتضيات ولاية علي ابن أبي طالب رضي الله عنه رفعه إلى مقام الربوبية أو مقام الألوهية فيُضفون على أوليائهم الإثني عشر صفات لا تليق إلا بالله جل وعلا وهذا كله من الشرك والوثنية ، وإذا حاربتهم في مثل هذا الأمر جعلوا تلازما بين محاربتك لهم وبين عدم إقرارك بولايتهم ، ونقول لهم لا فلا بد أن نفرق بين إثبات الولاية وبين عبادتهم ، فنحن نُقر بولايتهم ولكن لا نعبدهم ، وهذه الآية – التي ذكرها الشيخ رحمه الله – يستدل بها أهل الشرك كثيرا فإذا قلت لهم لا تطوفوا حول قبور الأولياء والصالحين قالوا هؤلاء أولياء الله وإن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم

---

[٦] يونس ٦٢

[٧] أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابٌ : الرِّقَاقُ | بَابُ التَّوَاضُعِ(٦٥٠٢)(٨/١٠٥)

يحزنون ، وكذلك لو قيل لهم لا تنذروا للأولياء والصالحين ، ولا تذبحوا عند قبورهم فيردون بهذه الآية ، فالواجب بيان التفريق بين أصل الشيء ووصفه ، فنقول لهم هذه الآية تثبت الأصل ونحن لم ننكر محبة الأولياء ولا محبة الصالحين ، ولكن نحن أنكرنا الوصف وهو عبادة هؤلاء الأولياء من دون الله ودعائهم والاستغاثة بهم والانطراح عند عتبات قبورهم من دون الله تعالى .

وأعلم أن أهل السنة بالنسبة للأولياء والصالحين وسط بين فرقتين ضالتين :

الفرقة الأولى : فرقة هجمت على الأولياء والصالحين وأنزلتهم عن رتبتهم ولم تعرف لهم قدرا ولا منزلة ، كالخوارج الذين يتقربون إلى الله بقتل أصحاب النبي ﷺ ويجعلون ديارا المسلمين ودمائهم حلال وديارهم ديار حرب فهؤلاء أنزلوا أهل الولاية العالية عن رتبتهم فهم عندهم تفريط في مسألة الولاية وغير الخوارج من من نحي منحاهم ، وكثير من التعليقات على الشبكة الانترنت الآن على كلمات المشايخ أو فتاوى العلماء قريبة من هذه الطائفة الذين لا يعرفون للأولياء ولا للعلماء منزلة ولا قدرا ولا يعطونهم رتبتهم التي أنزلهم الله فيها وهذا كله حرام ولا يجوز ، فهذه الطائفة بخست للولاة حقوقهم وعدم معرفة أقدارهم .الطائفة الثانية : الغلو في أولياء الله تعالى ورفعهم عن مقام البشرية إلى مقام الملائكية أو إلى مقام الربوبية والألوهية كم هو حال الرافضة مع أئمتهم الإثني عشر المزعومين فهؤلاء يرفعونهم إلى مقام الربوبية و الألوهية ، فجاء أهل السنة رحمهم الله فأثبتوا ما للأولياء الله من الحق الثابت في الكتاب والسنة ولكن لا يرفعونهم عن منزلتهم التي هي منزلة البشرية إلى منزلة الربوبية و الألوهية وهذه هي الوسطية التي أمرنا الله تعالى بها في قوله " **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** "[٨] ، فالواجب علينا أن نحبهم وأن نتبعهم وأن نقتدي بأخلاقهم الطيبة وأن نحترمهم ونقدرهم وننزلهم منازلهم ولكن لا نصرف لهم شيئا من أنواع العبادة فلا يعبدون مع الله تعالى لأنهم لا يستحقون شيئا من العبادة .

---

[٨] البقرة ١٤٣

ثم تكلم الشيخ رحمه الله تعالى عن كرامات الأولياء ، والكرامة عرفها العلماء بأنها : أمر خارق للعادة يجريه الله على يد الولي لإظهار شرفه وهذا من بعض مقاصدها وليس كل مقاصدها وإلا فالمقصود الأعظم من الكرامة لتثبيت هذا الولي ، والخوارق ثلاثة أشياء :

أولا : الخارق الذي يجريه الله تعالى على يد النبي وهذه تسمي آية أو برهان أو معجزة ، والمقصود من هذه الآيات التي يجريها الله على يد الأنبياء إظهار صدق دعواهم في الرسالة والنبوة كالآيات التسع التي أجراها الله تعالى على يد نبيه موسى عليه السلام وهو أكثر من أجرى الله على يده الآيات ، وكذلك الآيات التي أجراها الله على يد عيسى عليه السلام ، والآيات التي أجراها الله تعالى على يد نبيه ﷺ ، فهذه خوارق للعادات لا يستطيعها النبي ولكن الله يجريها على يديه حتى يكون ذلك سببا لتصديق الناس له بأنه رسول الله .ثانيا : خوارق يجريها الشياطين على أيدي السحرة والكهان فهذه مخاريق شيطانية فربما يتصرف الساحر أو الكاهن بتصرفات لا يستطيعها البشر ويكون وراء هذه التصرفات الشياطين كالذين يمشون على الماء وفي العادة أن البشر لا يشمون على الماء ولكن الشياطين تحملهم ، وكذلك الطير في الهواء ،، أو يخبرون بالأشياء الغابة عنهم من الكهنة والسحرة ، أو من يخبرك بما يدور في تفكيرك وفي ضميرك بسبب الشياطين ، وهذه خوارق شيطانية إبليسه يجريها الشيطان على يدي بعض أولياءه حتى يكون سببا للإضلال الناس وفتح باب شر عظيم لتقديس هذا الرجل ، ومن هؤلاء ذلك الرجل المسمى بالتاج أنه كان أعمى ويأتي من الخرج إلى الدرعية من غير أحد يقوده ولا يقع في حفرة ولا يصطدم في شجر فالشياطين هي التي تقوده ، وقد ذكر أبو العباس ابن تيمية رحمه الله عن هذا الصنف شيئا كثيرا وأحوالا كثيرة يطول المقام بذكرها . ثالثا: الكرامات التي يجريها الله تعالى يد الأولياء وهي خوارق للعادات يجريها الله تعالى على يد ولي من أولياء الله تعالى لا لإظهار صدقه وإنما لإظهار شرفه وعلو منزلته عند الله تعالى ، وفي الكرامات عند أهل السنة والجماعة قواعد:

القاعدة الأولى : لا تثبت الكرامة إلا لأهل الإيمان والتوحيد بمعنى أنه لو ادَّعى الكرامة أحد من الفسقة من أهل البدع والشرك والوثنية المخالفين لعقيدة أهل السنة فلا نصدق أبدا حتى وإن حُمل في الهواء ومشى على الماء وأدخل النار في جوفه وإن أكل الجمر وإن أخرج أمعاءه أو قطع رأسه ثم أعاده بين كتفيه وإن فعل ما فعل فلا نصدقه لأن الكرامات من جملة الأشياء التي خص الله تعالى بها أولياءه الصالحين وحزبه المفلحين ، فإذا أجرى الله الكرامة على يد أحد أو زعم أحد أن هذه كرامة فلا بد أن نقيس أحواله بدلالة الكتاب والسنة فإن وافق هديه هدى الكتاب فإن هذه كرامة وفضل من الله جل وعلا ، وأما إذا كان من أصحاب الخرق والبيوت القديمة وأصحاب الهِجر أو المبيت بالمقابر أو غيرها من هؤلاء الذين يتصلون بالشياطين بأمكنتهم فكلهم دجاجلة وإن فعلوا خوارق العادات فبعضهم قد يدخل الجمرة من فمه ثم يخرجها من دبره وهي لم تنطفئ ، وبعضهم يدخل سيوفا كثيرة في فمه وبعضهم ينفخ فيخرج من فمه نارا ، وبعضهم يأكل الزجاج ، وبعضهم تطأ السيارة على صدره ثم يخرج سليما ، وبعضهم يأكل المسامير وكل هذه من الأحوال الشيطانية التي يكون الشيطان سببا في إعانة هؤلاء على القيام بها .القاعدة الثانية : كن طالبا للاستقامة لا للكرامة ، فليس من منهج أهل السنة أن يحرص المسلم على طلب الكرامة من الله تعالى فليسا هذا بمنهج شرعي فما طلبها أبو بكر رضي الله عنه ولا عمر رضي الله عنه ولا سادات الصحابة فالذي يطلب الكرامة يكون مخالفا لمنهج أهل السنة والجماعة ، فالمسلم يجب عليه أن يكون طالبا للاستقامة والثبات على الصراط المستقيم فإن أجرى الله تعالى على يديه كرامة من غير طلب فالحمد لله وهذا فضل من الله تعالى ، ولكن أن يطلبها هو بنفسه وأن يدعوا الله تعالى بها ويقول اللهم أجرى على يدي كرامة فيكون بذلك مخالفا لمنهج أهل السنة والجماعة بل هو مُدخل في الرياء لأنهُ يكون مريدا بهذه الكرامة المفاخرة فقط ، ولذلك ينبغي الانتباه لمسألة وقع فيها كثير من الطوائف لا سيما الصوفية فبعضهم ربما يذهب إلى البرية من غير زاد ولا لماء ولأنه إذا ذهب إلى البرية يُعاشر الوحوش ثم رجع سليما فهذه كرامة فهم يطلبون الكرامة

فضله فقط ، وأما أن يُجعل مجالا للتفضيل فيما بينه وبين غيره من المؤمنين فهذا لا يجوز .

القاعدة الرابعة : الكرامة دليل على برهان من البراهين التي تدل على صدق رسول الله ﷺ ، وحقيقة هذا أن هذا الولي إنما أظهر الله على يديه هذه الكرامة لسلامة منهجه والمنهج الذي تبعه هو منهج رسول الله ﷺ فكون أن الله يظهر الكرامة على يدي أحد أتباعه ﷺ لسيره على منهجه فهذا دليل على صدق دعوى النبوة للنبي ﷺ ، فالكرامة يستدل بها أهل الإيمان والتوحيد على صدق النبي ﷺ لأن الله تعالى لم يكن يكرم أحدا وهو على منهج خاطئ ضال ، فلما أكرم الله بعض أتباع محمد ﷺ لأتباعهم محمدا ﷺ فهذا دليل على أن ما جاء به محمد ﷺصدق من عند الله جل وعلا .

القاعدة الخامسة: الكرامة طريقها الشكر والحمد والتواضع لا الفخر والخيلاء ، فلا يجوز للعبد أن يتخذ الكرامة طريقة يفتخر به على عباد الله تعالى ولذلك أسأل الله ألا يُجريَ على أيدينا كرامات لأن الإنسان قد يغتر إذا أجرى الله على يديه شيئا من الكرامات ، واعلم أيها المؤمن الموفق أن العبد إذا تعامل مع الكرامة بكمال الحمد والشكر والتواضع وسخرها فيما يخدم دينه فهذا إن شاء في الفخر والخيلاء والتعاظم ورؤية النفس والاغترار بالذات فإن هذا يوقعه فيما لا تُحمَد عقباه. واعلم أيها الحبيب أن أعظم الكرامة من الله تعالى: الهداية فالهداية من أعظم الكرامات فهي أعظم كرامة يمتن الله تعالى بها على العبد ، وإن سلك طريق العلم فهذه كرامة على كرامة إذا ليس كل مسلم يسلك طريق العلم ، وإن سلك العبد طريق العلم الصحيح وصار عالما من علماء أهل السنة والجماعة فهذه كرامة على كرامة على كرامة ، فالإنسان مذ دخوله في هذا الدين العظيم وهو يتقلب ويرفل في أثواب الكرامة يتنقل من كرامة إلى كرامة، وليست الكرامة محصورة الكرامة في مسألة حية يحبس معها ، أو دابة تطأ أحدهم ولا يصيبه شيء ، فلا نحصر صور الكرامات في صورة معينة كما حصرها هذا المشرك الشرك في صور معينة ، فأعظم الكرامة نعمة الهداية والاختصاص بالإسلام

والاصطفاء والاجتباء للهداية والاستقامة فهذه من أعظم الكرامات ، فإذًا خلاص الأمر أننا نؤمن بكرامات الأولياء يقول الناظم :

ولتؤمنن بمعجزات الأنبياء كذا كرامات عباد أولياء

فالإيمان بكرامات الأولياء من جملة مذهب أهل السنة والجماعة المتفق عليه .

فإن قيل وهل هناك أحد جحد كرامات الأولياء ؟

نقول نعم فقد جحدها طائفة المعتزلة والجهمية ومن تابعهم فإنهم يجحدونها وقد رد عليهم أبو العباس ابن تيمية في مواضع من كتبه .

ومما يذكر هنا فإن أهل السنة يتعاملون على من ظهرت عليه الكرامة تعاملا وسطيا : فمن الناس من ينكر هذه الكرامة التي ظهرت فهذه لديه تفريط ، ومنهم من يُنزل هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة بمنزلة الألوهية أو يصفه بأمور لا تجوز من صفات الربوبية والألوهية وكلا طرفي قصد الأمور ذميم ، والوسطية أن نؤمن بهذه الكرامة وأن نأمر الولي أن يشكر الله وأن يتواضع للحق والخلق وألا يجعلها مصدرًا للفخر والخيلاء .

كشف الشبهات

بشرح فضيلة الشيخ

وليد بن راشد السعيدان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

« المقدمة »

المحاضرة الحادي عشر (المقطع الثاني من الدرس الرابع)

ثم قال إمام الدعوة النجدية:

المتن "ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين"

وهذا ينص عليه قاعدة عظيمة عند أهل السنة والجماعة تقول: **أهل السنة وسط بين فرق الأمة كوسطية الأمة بين الأمم**، فعندنا وسطيتان:

١. وسطية عامة.

٢. ووسطية خاصة.

فالوسطية العامة هي وسطية الأمة بين الأمتين: المغضوب عليها، والضالة -بين اليهود والنصارى فتجد أعمال أمة محمد ﷺ وعقائدها تكون وسطا بين عقيدة اليهود والنصارى. ونضرب على ذلك مثلا في العقائد – المحرفة التي حرفها اليهود والنصارى وإلا فعقيدة الأنبياء واحدة – ومثلا في الأعمال: فاليهود يعتقدون أن عيسى – عليه السلام – كذاب وابن بغي، فاليهود عندهم تفريط في الاعتقاد في عيسى، بينما النصارى رفعوا عيسى إلى قولهم أنه

الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة فاليهود فرطوا والنصارى أفرطوا والمسلمون توسطوا فقالوا هو عبد الله ورسوله فقولهم عبد الله ردا على النصارى، قولهم ورسوله ردا على اليهود، أرأيت الوسطية؟ هذه وسطية الأمة على وجه الإجمال بين الأمتين.

وأضرب لكم مثالا ثانيا في الوسطية العامة وهي مذاهب الأمم في الحائض فاليهود يرون أن المرأة إذا حاضت لا تؤاكل ولا تجالس ولا تكلم ولا تحاكم، تجلس في غرفة في البيت ما أحد يتكلم معها ولا تخالط ولا تباشر؛ ففي صحيح الإمام مسلم من حديث أنس: «أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ"[(١)] ما يجتمع جسده مع جسدها في البيت أبدا هذا فيه إفراط وغلو.

بينما النصارى ما فيما يتورعون من شيء أبدا يجامعونها حتى والدماء تسيل على مذاكيرهم أكرمكم الله.

جاءت الوسطية، وسطية المسلمين في قوله ﷺ" اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ)[(٢)] فقوله "اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ" رد على على اليهود الذين قالوا لا تصنعوا أي شيء (إِلَّا النِّكَاحَ) رد على النصارى .

(١). أخرجه مسلم في صحيحه (كِتَابٌ: الْحَيْضُ) بَابٌ: جَوَازُ غَسْلِ الْحَائِضِ رَأْسَ زَوْجِهَا وَتَرْجِيلِهِ (٣٠٢) (١/١٦٩).
(٢). خرجه مسلم في صحيحه (كِتَابٌ: الْحَيْضُ) بَابٌ: جَوَازُ غَسْلِ الْحَائِضِ رَأْسَ زَوْجِهَا وَتَرْجِيلِهِ (٣٠٢) (١/١٦٩).

هذه الوسطية العامة انبثقت منها **وسطية خاصة** وهي وسطية تخص أمة محمد الفرق الخاصة بأمة محمد عليه الصلاة والسلام وهي وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة وذلك أن الله قضى كونا أن هذه الأمة سوف تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة إذا تأملت عقائد هذه الفرق وجدتها في الأعم الأغلب تدور على ثلاث عقائد:

١. عقيدة فرطت

٢. وعقيدة أفرطت

٣. وعقيدة توسطت

غالبا هؤلاء المتوسطون بل دائما هؤلاء المتوسطون هم أهل السنة والجماعة.

فأهل السنة والجماعة وسط في باب الأسماء والصفات بين "المعطلة والممثلة" وأهل السنة وسط في باب الصحابة بين "الخوارج وبين الرافضة" وأهل السنة وسط في باب الإيمان وأسماء الأحكام والدين بين "المرجئة والوعيدية" و أهل السنة وسط في باب القدر بين "القدرية والجبرية" وغالب العقائد تجد أن بعض الطوائف أمسكت العصا من طرف العصا الأول والثانية أمسكت العصا من طرفها الثاني الآخر و طائفة أمسكت العصا من الوسط فإذا وسطيتنا منبثقة من وسطية أمتنا أصلا في قول الله جل وعلا ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (٣) لكن "الوسطية العامة بين المسلمين وغيرهم" و"الوسطية الخاصة بين فئات المسلمين ممن ينتسبون للإسلام".

---

(٣). البقرة (١٤٣).

ولي رسالة مختصرة في مسألة الوسطية فمن جملة الوسطية وصورها عقيدتنا في الكرامات وعقيدتنا في أولياء الله الصالحين فمن الناس من يهضم الأولياء حقوقهم ولا يقوم بها من الحب والموالاة والتوقير والتبجيل ومنهم من يرفع الأولياء عن مراتبهم البشرية إلى مراتب الألوهية ومنهم وهم أهل الحق يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم ويعرفون لهم فضلهم ولكن يتبرءون من الغلو فيهم ورفعهم عن مرتبة البشرية إلى مرتبة الملائكية أو إلى مرتبة الربوبية والألوهية، والله أعظم الطوائف كفرا وشركا وتعظيما للقبور هم "الرافضة" بالإجماع هؤلاء يصفون الأولياء والصالحين من لدن آل البيت من علي بن أبي طالب وأبنائه الحسن والحسين وذريتهم يجعلونهم يسَيِّرون السحاب ويجعلونهم يرزقون العباد يقسمون الأرزاق يعني ويجعلون لهم الاختيار الكامل في إدخال من شاءوا النار وإدخال من شاءوا الجنة يعني وش بقي لله جل وعلا لم يبق لله جل وعلا أي شيء إذا هم يعتقدون فيهم اعتقادا لا يجوز.

المتن: "فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد" هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين يشركون ويدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء. كما قال تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ

لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} وقوله تعالى: {إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا}.

وقال تعالى: {قل أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ }.

وقوله: ﴿إِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ إلى قوله تعالى ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}.

وقوله: {إِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، فبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا، والله المستعان)

نعم هذا هو الفرق الأول بين مشركي زماننا ومشركي السابقين وتقدم الكلام عليه وشرحه. هذه أخذنا فيها قاعدة ولا لا؟ مشركي زماننا أضل من مشركي الأمم الماضية.

نعم.

المتن: "الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناســا مقربين عند الله. إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله ليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به، إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء. فاعلم أن لهؤلاء (شبهة) يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها".

هذه أكبر شبهة سيتكلم عنها الشيخ وهي أكثر الشبه التي أخذت حظا كبيرا من الإجابة.

يعني أنها هل الشجر يسجد لله جل وعلا ولا لا؟ الشجر هو مصدر للفجور شجر في حد ذاته قال الله جل وعلا ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْــجُدُ لَهُ مَن فِي السَّــمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّــمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّــجَرُ﴾[٤] ولا لا قال الله جل وعلا ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٥] فإذا هي طائعة ليست مصدر للفسوق وليست مصدرا للفجور صح ولا لا؟ لكن هؤلاء مشركون زماننا يدعون أناسا هم أصلا مصدر للفجور ومصدر للفسق.

(٤). الحج (١٨).

(٥). الرحمن (٦).

من هؤلاء الذين يعبدون في هذا الزمان ويطاف حول قبورهم من يسمونه بالبدوي أحمد البدوي يقول الإمام السخاوي -رحمه الله- تعالى ألزمني الأمير ناصر الدين محمد بن جنكلي بن البابا المسير مع أحمد البدوي بناحية طندا طنطا يعني فوافيناه يوم الجمعة وإذا هو رجل طوال عليه ثوب عال وعمامة صوف رفيعة والناس يأتونه أفواجا فمنهم من يقول يا سيدي خاطرك معي مع غنمي وآخر يقول مع بقري وآخر يقول مع زرعي إلى أن حال وقت الصلاة فتولينا معه إلى الجامع وجلسنا لانتظار إقامة الجمعة فلما فرغ الخطيب وأقيمت الصلاة وضع الشيخ رأسه في طوقه بعدما قام قائما وكشف عن عورته بحضرة الناس وبال على ثيابه في المسجد واستمر ورأسه في طوق ثيابه وهو جالس إلى أن انقضت الصلاة ولم يصل)[٦]ومن هؤلاء رجل يقال له ابن الفارض وابن السبعين وغيرهم وفي زمن المصنف يعني وجد من ذلك الشيء الكثير منهم يوسف وشمسان وتاج وكلهم في عهد المؤلف أو قريب من عهد المؤلف.، هؤلاء فساق يشهد الناس فسقهم وفسادهم ويأمرون بالزنا وشرب الخمر وترك الصلوات ومع ذلك يعبدون من دون الله ويدعى فيهم الولاية هذه كبيرة من كبائر المشاكل.

نعم.

المتن "وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا.

(٦). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/١٥٠).

ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم. فكيف تجعلوننا مثل أولئك".

نعم هذا هو مختصر الشبهة.

مختصر الشبهة أن هذا المشرك يقول إن من أتى ببعض شعائر الدين وواجباته وفعل ما يناقضه كالذبح لغير الله أو دعاء غير الله فهذا لا يعد مشركا ولا كافرا لأنه عنده شيء من العبادات وعنده شيء من الاجتهاد فكيف تصفون من يصلي بأنه كافر ومشرك دعاء الملائكة أو بمجرد دعاء الأولياء والصالحين وهذه من أعظم الشبه التي يدور حولها هؤلاء فهم لا يعدونه بزعمه لا مشركا ولا كافرا "ويستدلون على هذه الشبهة بالأدلة العامة الواردة في أن من قال لا إله إلا الله فإن دمه وماله حرام وهؤلاء" يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ويتصدقون ويحجون ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويجتمعون مع المسلمين في الأعياد وربما يخرجون معهم للجهاد فكيف تتجرأ أيها الموحد أن تحكم بالشرك على من هذه صفته وهذه عبادته بمجرد أنه دعا غير الله أو انه اتجه قلبه إلى ولي من الاولياء هذه شبهة كبيرة في الحقيقة قالوا لماذا شبهة كبيرة قالوا لأن الانسان قد يتجرأ على تكفير من ليست عنده عبادات لكن أن يأتي إلى انسان يقوم الليل ويصوم النهار ثم يكفره فهذه صعبة على النفوس وقد لا تقبلها مع أن الإنسان لا يستعظم العبادات إذا وقع في شيء من نواقض التوحيد كما

"قلت لكم سابقا من وقع في ناقض من نواقض التوحيد انتقض إيمانه ولو كان عنده شيء من العبادات".

وقد أجاب الشيخ -رحمه الله- عنها بتسعة أجوبة نأخذها واحدة واحدة إن شاء الله إذا عرفتوا حقيقة الشبهة يقولون كيف تكفروننا ونحن نعبد الله ونصوم ونصلي ونحج ونتصدق ونبر بآبائنا ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونبني المساجد والربط والمدارس ونعلم التوحيد في ديارنا ثم تقولون والله أنتم كفار بمجرد إنكم دعوتم شمسان أو يوسف أو تاج أو غير ذلك من الأولياء والصالحين هل هذا يعقل!

المتن "فالجواب أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام "

هذا هو الجواب الأول: "أن حقيقة قولكم أيها المشركون إنكم تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض" فإن الإنسان إذا آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض فإنه كافر بإجماع العلماء حتى وإن كان عندهم من الصوم والعبادات والشيء الكثير فالذي يصوم ويصلي ويحج ويتصدق ويزعم أن الله ما أوجب عليه بر الوالدين ما حكمه؟، كافر.

والذي عنده قيام الليل حتى تشقق جبهته من قيام الليل وتفطرت قدماه من قيام الليل ولكن يزعم أن الزنا حلال ما حكمه؟ بس ما عنده إلا الزنا حلال بس ما تمشونه يعني

مشكلة ذي كبيرة ذي، فإذا كنا نكفره بإنكار شعيرة عملية مع اجتهاده في عبادات أخرى هو مجتهد ولكن بس ما عنده إلا أنه يقول إن الزنا حلال هو مجتهد بس ما عنده إلا أنه يقول إن شرب الخمر حلال فهذا يدخل في قول الله جل وعلا ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

"فإذا الجواب الأول هو أن حقيقة قولكم أيها المشركون إنكم تؤمنون ببعض الكتاب وهي تلك العبادات التي تفعلونها وتكفرون ببعض وهي تلك العبادات التي تصرفونها لغير الله جل وعلا "

فأنتم جمعتم بين الكفر والعبادة فنقض كفركم عبادتكم يقول شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله– تعالى من آمن ببعض ما جاء به النبي وكفر ببعض ما جاء به فهو كافر ليس بمؤمن قال الله جل وعلا﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾[٧] الذي يؤمن بالأنبياء كلهم ولكن يكفر بنبي واحد هذا ايش حكمه يا جماعة؟

إذا أنت مطالب بشعائر الدين كلها ليس حجة لك عند الله أن تقوم ببعض الشعائر وتخالف بعض الشعائر ثم تقول والله ما تمشوننا أبدا مرة مخالفة؟ مخالفة واحدة يا أخي. نقول

(٧). النساء (١٥٠).

لا يجب عليك أن تأخذ الكتاب بقوة وأن تأخذ الكتاب كله ولذلك يقول الله جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾(٨) خذوا الإسلام كله ما تؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض وهذا الذي جعل الله جل وعلا يقول في كتابه الكريم ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾(٩) مع أنهم ما كذبوا إلا نوح لكن لما كذبوا نوحا أنزلهم الله منزلة من كفر بالأنبياء جميعا كذبت هود المرسلين كذبت قوم صالح المرسلين كذبت أصحاب الأيكة المرسلين مع أنهم ما كذبوا إلا نبي زمانهم لكن خلاص . وقد أجمع العلماء على أن من كفر بنبي واحد فقد كفر بالأنبياء جميعا

يقول الناظم:

وكافر بواحد منهم كما. قد كان كافرا بهم فلتعلم

يعني من كفر بواحد من الأنبياء فقد كفر بالأنبياء جميعا ما يجينا واحد يقول أنا سوف أؤمن بجميع الأنبياء من أول واحد إلى آخر واحد بس تسمحون لي أكفر بواحد أنا عندي عبادات أخرى عندي إيمان آخر يقول أنا عندي صلاة وصوم وعندي حج وعندي زكاة وعندي عبادات أخرى بس عندي أني أدعوا الصالحين وألتجئ إليهم.

---

(٨). البقرة (٢٠٨).

(٩). الشعراء (١٠٥).

فإذا حقيقة الجواب الأول قوي جدا وهو أن قولكم هذا إنما هو كفر ببعض وإيمان ببعض والواجب علينا أن نؤمن بكل شريعة جاء بها محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ولا يجوز لنا أن نتخير منها ما يحلوا لنا هذا الجواب الأول.

***يقول ابن حزم -رحمه الله- اسمعوا هالإجماع الكبير:** اتفقوا على أن من لم يؤمن بالله وبرسوله (هذه واحدة) وبكل ما أتى به عليه الصلاة والسلام مما نقل الكافة عن الكافة أو شك في التوحيد أو النبوة أو في محمد أو في حرف مما أتى به عليه الصلاة والسلام أو في الشريعة التي أتى بها عليه الصلاة والسلام مما نقل الكافة عن الكافة فإن جحد شيئا مما ذكرنا أو شك في شيء منها ومات على ذلك فانه كافر مشرك مخلد في النار ابدا) [١٠] (حرف حتى ولو حرف واحدة كيف هذا)

***يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-** لا يشترط في التكفير أن يكفر المكلف بجميع ما جاء به الرسول بل يكفي في الكفر والردة والعياذ بالله أن يأتي بما يوجب ذلك ولو في بعض الأصول وهكذا ذكر الفقهاء من كل مذهب.) [١١]

***قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** وهذا الذي اتفق عليه الصحابة هو متفق عليه بين أئمة الإسلام لا ينازعون في ذلك ومن جحد بعض الواجبات الظاهرة المتواترة كالصلوات

---

(١٠). انظر مراتب الإجماع (١٧٧).

(١١). انظر منهاج التأسيس والتقديس (٧٢).

الخمس فقال ما في صلاة مثلا أو صيام رمضان قال ما هو بواجب أو حج البيت العتيق أو جحد تحريم بعض المحرمات الظاهرة المتواترة كالفواحش والظلم والخمر وغير ذلك أو جحد بعض المباحات الظاهرة كالخبز واللحم يعني حل هذه الأشياء فهو كافر مرتد يستتاب وإلا يقتل) [١٢]

هذه مشكلة كبيرة قبل ما نطلع من هذا الجواب فيه جواب ثاني قريب منه يعني تابع له اسمعوه حتى يأتنا مكانه وهو أنه إذا كان الإنسان محافظا على شعائر الدين كلها ثم أنكر الزنا أنكر حرمة الزنا والزنا شعيرة ولا عقيدة؟ نقول الزنا شعيرة من الشعائر حرمة الزنا فيكون كافرا فمن باب أولى من أقر بالشعائر كلها وصرف شيئا لغير الله جل وعلا فإذا كنا نحكم عليه بالكفر بمخالفة شريعة من الشرائع فكيف لا نحكم عليه بالكفر بمخالفة عقيدة من العقائد؟ يعني لو مثلا آمن بالشرائع كلها ولكن قال ترى الخبز حرام فنقول كفرت بالله العظيم لأنك أنكرت شيئا معلوما حله من الدين بالضرورة. إذا كان إنكار حلية الخبز يخرجه من الإسلام حتى وإن كان معه عبادات ثانية فسجوده للأولياء ودعاؤه للأولياء والصالحين لا يخرجه عن دائرة الإسلام لأن معه عبادات ثانية؟ تناقض هذا كبير جدا فإذا انتبهوا لهذا وسيأتينا هذا الجواب إن شاء الله مفصلا

(١٢). انظر مجموع الفتاوى (١١/٤٠٥).

إذا الجواب الأول خلاصته "أن هذا إيمان ببعض الدين وكفر ببعضه"

نعم.

المتن "وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج. ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

قوله "ولما لم ينقد "من المعلوم المتواتر أن الانقياد شرط من شروط التوحيد أليس كذلك؟ كما قررناه لك سابقا فمن لا ينقاد فإنه كافر كما جاء في الحديث الذي رواه النسائي والترمذي من حديث صفوان ابن عيان قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى هذا الذي يقول إنه نبي يهودي يقول لصاحبه مشينا له اللي يقول إنه نبي يقصد النبي عليه الصلاة والسلام فلما سألوه عن أشياء لا يمكن أن يتعرف عليها إلا نبي وثقوا الثقة الكاملة أنه نبي فقبلوا يدي النبي – صلى الله عليه وسلم– ورجليه ولكن هل حصل عندهم انقياد؟ الجواب لا قال ﷺ "فَمَا

يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي "[١٣] (طيب أنتوا الآن عرفتوا أني نبي ما يمنعكم أن تنقادوا وتتبعوا) قالوا إن داوود دعا ربه بأن لا يزال من ذريته نبي وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود إذا ما انقادوا. فإذا عدم انقيادهم دليل على أنهم ما دخلوا في الإسلام.

وكذلك أبو طالب فإنه لم ينقد للنبي ﷺ مع علمه بأن دين النبي صلى الله عليه وسلم حق لكنه امتنع من الإقرار بالتوحيد وبالنبوة حبا لدين أسلافه وكراهية أن يعيره قومه فلما لم يقترن بعلمه الباطن انقياد في الظاهر لم تنفعه، فإذا ما الذي ينتفع به العبد من صلاته وصيامه وغير ذلك إذا كان ما عنده انقياد لسائر الشرائع الأخرى ولذلك قال الشيخ "ولما لم ينقد أناس في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- للحج أنزل الله في حقه﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[١٤]

نعم.

المتن "ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله "

نعم

---

(١٣). أخرجه الترمذي في سننه (أَبْوَابُ الِاسْتِئْذَانِ وَالْآدَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَابٌ: مَا جَاءَ فِي قُبْلَةِ الْيَدِ وَالرِّجْلِ (٢٧٣٣) (٤/٤٥٠) والنسائي في سننه (٤٠٧٨) (٧/١١١).

(١٤). آل عمران (٩٧).

وقد نقل الاتفاق والإجماع على هذا الإمام ابو العباس ابن تيمية -رحمه الله- "فإن من أقر بكل شرائع الدين ولكن أنكر البعث فإنه كافر ولا ينفعه أنه يقر بشيء من شرائع الدين الأخرى".

نعم.

كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا، أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾

يعني أن من فرق بين الأنبياء فآمن ببعضهم وكفر ببعضهم فإنه كافر إذ يجب عليه أن يؤمن بالجميع طيب ايش دخل هذا بالتوحيد نقول نعم فإذا كل من جاء بالصلاة والزكاة والحج وسائر العبادات ولكن وقع في ناقض من نواقض التوحيد فإنه لا يكون قد آمن بالجميع.

المتن "فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة"

ما ذكر يعني من قوله جل وعلا ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[١٥] وقال الله جل وعلا ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن

(١٥). النساء (١٥١).

يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) وقوله "زالت هذه الشبهة" يعني التي قالوا فيها إن من أدى بعض واجبات الدين وأهمل البعض فإنه لا يوصف بأنه مشرك ولا كافر نقول لا أخطأت واجبات الدين متلازمة يجب عليك أن تقوم بواجبات الدين كلها لا يجوز لك أن تقصر في واجب بحجة أنك محافظ على واجب آخر وهذا يقع في كثير من الناس حتى في غير الشرك. الآن إذا جئت واحدا وقلت له يا أخي بكر للصلاة قال يا شيخ أهم شيء نصلي فهو يستدل على تركه لهذه الشريعة بمحافظته على شريعة أخرى. جاءنا سؤال في يوم من الأيام قال واحد أنا عندي أخ يصلي في البيت ويترك صلاة الجماعة ويقول المهم أن أصلي يعني هو يسوغ لنفسه ترك صلاة الجماعة بأنه يحافظ على شريعة أخرى نقول له الصلاة في حد ذاتها فريضة وكذلك إيقاعها في الجماعة فريضة فهما فريضتان ففعلك لأحدهما لا يسوغ لك ترك الثانية فهؤلاء الآن يسوغون لأنفسهم دعاء الأولياء والتوسل بهم والاستغاثة بهم لأنهم يحافظون على شعائر أخرى هذا شيء وهذا شيء آخر

قوله نعم.

المتن "وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا"

(١٦). البقرة (٨٥).

يقصد الشيخ بعض أهل الأحساء طبعا أنتم تعرفون أن "الأحساء" مدينة معروفة مشهورة كان أول من عمرها وحصنها "قصبة هجر ابو طاهر سليمان ابن أبي سعيد الجناني القرمطي" وهي الآن مدينة مشهورة عامرة في شرق المملكة العربية السعودية وقد" اشتهر عن أهل الأحساء في زمن الشيخ الغلو في آل البيت وهم الرافضة" اشتهر في زمن الشيخ وفي غير زمنه اشتهر عن أهل الأحساء الغلو في آل البيت ويغلون بسب أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- وعدم التزام كثير من أصول الدين ولا فروعه والجانب الآخر من المعلوم "أن الأحساء كانت آهلة أيضا بالعلماء من سائر المذاهب ولكن من أعظم العلماء الذين عاندوا الشيخ وأبوا دعوته وأكثروا مناقشتهم هم علماء الأحساء فعاند بعضهم وهدا الله بعضهم فاتبع الحق والهدى بتوفيق الله".

الشيخ- رحمه الله- الشراح بعض الشراح يقول: لعله يقصد بالكتاب أي الكتاب الذي أرسله له أحمد بن عبد الكريم والأحسائي فقد كتبه لهذا الرجل رسالة جوابا عما وقع فيه من الاشتباه والإشكال حيث يفهم من هذه الرسالة أن أحمد بن عبد الكريم تلبس ببعض الشبه التي حرص الشيخ على أن يكشفها عنه.

إذا هذا هو الجواب الأول على هذه الشبهة أن حقيقة قولكم أيها المشركون هو قول الله جل وعلا ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فقولكم هذا حقيقته إيمانا ببعض الكتاب وكفر ببعض ومن كفر ببعض الكتاب فقد كفر بالكتاب كله.

نعم.

ما رأيكم يا جماعة آيات القرآن ستة الآف وزيادة لو أن الإنسان آمن بالقرآن كله من فاتحة إلى ناس وكفر بآية واحدة وقال في قوله جل وعلا مداهمتان وقال هذه ليست من كلام الله أنا أكذب بها عنده إيمان ببقية الآيات.

يعني ما يكفي الإيمان ب خمسة آلآف آية وزيادة ما في خلاص إذاً كذلك شرائع الدين ليس حجة على الله أنك تسجد تحت الصنم ولا تحت الولي وتدعوه من دون الله وتقول والله عندي صلاة وصيام وحج وعندي شرائع ثانية هذا الجواب الأول واضح ان شاء الله.

الجواب الثاني:

المتن "ويقال أيضا: إن كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع"

هذا هو الجواب الذي قلت لكم سيأتينا وهي أنه إذا كان الإيمان بكل شيء ولكن يجحد الإنسان الصلاة بس يخرجه عن الدين جحده للصلاة فكيف جحده بالتوحيد كيف يقول والله أنا عندي أعمال أخرى ولكن اسمحوا لي بس أصرف الدعاء لغير الله لهذا الولي. إذا كنا

ما نرضى بالصلاة ولا إذا كفرت بالصلاة وهي شعيرة واحدة فقد كفرت وهي من جملة الشرائع فكيف نتغاضى عن أمر عقدي متفق عليه بين أهل العلم رحمهم الله إذا كنا ما نتسامح في الشرائع فكيف نتسامح في العقائد ولكن أكثر الناس لا يفقهون.

متن "وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا."

النتيجة.

متن "فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر!!!، سبحان الله ما أعجب هذا الجهل !!!"

هذا جهل كبير لو أنه عمل بشرائع الدين إلا الصلاة لكان كافرا طيب لو عمل بشرائع الدين ولكن دعا غير الله ما يصير كافر ! هذا تناقض عجيب فإذا كنا نكفره بترك الصلاة وهي

شعيرة من الشعائر فلا جرم أننا نكفره بما هو أعظم من ذلك وأشد مطالبة وأعظم الفرائض وهو تركه للتوحيد من باب أولى.

نعم.

المتن "ويقال أيضا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ

هذا هو الجواب الثالث عن هذه شبهة:

إذا الجواب الأول "أن هذا إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض"، الجواب الثاني يدل عليه قاعدة أصولية وهي" أن مفهوم المخالفة الأولوي (الصواب)) حجة "يعني مثلا الله جل وعلا حرم ال "أُف" ولكن سكت عن ضرب الوالدين فما حكم ضرب الوالدين ايش رأيكم يا جماعة؟ الله قال لا تقل لوالديك أف ولكن سكت عن ضرب الوالدين ايش حكم ضرب الوالدين يا جماعة؟ من باب أولى.

فكذلك نقول إن الإنسان إذا كان محافظا على الدين كله ولكن عنده إخلال بمسألة أنه فقط أنكر سجدة من صلاة الظهر قال والله صلاة الظهر في الركعة الأخيرة مابها إلا سجدة واحدة ما في سجدة ثانية في الركعة الأخيرة، ما أنكر صلاة الظهر كلها أنكر جزء فقط واحد منه مع أنه محافظ على كل شرائع الدين هل يكفر ولا ما يكفر؟

يا مسلم يكفر ونص، ونص بعد فكيف يقول والله أنا محافظ على شرائع الدين كله ولكن سأصرف الدعاء لغير الله إذا كنا نكفره بترك سجدة واحدة بإنكار سجدة واحدة موت بصلاة كاملة سجدة واحدة فإذا هذا مقياس أولوي، الجواب الثالث "الاستدلال بفعل الصحابة".

وهي أن الصحابة قاتلوا بني حنيفة ولا ما قاتلوهم؟

والمراد "ببني حنيفة الطائفة النجدية الذين اتبعوا مسيلمة الكذاب" هؤلاء لما مات النبي- صلى الله عليه وسلم- منعوا الزكاة منع بنو حنيفة الزكاة إذا امتنعوا عن أداء ايش يا جماعة؟ شعيرة. هل كفروا بلا إله إلا الله الجواب لا هم ما أنكروا لا إله إلا الله ولكن قالوا يا أبا بكر إن الزكاة مالنا ونعطيه النبي- صلى الله عليه وسلم- والنبي مات أعطونا رسول نعطيه زكاة لكن أما أنت يا أبو بكر مانا دافعين لك الزكاة فعزم الصحابة كلهم على قتالهم والحكم عليهم بالكفر والردة بسبب ايش؟

جحدهم لشريعة الزكاة أفتظن أن أصحاب رسول الله قاتلوهم ظلما وعدوانا وسفكوا دماءهم بغيا وعدوانا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ الجواب لا لكنه قد تقرر أنه من ترك شعيرة واحدة فإنه كافر إذا ترك الإقرار بوجوبها إذا قال والله الزكاة ليست واجبة علي ولن أدفعها فحينئذ نقول أنت كافر بهذه الشعيرة حتى وإن كنت محافظا على الشعائر الأخرى فإذا الصحابة ما قاتلوهم لأنهم تركوا لا إله إلا الله أو أنهم سجدوا للأصنام

وعبدوها من دون الله لا وإنما (قاتلوهم لأنهم تركوا شعيرة واحدة فدل ذلك على أن من كان محافظا على الشعائر والشرائع ولكن ترك شعيرة واحدة فإنه كافر حلال الدم يستتاب وإلا قتل فإذا كان هذا في أمر الزكاة وهي فرع من فروع الدين فكيف بقضية التوحيد الذي هو أعظم فريضة من الزكاة هذا أيضا قياس أولوي.

نعم.

متن "هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويؤذنون ويصلون"

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن مسيلمة الكذاب لما قدم على النبي ﷺ في بشر كثير من قومه من بني حنيفة فجعل يقول إن جعل لي محمد الأمر من بعده قبلت ، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقال "لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي "[١٧] وقد سأل ابن عباس أبا هريرة رضي الله عنهما عن قول النبي ﷺ "وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ " ، فأخبره أن رسول الله ﷺ " بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ

[١٧] خرجه البخاري في صحيحه (كِتَابٌ: الْمَغَازِي.) بَابُ وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ، وَحَدِيثِ ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ. (٤٣٧٣) (٥/١٧٠).

سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا. فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ"[١٨]

فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم أنكروا بنوا حنيفة فريضة الزكاة فأجمع الصحابة على قتالهم لأنهم تركوا شعيرة واحدة من شعائر الدين مع محافظتهم على بقية الشعائر.

نعم.

المتن "فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف، أو صحابيًا، أو نبيا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض "

يعني هذا إيراد أورده هؤلاء المشركون علينا في الاستدلال بقتال الصحابة لبني حنيفة قالوا إن هؤلاء ما كفروا بمجرد ترك الزكاة بل كفروا لأنهم اعتقدوا أن مسيلمة نبي من الأنبياء فقال الشيخ أهلا وسهلا عز الله جبتوا الحجة اللي عليكم هذه حجة عليكم لا لكم لا حجة لمبطل كل دليل يأتي به المبطل من الحجج والكلام فإنه عليه لا له بعد التمحيص يقول الآن أنتم تحكمون بأنهم كفروا لأنهم جعلوا مسيلمة في مرتبة النبوة.

---

[١٨] أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابٌ: الْمَغَازِي.) بَابُ وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ، وَحَدِيثِ ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ (٣٦٢١) (٤/٢٠٣).

رفع شمسان أو يوسف يقول الشيخ محمد بن إبراهيم وهو من أفضل شروح كشف الشبهات شرح الشيخ محمد. الشيخ محمد له تعليقات ولطائف جميلة جدا وتوضيحات يعني عظيمة جدا يحتاجها من ينظر إلى هذا الشرح.

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم عندما سئل عن هؤلاء؟

فأجاب: "يقول يوسف وشمسان وتاج أسماء أناس كفره وطواغيت"

فأما تاج فهو من أهل الخرج يقول فأما تاج فهو من أهل الخرج وقد كانت تصرف إليه النذور ويدعى من دون الله ويعتقد أنه ينفع ويضر وكان يأتي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور يقول عطونا. وقد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه وله أعوان كثر وحاشية لا يتعرض لهم بأي مكروه بل يدعى فيهم الدعاوى الكاذبة وتنسب إليهم الحكايات القبيحة هذا كله كلام الشيخ محمد- رحمه الله- ومما ينسب إلى تاج أنه أعمى وكان يأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده.

وأما شمسان فالذي يظهر من رسائل إمام الدعوة- رحمه الله- أنه لا يبعد عن العارض وله أولاد كان يعتقد فيهم.

وأما يوسف فقد كان قبره وثن يعتقد فيه ويظهر أن قبره كان إما في الكويت أو الأحساء كما يفهم من بعض رسائل الشيخ- رحمه الله-.

أما تاريخ وجودهم وهو مهم جدا أما تاريخ وجود هؤلاء الطواغيت الثلاثة فهو قريب من عصر إمام الدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب- رحمه الله- وقد ذكرهم الشيخ في كثير من رسائله لأنهم من أشهر الطواغيت الذين يعتقد فيهم أهل نجد وما يقاربها وقد كانوا يعتقدون فيهم الولاية ويصرفون لهم شيئا من العبادة وينذرون لهم النذور ويرجون بذلك نظير ما يرجوه عباد اللات والعزى. أي نعم يقول الشيخ لهؤلاء إذا كان هؤلاء بني حنيفة كفروا لأنهم زعموا أن مسيلمة نبي فأنتم تزعمون أن شمسان ويوسف وتاج ليسوا بأنبياء فقط بل أنتم ترفعونهم إلى مرتبة الألوهية والربوبية. فسبحان الله ما أعظم شأنه.

نعم.

المتن (سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾)

وهذا يفيدنا فائدة عظيمة وهي أنه لا يقع الإنسان في الشرك إلا إذا خفي قلبه عن تعظيم الله جل وعلا إذا خفيت عظمة الله عن القلب حينئذ يقع القلب في الشرك والوثنية وإلا فمن قدر الله حق قدره فإنه حينئذ لا يمكن أن يتلصص قلبه على هذه الأمور الشركية من عرف أن الله جل وعلا وسع كرسيه السماوات والأرض وأن الكرسي في العرش ما هو إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلات من الأرض ومن عرف أن السماوات والأرض بالنسبة للكرسي ليست شيئا يذكر من عرف عظمة الله وأنه العظيم المهيمن ذو السلطان الكامل

والقهر الكامل حينئذ ما يمكن أبدا أن يتصور أن يقع قلبه في شيء من الشرك ولذلك من الصفات التي يقع فيها المشركون قبل وقوعهم في الشرك غفلة قلوبهم عن عظمة الله جل وعلا يا رجل روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه :أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: " {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}"(١٩) لو استشعر القلب هذه العظمة والله ما يمكن أن يقع في عبادة شمسان ولا تاج ولا هالمخرفين الحولان العميان لكن لما غفلت القلوب عن الله جل وعلا وقع عليها ماوقع.

نعم.

المتن "ويقال أيضا: الذين حرقهم

هذا هو الدليل الثالث وهو أن الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الضال الفاجر الكافر هؤلاء ما كانوا ينكرون لا إله إلا الله ولكنهم تركوا شعيرة من شعائر الإسلام وقد أخرج هذه القصة البخاري رحمه الله تعالى من

(١٩). خرجه البخاري في صحيحه (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ (٧٤١٤) (١٢٣/٩).

حديث عكرمة رضي الله عنه : أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَرَّقَ قَوْمًا، فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ"(٢٠)، فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على كفر هذه الطائفة الذين يزعمون في علي ما زعموا بقول الشيخ -رحمه الله- تعالى فحينئذ إذا تحققت وعلمت أن هذا صدر من علي على وقت الصحابة فيلزم أهل هذه الشبهة أن يدينوا بذلك وأن يقروا به يعني أنه بمعنى أنه من ترك شيئا من شعائر الدين ولم يؤمن به فإنه كافر ولا ينفعه التزامه بشعائر الدين الأخرى.

نعم.

المتن "ويقال أيضا: الذين حرقهم علي بن أبي طالب ﷺ بالنار كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم، أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين أم تظنون أن الاعتقاد في " تاج " وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في " علي بن أبي طالب " يكفر"

هذه إذا ثلاثة أمور:

(٢٠). أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ) بَابٌ: لَا يُعَذَّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ (٣٠١٧) (٦١/٤).

الأمر الأول" إما أن يقولوا أن الصحابة قد غلطوا في قتل هؤلاء وأنهم قد أخطأوا بتكفير المسلمين وقتلوا من لا يستحق الكفر فحينئذ هذا من أعظم القدح في أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- فتنكشف شبهتهم بذلك".

وإما أن يقولوا (الأمر الثاني) "أن الاعتقاد في علي هو الذي يضر وأما الاعتقاد في شمسان وفي تاج هؤلاء ما يضروا يعني كونكم تقولوا إن علي هو الله هذا الذي هو يضر لكن أن نصرف العبادات لتاج وشمسان ويوسف والزنادقة هو الذي يضر هذا كلام سامج فإذا كان الاعتقاد في علي قد جعله يفعل بهؤلاء الذين اعتقدوا فيه ما اعتقدوا ما فعل فكيف في الاعتقاد في شمسان وفي تاج وفي غيره".

والأمر الثالث "أن يذعنوا ويسلموا أن من تعلق على غير الله ودعا غير الله فإنه مشرك وهذا هو الحق الذي يجب عليهم أن يدينوا به وأنى لهم أن يلتزموا به".

الجواب الخامس "ويقال أيضا: بنو عبيد القداح

بنو عبيدة القداح هؤلاء يسمون زورا وكذبا بأنهم الفاطميون وقد ظهروا على رأس المئة الثالثة فادعى عبيد الله أنه من آل علي من ذرية فاطمة وقال الذهبي- رحمه الله- تعالى في بيان حالهم عبيد الله أبو محمد أول من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية الباطنية الذين قلبوا الإسلام وأعلنوا بالرفض وأبطنوا مذاهب الإسماعيلية وبث الدعاة يبتغون الجبلية والجهلة

وادعى هذا المدبر أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق، وقال عنه الإمام الذهبي" أيضا وفي نسب المهدي أقوال حاصلها إنه ليس بهاشمي ولا فاطمي قوله المهدي يعني هذا عبيد الله أبو محمد ولا فاطمي وكان موته في نصف ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثمئة "،وقال ابن كثير- رحمه الله- تعالى قد كتب كثير غير واحد من الأئمة منهم أبو الشيخ أبو حامد الإسفراييني والقاضي الباقلاني والقدوري "أن هؤلاء أدعياء ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمون". يقول الذهبي- رحمه الله- تعالى "أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة" ويقول أيضا- رحمه الله- "وتسارع الفقهاء والعلماء والعباد إلى آخر ما قال". المهم ذكر العلماء إجماع أهل السنة والجماعة بل إجماع المسلمين على كفر بني عبيد القداحية مع أنهم يبنون المساجد ويعمرونها ويعلنون الآذان وينطقون بلا إله إلا الله ويحجون ويصومون بل ويحكمون بالإسلام في الظاهر طبعا ومع ذلك كفرهم أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- لماذا لأنهم اعتقدوا في المخلوقين مالا يجوز اعتقاده (في بعض المخلوقين مالا يجوز اعتقاده إلا في الله جل وعلا. فإجماع الصحابة على كفر بني عبيد القداح مع التزامهم بشيء كثير من شعائر الدين دليل على أنه لا يكفي الإنسان أن يحتج بمحافظته على بعض الشعائر مع إهماله لبعض الشعائر فبنو عبيد القداح هؤلاء دول الفاطمية كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وكانوا يصلون الجمعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون أشياء دون ما نحن فيه كما قال الشيخ أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم.

نعم.

المتن "ويقال أيضا: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس كلهم يشهدون أن (لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين "

وقد قامت دولتهم والعياذ بالله أكثر من مئتي سنة وثمانية وستين سنة

المتن "ويقال أيضا: إذا كان الأولون لم يكفروا

وهذا هو الجواب السادس على الشبهة الحادية عشرة وخلاصته "أنه لا يشترط في التكفير الجمع بين مكفرات عدة بل إن الإنسان يخرج من الإسلام من دائرة الإسلام عن ارتكابه ناقض واحد من نواقض التوحيد" كما ذكرناه في القواعد السابقة.

نعم.

متن "إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب

" باب حكم المرتد " وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه. ثم ذكروا أنواعا كثيرة، كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب"

أي نعم. يعني أنه ما نصوا على هذه المكفرات في هذا الباب باب حكم المرتد إلا لأن كل واحد من هذه المكفرات كفيل بإخراج الإنسان من دائرة الإسلام حتى وإن كان محافظا على شعائر أخرى وأمور أخرى من العقيدة فالفقهاء اهتموا في باب حكم المرتد على بيان ما يوجب الردة وجعلوا كل واحدة منها تفيد الردة بانفرادها فمن وقع في مكفر واحد فقد كفر فليس من شرط التكفير أن يقع في خمس مكفرات واحد كافي أنه يخرجه من دائرة الإسلام بالكلية.

نعم.

متن "ويقال أيضا: الذين قال الله فيهم

هذا هو الجواب. لكن أنا أريد أن أنبه على "مسألة مهمة" وهي قول الشيخ "أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب" لقد كثر في الحقيقة التساهل في مثل ذلك عند كثير من شبابنا والعياذ بالله كثر التساهل عند كثير من الشباب وهذه آفة عظيمة من آفات اللسان فيجب على الإنسان أن يكف لسانه عن هذه الأشياء التي قد تفسد دينه وتذهب عقيدته

وتسخط عليه ربه فإن الإنسان ربما يتكلم بكلمة واحدة لا يدري عنها ولا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب يقول ﷺ في حديث سهل بن سعد كما عند البخاري "مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ"(٢١)وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ"(٢٢)فعلى الإنسان أن يكف لسانه ويحفظه عن مثل هذه المزاحات التي انتشرت بين الشباب سواء في الجوال أو بعض النكات كما لا يخفي علينا وقد تكون هذه النكت تخص الله تعالى أو شريعته تبارك وتعالى ، أو تخص الملتزمين من أصحاب اللحى والثياب القصيرة أو النقاب وغيرها فكلها من الأمور التي ينبغي على الإنسان أن يكف لسانه عنها ؛ ففي حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا "وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ "(٢٣)وهذه قاعدة نبوية فلا ينجو الإنسان من هذه الآفة اللسانية إلا باعتمادها فقل خيرا أو اسكت ، وأما أن تجعل الدين والشرعية مجالا للمزاح والضحك واللعب فإن هذا لا ينبغي

نعم.

(٢١). أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابٌ: الرِّقَاقُ) بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ (٦٤٧٤) (١٠٠/٨).

(٢٢). أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابٌ: الرِّقَاقُ) بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ (٦٤٧٧) (١٠٠/٨)، ومسلم في صحيحه (٢٩٨٨) (٢٢٣/٨).

(٢٣). أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابٌ: الْأَدَبُ) بَابٌ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ. (٦٠١٨) (١١/٨).

متن "ويقال أيضا: الذين قال الله فيهم {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ}، أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ ويجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون "

هذا هو الجواب السابع وهي "أن هؤلاء يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر إذا هل هم كفروا بالشريعة كلها ولا بكلمة منها؟ بكلمة منها مع محافظتهم على سائر الشرائع الأخرى ومع ذلك ما نفعهم محافظتهم على الشرائع الأخرى"

عطنا الجواب اللي بعده

متن "وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾

صح.

وهم المنافقون في غزوة تبوك لما قالوا ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أكذب ألسنة ولا أرغب بطونا ولا أجبن عند اللقاء هل كفروا بالصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها والجهاد؟ الجواب لا ما كفروا إلا بكلمة واحدة وهي أنهم قالوا هذه الكلمة وسخروا من شريعة الله جل وعلا.

متن "﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥ (لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ﴾ فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح، فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفِّرون من المسلمين أناسا يشهدون أن (لا إله إلا الله) ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق "

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد

كشف الشبهات

بشرح فضيلة الشيخ

وليد بن راشد السعيدان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

« المقدمة »

الدرس الثاني عشر (المقطع الاول من المحاضرة الخامسة)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه واهتدى بهداه وثم أما بعد

لا زلنا في سياق الشبهة او الردود على الشبهة الحادية عشرة وبقي عندنا جوابان الجواب الثامن والتاسع

المتن "ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنهم قالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. وقول أناس من الصحابة: ﴿اجعل لنا ذات أنواط فحلف النبي ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل، اجعل لنا إلها﴾

قوله ما حكى الله عن بني اسرائيل المراد بإسرائيل هو يعقوب عليه الصلاة والسلام كما في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾(١) وقوله بنو إسرائيل يعني المراد بهم اليهود وقوله مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم إلى آخره هذا حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ : فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً) (٢)

والمراد بالأنواط "جمع نوطٍ بسكون الواو وهو ما يعلق عليه الشيء فكان أهل الجاهلية يتبركون بها ويعلقون عليهم أسلحتهم رجاء البركة" والمقصود من ذلك أن الصحابة لو أنهم فعلوا ما نهاهم عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وان بني إسرائيل لو أنهم فعلوا ما نهاهم عنه موسى لوقعوا في الشرك مع انهم قوم يصلون ويصومون ويحجون ويتصدقون ولكن ذلك لا يغني عنهم لما وقعوا فيما لو كانوا قد وقعوا فيما طلبوه وهذان الدليلان اورد عليهما أهل الباطل شبهًا سوف يأتينا الكلام عنها إن شاء الله .

---

(١). [آلِ عمران: ٩٣].
(٢). أخرجه أحمد في مسنده | مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ | حَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ (٢١٨٩٧) (٣٦/٢٥٥).

خلاصة الكلام ان هذه أطال الشيخ رحمه الله تعالى في الرد عليها حتى وصلت الردود إلى تسعة ولعلنا نستذكرها واحدةً واحدة من باب الاختصار:

" أن قولهم.. نحن عندنا عبادات فلا.. فكيف تحكمون علينا بالكفر إذا خافنا في شيء من الشرائع عليه ستة عليه تسعة أجوبة"

الجواب الأول: **"أن هذا كفر ببعض الكتاب وأيمان ببعض والواجب على الإنسان أن يؤمن بال أن يؤمن بالدين كله".**

الجواب الثاني: **"أنه من باب الاستدلال الأولوي"** فإذا كان الإنسان يكفر بجحد الصلاة او بجحد البعث او بجحد شيء من شرائع الدين العمليه فكيف إذا جحد شيئا من أمور التوحيد الذي هو أعظم فرضية من الشرائع.

الجواب الثالث: "أن الصحابة مجمعون على تكفير بني حنيفة ووجوب قتالهم مع انهم عندهم حج وصلاة وصوم لكن لما خالفوا شيئا من الأمور التي أوجبت لهم الردة قاتلهم الصحابة ".

الجواب الرابع: "أن الصحابة مجمعون على تكفير من اعتقد في علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الألوهية مع دعواهم الإسلام فدعواهم الإسلام وصيامهم وصلاتهم ما أغنت عنهم من الله شيئا لما وقعوا فيما وقعوا فيه".

الجواب الخامس: " إجماع السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ مو بالصحابة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ على كفر بني عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس مع انهم عندهم صلاة وحج وصيام وزكاة وصدقة وبر بال ومعروف ومع ذلك كفرهم العلماء من لما خالفوا في امر عقدي "

الجوب السادس: "أن العلماء في باب حكم المرتد يذكرون نواقض كثيرة كل واحد من هذه النواقض مستقل بالحكم" بالكفر ولا يلزم أن يجمع الإنسان جمل من النواقض حتى يحكم عليه بأنه كافر.

الجواب السابع: "أن الإنسان قد يخرج من دين الإسلام بكلمة واحدة "في كلمة واحدة كلمة الكفر كلمة واحدة يستطيع تكون حاكمة عليه بأنه كافر حتى وان كان عنده شيء من الصلاة والصوم والزكاة والحج وأضرب مثالاً على ذلك "بالحلف بغير الله بقصد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله كلمة واحدة لو قال والنبي وهو يعظم النبي كتعظيم الله فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى ولو كان عنده آلاف الصلوات وآلاف الطاعات فالقضية قضية خطيرة

ومنها أيضا الجواب الثامن والتاسع " ما حكاه الله جل وعلا عن بني إسرائيل" وما "حكاه النبي صلى الله عليه وسلم لما الصحابة قالوا اجعل لنا ذات أنواط" هذه هي الأجوبة التسعة التي ذكرها أهل العلم رحمهم الله على الشبهة الحادية عشرة وهي أطول الشبه

الشبهة الثانية عشرة

المتن "ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا، "

هذه الشبهة الثانية عشرة وخلاصتها أن نقول: "سلمنا جدلاً أن بني إسرائيل خالفوا في شيء عقدي هل حكم عليهم موسى بأنهم كفار ما حكم عليهم بأنهم كفار الصحابه رضي الله عنهم الذين قالو: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ) هل حكم عليهم النبي بوجوب تجديد إسلامهم؟ إذا كيف تستدلون علينا يا موحدون بهذين الدليلين"، مع أن أصحاب موسى عليه السلام لا يزالون على إيمانهم مع مخالفتهم وأصحاب محمد لا يزالون على أيمانهم مع مخالفتهم وقولهم اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط أجاب العلماء عنها بعدة أجوبة:

الجواب الأول "أنهم معذورون بجهلهم "ولذلك قال أبو واقد الليثي قال ونحن حدثاء عهد بكفر فهذه الكلمة تدل على أنهم كانوا حدثاء عهد بكفر.

الجواب الثاني وهو أقوى من الأول "أنهم ما فعلوه أصلا" ،لم يفعلوا فالنبي ﷺ لما قال لهم "قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَة) "انزجروا ولم يواصلوا هذا الطلب" ولذلك "قال إمام الدعوة رحمه الله "لا خلاف أن الذين نهاهم النبي

صلى الله عليه وسلم لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط لكفروا لكنهم أصلا ما فعلوا فإذا الدليل قائم والاستدلال به صحيح ولا حجة لمن قال أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم عليه بالكفر لأنهم أصلا ما فعلوه وإنما لما نبهوا انتبهوا .

المتن "وكذلك الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا. فالجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا. وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب "

ثم شرع الشيخ رحمه الله يذكر فوائد جمة وجميلة في حديث أبي واقد الليثي الذي ذكرته آنفا قبل أن يبدأ في الشبهة الثالثة عشرة وأنا أذكر لكم مجملة قبل أن يقرأها الشيخ:

الفائدة الأولى: من الفوائد المستنبطة من حديث أبي واقد الليثي " أن المسلم الجاهل قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري عنها بل إن العالم قد يقع في الشرك وهو لا يدري " فإذا كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يخاف على نفسه فكيف بغيره وإذا كان الشرك قد وقع فيه أذكياء العالم فكيف بمن دونه وإذا كان بعض الصحابة حينما طلبوا من الرسول -صلى الله عليه وسلم-ذات أنواط هذا الأمر في حد ذاته لا يجوز شرعا فكيف بمن دونهم فإذا هذه أول فائدة من الفوائد وهي "أنه يوجب للإنسان أن يخاف من الشرك"

الفائدة الثانية: " إذا كان المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري فإذا هذا يوجب على الإنسان أن يحرص على أن يتشبث بأسباب النجاة وأعظم أسباب النجاة هي العلم والمعرفة هي العلم بالتوحيد ومعرفة ضده وما يناقضه" فحديث أبي قتادة هذا يفيدنا فائدة عظيمة وهي أنه يجب علينا أن نتعلق بأسباب النجاة وأعظمها أن نتعلم مسائل التوحيد وما يتعلق به وأن نتعلم مسائل الشرك وما يتعلق بها فإذا" لا بد على الإنسان يجب على الإنسان أن يعرف الشرك وأقسامه ووسائله وذرائعه ليسلم الإنسان من الوقوع في شيء من حبائله من حيث لا يشعر"

الفائدة الثالثة: "أن الإنسان لا يجوز له أن يصل إلى مرحلة يقول في التوحيد نحن فهمناه فلا نحتاج إلى دراسته واستذكاره" فإن هذه الكلمة من كلام الشيطان والذي يلقيه الشيطان على قلوب بعض الناس أو على ألسنة بعض الناس حتى يهون دراسة التوحيد والاستمرار في دراسة التوحيد وقد كنت في مجلس الشيخ راشد بن خنين -حفظه الله- وشفاه وعافاه وكان الشيخ عبد العزيز بن باز موجودا فكان المجلس يغص بأصحاب الرتب العالية في الدراسة والجامعات والشهادات وكان كلام الشيخ عن أنواع التوحيد الثلاثة، تكلم الشيخ عن أنواع التوحيد الثلاثة درس عظيم فعلا ليس لأن الشيخ تكلم عن التوحيد لا وإنما "لأنه لم يتكبر عن الكلام في التوحيد"، لأن التوحيد هو موضوع حياتنا الذي لا ينقضي الذي نبدئ فيه ونعيد وهو موئل عزنا الذي لا ينقضي أبدا.

الفائدة الرابعة: التي ذكرها الشيخ -رحمه الله-"أن المسلم المجتهد إذا قال ما يقتضي الكفر جاهلا بذلك ثم نبه فانتبه، فإنه لا يحكم عليه بمقتضاه" أن المسلم المجتهد إذا قال ما يقتضي الكفر جاهلا بذلك ثم نبه فانتبه ولم يواصل فإنه لا يكفر بذلك لأنه معذور بجهله هذه فائدة طيبة يقول "شيخ الإسلام ابن تيمية" -رحمه الله- : **لكن من الناس من يكون جاهلا ببعض هذه الأحكام جهلا يعذر فيه فلا يحكم بالكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة كما قال الله جل وعلا (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)**[٣]

الفائدة الخامسة:- كما قال المؤلف لو لم يكفر أنه يجب على المعلم والأستاذ أن يغلظ على من وقع في المخالفة حتى وإن لم يحكم عليه بمقتضاه "أن المعلم والأستاذ يجب عليه أن يغلظ في التعليم على عظم هذه المخالفة حتى وإن لم يحكم عليه بمقتضاها" يعني مثلا إذا جاءك رجل وتكلم بكلمة ربما ترتب عليه آثار كثيرة وهي كلمة يعني تتعلق بالتوحيد فأغلظ عليه القول كيف هذا كيف تقول هذا اتق الله اتق الله خاف من الله تب إلى الله مثلا الكلمات حتى وإن لم تحكم عليه بمقتضى كلمته ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- غلظ عليهم بعدة أشياء **"أول شيء التكبير قال الله أكبر وهذا من باب تعظيم هذه الكلمة"** ثم "**قال إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده وهذا قسم من باب تعظيم الكلام**" فإذا هذا تغليظ في الإنكار مع أنه لم يحكم عليهم بمقتضى ما فعلوه هذه خلاصة ما ذكره الشيخ -رحمه الله- من الفوائد.

---

(٣). مجموع الفتاوى (١١/٤٠٦).

المتن "ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري "

هذه الفائدة الأولى..

المتن "فتفيد التعلم والتحرز"

.. هذه الفائدة الثانية..

المتن "ومعرفة أن قول الجاهل (التوحيد فهمناه"

قوله ومعرفة أن قول الجاهل لعل المؤلف يشير إلى ما قال "**المويس**" المتوفى سنة ١١٧٥ هجريا وهو واحد من ألد خصوم الشيخ رحمه لله الذين ناهضوا دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وسعوا إلى الصد عن دين الله وقد حكى الشيخ مقالته في إحدى رسائله، يقول الشيخ -رحمه الله- "ومع هذا يقول لكم شيطانكم المويس إن بنيات حرمه وعيالهم يعرفون التوحيد فضلا عن رجالهم يعني يقول ليس لزاما تدرسون التوحيد (التوحيد فهمناه) جعلها الشيخ كلمة جاهل وكلمة شيطان.

المتن " أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان."

فالناس دائما في حاجة إلى علم التوحيد وإلى التفقه في مسائل التوحيد مهما كانت منازلهم ومهما علت رتبتهم في العلم فلا يزالون يحتاجون إلى التوحيد وطرق مسائله وتصحيح العقيدة..

المتن. "وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري".

هذه الفائدة التي بعدها

المتن "وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري"

يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-عند شرحه لهذه النقطة قال تدل هذه القصة على أن المسلم إذا قال ما يقتضي الكفر جاهلا بذلك ثم نبه فانتبه وتاب في الحال فإن ذلك لا يضره لأنه معذور بجهله ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها أما لو استمر على ما عمله من الكفر فإنه يحكم عليه حين إذا بما تقتضيه الحال

المتن "تفيد أيضا أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله ﷺ)"

هذه الفائدة التي بعدها

وهذا التغليظ يرجع إلى ثلاثة أمور

١. أول شي قوله -صلى الله عليه وسلم- الله أكبر.

٢. والثانية إنها السنن.

٣. والثالثة لتتبعون سنن من كان قبلكم، وكذلك اليمين (الحلف)

يقول الشيخ "عبد الله بن حميد" -رحمه الله- في شرح هذه النقطة يقول "**ثم تفيد أي القصة أنه لو قالها جهلا وتاب ينبغي أن يغلظ عليه من أجل أن يكون وقعها في في قلبه عظيما فإذا أنكرت عليه إنكارا شديدا مغلظا عليها هذه الكلمة التي تكلم بها يكون أوقع في قلبه من أنه ارتكب جريمة عظيمة ولا سيما الكلمات التي تؤدي إلى الكفر فهذه لابد من التغليظ في الإنكار عليها**".

وهذه الشبهة الثالثة عشرة تقول

المتن "وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي ﷺ (أنكر على أسامة قتل من قال: (لا إله إلا الله). وكذلك قوله: {أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا (لا إله إلا الله)} وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر، ولا يقتل ولو فعل ما فعل."

.

.. هذه مشكلة عظيمة عند هؤلاء وهي " أن المقصود الأعظم والمطلوب الأفخم عند الله جل وعلا أن تأتي ب لا إله إلا الله ثم تفعل ما شئت بعدها من الذنوب والمعاصي والآثام والأمور الشركية ليس ثمة شيء ينقض هذه الكلمة أبدا "أعوذ بالله ما دامك تقول لا إله إلا الله فإنك مهما فعلت ما فعلت مما يناقضها فإنه لا يحكم عليك بمقتضى هذا الناقض وهذه من أضعف الشبه ومن إذا لا تعرف الدنيا شركا قل لا إله إلا الله ثم اسجد لصنم وافعل ما شئت من نواقض فإنه لا ينتقض عليك شيء من التوحيد وحديث أسامة هذا معروف وقد رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما قال :بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا..."[٤] إلى آخر الحديث الشاهد أن أسامة قتل هذا الرجل بعد أن قال لا إله إلا الله فهؤلاء يفهمون الحديث فهما خاطئا قالوا لما اشتد تغليظ إنكار النبي- صلى الله عليه وسلم- على أسامة في قتله دل ذلك على أنه كأنه يقول يا أسامة ما دام قال لا إله إلا الله مالك شأن فيه خلاص المفروض أنك تكف عن دمه حتى وإن فعل من النواقض ما فعل فيقولون النبي عليه الصلاة والسلام أنكر على أسامة قتله لهذا الرجل بعد قوله لا إله إلا الله فدل ذلك على "أن من كان ينطق بلا إله إلا الله فإنه لا يجوز قتله مهما فعل من النواقض ما فعل"، هل هذا هو الفهم الصحيح للحديث؟ الجواب "لا، ليس الفهم الصحيح ولذلك أجاب الشيخ عنها بجوابين جواب مجمل وجواب مفصل".

(٤). أخرجه مسلم في صحيحه | بَابٌ: تَحْرِيمُ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ قَوْلِ الشَّهَادَةِ (٩٦) (٦٧/١).

المتن "فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون (لا إله إلا الله). وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلون ويدَّعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة مُقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: (لا إله إلا الله) وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه"

قوله "فيقال لهؤلاء المشركين الجهال" المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تعالى أراد أن يرد على هذه الشبهة بجوابين جواب مجمل جواب مفصل

أما "**الجواب المجمل**" فإنه يتضمن أمرين "الأمر الأول أن الرسول -صلى الله عليه وسلم-وأصحابه قاتلوا قوم يقولون لا إله إلا الله لوقوعهم في نواقض أخرى" أولم يثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "أنه قاتل اليهود مع أن اليهود يعرفون الله ويقولون لا إله إلا الله" ولكن مع ذلك قاتلهم النبي -صلى الله عليه وسلم-كما فعل في بني قريظة لكونه أتى بشيء يناقض هذه الكلمة فإذا مجرد النطق بهذه الكلمة لا يدل على عصمة الدم والمال بمجرده إذا كان الإنسان واقع في شيء من ذلك.

وأيضا قصة أخرى ودليل آخر "أن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-قاتلوا بني حنيفة مع أنهم كانوا يقرون بلا إله إلا الله ويؤمنون بها ويعملون بمقتضاها "لكنهم قاتلوهم فإذا نطق بني حنيفة بلا إله إلا الله لم يجعل أصحاب النبي ينكفون عن دمائهم.

وكذلك "الذين حرقهم علي بالنار كانوا يقولون لا إله إلا الله ولكن نطقهم بلا إله إلا الله لم يجعل علي رضي الله تعالى عنه ينكف عن دمائهم "بل إن الشيخ استدل عليهم بحالهم هم بحال هؤلاء المشركون يقول أيها المشركون تعالوا لو أن رجلا آمن بشرائع الدين كلها ثم يقول لا إله إلا الله صباحا ومساءً لكن كان ينكر البعث هل تقتلونه قالوا أي نستتيبه ونقتله، كيف تقتلونه وهو يقول لا إله إلا الله. يقول بل هؤلاء المشركون وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله إذا كيف تقتلونه مع أنه يقول لا إله إلا الله مدام تقولوا لا إله إلا الله لا يضر معها أي ناقض من النواقض فلماذا تقتلونه إذا أنكر البعث وهو يقول لا إله إلا الله إذا هذا تناقض عجيب إذا الجواب المجمل الاستدلال من حال النبي -صلى الله عليه وسلم-ومن حال الصحابة ومن حال هؤلاء المعاندين أنهم قاتلوا أناسا قالوا لا إله إلا الله لمخالفتهم لأمر من أمور التوحيد...

متن "ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث. فأما حديث أسامة، فإنه قتل رجلا ادَّعى الإسلام..."

"ما فهموا معنى الأحاديث "هذه لابد أن نقف عليها وهي "أن الإنسان إنما يؤتى من جهله وفهمه الفاسد "فالفهم الفاسد هو "الذي أوجب كثيرا من المخالفات الشرعية" وإن أعظم قاعدة يصحح فيها الإنسان فهمه في الأدلة تقول هذه القاعدة... "**كل فهم يخالف فهم سلف الأمة وأئمتها في مسائل العقيدة والعمل فإنه باطل**"، وهي أصل كبير من أصول أهل السنة والجماعة كل فهم يخالف فهم سلف الأمة وأئمتها في مسائل العقيدة والعمل فإنه باطل فهؤلاء ما فهموا الأدلة من الكتاب والسنة في هذه المسألة على مقتضى فهم أهل السنة والجماعة ولذلك تخبطوا في الفهم تخبطوا في الفهم طيب ما الفهم الصحيح في حديث أسامة ما الفهم الصحيح في حديث أسامة لماذا أنكر عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- سيبينه

المتن "**بسبب أنه ظن أنه ما ادَّعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله. والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا} [النساء: ٩٤]، أي فتثبتوا. فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: { فَتَبَيَّنُوا }ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى. وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال {أقتلته**

بعدما قال: (لا إله إلا الله)} وقال: {أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله} هو الذي قال في الخوارج: {أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد} مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا وتسبيحا. حتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم (لا إله إلا الله)، ولا كثرة العبادة، ولا ادَّعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة. وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦] وكان الرجل كاذبا عليهم. وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه"

فأما حديث أسامة أجاب الشيخ عنه بجواب طيب جدا وهو أن المصنف -رحمه الله- تعالى "بين أن إنكار النبي -صلى الله عليه وسلم-على أسامة ليس لأنه قتل رجلا يقول لا إله إلا الله لا وإنما لأنه تسرع في قتل رجل بعد أن قال لا إله إلا الله قبل أن يتبين له ما يوجب قتله "لأن الذي يعصم الدم هما أمران" **القول الأول قول لا إله الله والعمل بمقتضيات لا إله**

إلا الله "فكل من نطق من المشركين الأصليين بلا إله إلا الله فالواجب علينا أن نكف عن دمه حتى يتبين لنا بعد ذلك ما يبيح دمه فإن تبين لنا بعد ذلك ما يبيح دمه فحين ذلك نقتله ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي أنكر على أسامة أمرنا بقتل الخوارج أباح دماء الخوارج لنا مع أنهم يقولون لا إله إلا الله لأنه تبين لهم بعد قول لا إله إلا الله تبين من حالهم ما يوجب قتلهم فإذا نقول الإنكار الصادر من النبي -صلى الله عليه وسلم-على أسامة ليس على الوجه الذي فهمه المشركون أن من قال لا إله إلا الله لا يجوز قتله حتى وإن أتى بالنواقض الكثيرة لا إنما أنكر عليه استعجاله في قتل هذا الرجل بعد نطقه بالشهادة قبل أن تتبين حال هذا الرجل لا يستحق القتل أو لا أو لا يستحق القتل يقول" **الإمام ابن عبد البر** "-رحمه الله- تعالى :**مَنْ أَظْهَرَ الشَّهَادَةَ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حقنت دَمُهُ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ مَا يُوجِبُ إِرَاقَتَهُ مِمَّا فُرِضَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ الْمُبِيحِ لِقَتْلِ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ**)[٥] وقال "**الإمام الشوكاني**" -رحمه الله- تعالى : **ولا شك أن من قال لا إله إلا الله ولم يتبين من أفعاله ما يخالف معنى التوحيد فهو مسلم محقون الدم والمال إذا جاء باركان الإسلام المذكورة في حديث أمرت أن أقاتل أمرت أن أقاتل الناس...**)[٦] إلى آخر الحديث فإذا الإنكار الصادر من النبي عليه الصلاة والسلام على أسامة إنما هو لاستعجال في هذا القتل وأما من تكلم بكلمة التوحيد ثم تبينت منهم أفعال تخالف هذه الكلمة وتناقضها فإننا نستتيبه فإن تاب وإلا قتل ولا شأن لنا بهذه الكلمة لأنه لم

---

(٥). التمهيد لابن عبد البر (١٠/١٥٣).

(٦). الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١/٣٤٧).

يحقق مقتضاها ولذلك يقول الله ﷻ(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)[٧]أي فتثبتوا وقد قرأت في قراءة أخرى فتثبتوا وهي قراءة حمزة والكسائي رحمهم الله تعالى .

ثم قال وكذلك الأحاديث الأخر وأمثالها المقصود بالأحاديث الأخر تلك الأحاديث أيها الإخوان التي فيها أن من قال لا إله إلا الله فإنه يدخل الجنة هذه أحاديث مطلقة ويستدل بها المشركون على أن من قال لا إله إلا الله فلا يجوز التعرض له مطلقا حتى إن فعل ما يناقضها نقول لا الجواب عن هذه الأحاديث هي أنها أحاديث مطلقة قد قيدت في مواضع أخرى "والواجب حمل المطلق على المقيد" فالذي يقول لا إله إلا الله فقط من غير إخلاص كما ورد في بعض الروايات من غير يقين كما ورد في بعض الروايات ومن غير صدق كما ورد في بعض الروايات فإنها لا تنفعه ولا تعصم دمه وماله ولذلك يقول قوله" هو الذي قال في الخوارج" أنتم تعرفون أن الخوارج فرقة خرجت على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه في عام ٣٧هجريا حيث أنكروا على علي قبوله التحكيم في الخصومة بين معاوية وبينهم وقالوا لا حكم إلا لله وهي من أول الطوائف البدعية التي خرجت في عصر أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وهم أول من كفر المسلمون بالذنوب وأول من كفروا من خالفهم واستحلوا دمه وماله وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في تكفير الصحابة على قولين مشهورين وأكثر أهل العلم على عدم تكفيرهم "**يقول بن تيمية -رحمه الله-** " :"**والخوارج كانوا من أظهر**

(٧). سورة الحجرات آية (٦)

الناس بدعة وقتالا للأمة وتكفيرا لها ولم يكن في الصحابة من يكفر الخوارج يعني ولم يكن في الصحابة من يكفر الخوارج لا علي بن أبي طالب ولا غيره بل حكموا فيهم بحكم المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكر في الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع "[٨] فإذاً لا إله إلا الله فقط بدون القيام بمقتضياتها ما تعصم الدم ثم جاب الشيخ قصة أخرى وهي "قصة بني المصطلق" وهي أنه رئيس بني المصطلق جاء ومقدمهم جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأسلم وفد بني المصطلق وانتشر الإسلام في بني المصطلق ثم قال مقدمهم قال يا رسول الله إذا حان وقت الزكاة فابعث لنا عاملك حتى نعطيه الزكاة فلما جاء وقت الزكاة تأخر النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يبعث لهم عاملا فظن بنوا المصطلق أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سخط عليهم في أمر من أمور الدين فجاؤوا بصدقاتهم يريدون تسليمها مباشرة يداً بيد إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذه الأثناء قبل مجيئهم أرسل النبي -صلى الله عليه وسلم-رجلا من الصحابة ليقبض صدقات بني المصطلق فلما جاء قرب ديارهم فرأى أن القوم قد خرجوا بعدتهم وعتادهم رجع خائفا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-وقال إن بني المصطلق قد نقضوا العهد وكفروا بالله وجاؤوا لقتالك، فهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وجهز الجيش حتى يقاتلهم إذا هم النبي -صلى الله عليه وسلم-لقتالهم لأنهم منعوا الزكاة دليل على أن كلمة لا إله إلا الله لوحدها لا تحقن الدم إلا إذا قام الإنسان بما يصدق هذه الكلمة فتجهز

---

[٨] مجموع الفتاوى (٢١٨/٧)

النبي -صلى الله عليه وسلم-لحربهم فقدر الله جل وعلا أن يأتي نفر من بني المصطلق وهم أهل الزكاة فجاؤوا فدخلوا على النبي -صلى الله عليه وسلم- قالوا أتعدون لغزو قال نغزوكم أنتم قالوا لم قال لأنكم فعلتم كذا وكذا فقالوا والله يا رسول لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ وَلا أَتَانِي)[٩]فأنزل الله قوله جل وعلا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[١٠] "**والشاهد**" من هذه القصة" **أن الرسول صلى الله عليه وسلم هَمَّ أن يغزوا بني المصطلق لما منعوا الزكاة يعني لما بلغه أنهم امتنعوا عن أداء الزكاة ولم يمنعه من قتالهم أنهم يقرون بلا إله إلا الله إذا لا إله إلا الله ليست كلمة تقال أو لفظا يحكى من غير عمل ومن غير تحقيق مقتضى**"..

متن "**ولهم شبهة أخرى وهو ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ. قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا** "

(٩). تفسير ابن أبي حاتم تفسير سورة الحجرات (١٠/٣٣٠٣).

(١٠). سورة الحجرات آية (٦).

وهذه **الشبهة الرابعة عشر**.. "**الاستغاثة**" عرفها العلماء "بأنها طلب الغوث" يقول شيخ الإسلام رحمه الله "والاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون"

وقد قسم العلماء رحمهم الله تعالى الاستغاثة بغير الله إلى قسمين:

١. استغاثة بغير الله فيما يقدر عليه المستغاث به فهذه لا حرج فيها وعلى ذلك قول الله جل وعلا عن موسى (فَاسْتَغَاثَهُ الذي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الذي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) [١١]هذا لا حرج فيه إذا استغثت بأحد من المخلوقين في أمر يقدر عليه هذا المخلوق هذا لا حرج فيه كأن تقع بينك وبين أحد خصومة ومجادلة ثم تقل للقاضي يا قاضي استغثت بك أن تفكني من شر هذا فالقاضي قادر أن يخلصك من شر هذا فلا حرج فيه

٢. "الاستغاثة الشركية ولها صور"

الصورة الأولى: الاستغاثة بالأموات... فالاستغاثة بالأموات شرك أكبر بإجماع أهل العلم رحمهم الله لأن الميت لا قدرة عنده في تحقيق ما أستغثته فيه فلا يستغيث الإنسان بشيء بأحد من الأموات إلا وهو يعتقد أن هذا الميت له تصرف خفي في الكون وهذا شرك في توحيد الربوبية والألوهية

---

(١١). سورة القصص آية (١٥)

الصورة الثانية من صور الاستغاثة الشركيه: الاستغاثة بالأحياء الغائبين عنك الاستغاثة بالأحياء الغائبين عنك كأن يكون إنسان في العراق فيستغيث بولي من أولياء الله في مصر أو غير ذلك هذا كله من الشرك الأكبر المخرج عن الملة بالكلية

فإذا صارت الاستغاثة منها ما هو جائز ومنها ما هو ممنوع فالاستغاثة الجائزة هي أن تستغيث بالمخلوق فيما يقدر عليه هذا المخلوق وأما الاستغاثة الشركية فلها صورتان

الصورة الأولى: أن تستغيث بالأموات أو أن تستغيث بالأحياء الغائبين وكل ذلك مما لا يجوز.

قوله (ولهم شبهة أخرى ....)، وهذا حديث الشفاعة الكبرى يوم القيامة عن النبي ﷺ "يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ؛ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ)[١٢]

المهم عندهم استغاثوا بآدم أن يشفع عند الله حتى يفصل بينهم في القضاء واستغاثوا بعد آدم بنوح ثم بعده بإبراهيم ثم بعده بموسى ثم عيسى ثم استقر أمرهم بالنبي صلى الله

(١٢). أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابُ التَّفْسِيرِ. | سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. | بَابُ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٤٧١٢) (٦/٨٤).

عليه وسلم قالوا فإذاً جازت الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة فإذا جازت الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة فإن في الدنيا من باب أولى إذا ذهبنا إلى نوح وإذا ذهبنا إلى آدم يوم القيامة وطلبنا منهم أن يشفعوا عند الله لنا هل هذا فعلنا شركا؟

الجواب: لا فإذا كذلك في الدنيا إذا طلبناها منهم في الدنيا ما هي المشكلة فهذه عندهم مشكلة وهي الجمع بين المختلفات فهذه شيء وهذه شيء قالوا لماذا قالوا لأن آدم ونوح الآن في الدنيا لا يملكون هذه الشفاعة فأنت إذا طلبتها منهم في الدنيا فإنك تطلب مخلوقا ميتا والمخلوق هذا ميت لا قدرة عنده في أن يعطيك ما سألته فهذا هو حقيقة الشرك والوثنية فالاستغاثة شركية لأن الاستغاثة الشركية هي أن تدعوا ميتا أو تسأل ميتا فإن الميت لا قدرة عنده ولا طاقة له لكن يوم القيامة إذا قابلناهم وجها لوجه وقد أمكنهم الله من ذلك فحين إذ نحن نسألهم أن يحققوا لنا شيء يقدرون عليه بأمر الله فإذا في الدنيا يختلف الحال عما هو في الآخرة في الآخرة نسألهم شيئا يقدرون عليه وأما في الدنيا فإن الحال تختلف لأنهم ما يقدرون عليها الآن في الدنيا فكونك تسألهم منهم في الدنيا أنت تسأل شيئا لا يقدر عليه هؤلاء الأنبياء وأما في الآخرة فإن الناس إذا سألوها منهم فإنهم يسألون شيئا يقدرون عليه فإذاً نحن أنما أنكرنا استغاثة الناس بالقبور عند الأولياء والصالحين أو في غيبتهم يعني في الأشياء التي لا يقدر عليها هؤلاء المخلوقون هذا خلاصة الشبهة والجواب.

والعجيب أن ممن احتج بذلك السبكي رحمه الله كما في شفاء السقام وكذلك النبهاني في شواهد الحق وكذلك احتج به من هو على وزن إبليس داوود بن جرجيس وكذلك كما في مصباح الظلام وكذلك احتج به العزامي في البراهين وانتحله ذلك الرجل المعاصر هداه الله صاحب المفاهيم المالكي

المتن "والجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه. فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها. كما قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]. وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق"

هذه ما فيها مشكلة يقول شيخ الإسلام: "وقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب سائر ما يقدر عليه وأما المخلوق والغائب وأما المخلوق والغائب والميت فلا يطلب منه شيء "[١٣] هذه سنة مضت بذلك

(١٣). مجموع الفتاوى (١/٣٤٤).

المتن "ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله. إذا ثبت ذلك، فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعو الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف. وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك فتقول له: ادع الله لي"

وهذا يسميه العلماء التوسل بدعاء الحي الحاضر القادر هذا لا حرج فيه "وقد ذكر العلماء أن الأصل في باب التوسل التوقيف فلا يجوز للإنسان أن يتوسل إلا بما دل الدليل شرعا على جواز التوسل به "هذه القاعدة العامة في باب التوسل القاعدة العامة في باب التوسل أن الأصل في التوسل التوقيف فلا يجوز للإنسان أن يتوسل إلا بما دل الدليل على جواز التوسل به وقد ذكر العلماء" **أن هناك خمسة أشياء بالإجماع وستة بالتفصيل يجوز التوسل بها** "

الأول: أن تتوسل إلى الله بأسمائه إمام على وجه الإجماع والعموم إما على وجه التفصيل.

الأمر الثاني: أن تتوسل إلى الله بصفاته.

الأمر الثالث: أن تتوسل إلى الله بذكر الحال كقول موسى ﴿**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾(١٤) وقول نوح ﴿**قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ**(١٥)﴾

الأمر الرابع: أن تتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة كتوسل أصحاب الغار الثلاثة أحدهم توسل ببره بوالديه والثاني بعفته والثالث بأمانته.

والأمر الخامس والأخير: أن تتوسل بدعاء الرجل الحي الحاضر القادر وهذا هو ما نريده يجب توفر هذه الشروط جميعا.

الأمر الأول: بدعاء الحي فتقييد ذلك بالحي يا شيخ خطاب يخرج دعاء الميت فمن دعا ميتا أو استغاث به فقد وقع في الشرك

الأمر الثاني: الحاضر وتقييدنا بالحاضر يخرج الغائب والحضور قسمان حضور حقيقي وحضور حكمي

الحضور الحقيقي أن تراه أمامك والحضور الحكمي أن يسمع كلامك إذا كان غائبا بوسيلة معلومة محسوسة مثل المهاتفة هاتفت واحد في الكويت وقلت لا تنسانا من دعائك أدعو لي يا أخي الآن هو غائب عني، لكنه في حكم الحاضر لأن الوسيلة بيني وبينه وسيلة حسية وأما

---

(١٤). [القصص: ٢٤].

(١٥). [الشعراء: ١١٧].

هؤلاء الذين يرفعون أصواتهم وأهازيجهم ينادون الأولياء والصالحين بدون وسائل محسوسة هؤلاء لم يفعلوا ذلك إلا لاعتقادهم أن هؤلاء الأولياء والصالحين لهم تصرف خفي في الكون

فإذا ما سيكون يوم القيامة هو من الاستغاثة بالأنبياء جائزة لأننا نقول لهم اشفعوا لنا وهم قادرون فإذا حصل ذلك في الدنيا وجئت عند رجل صالح حي حاضر قادر وطلبت منه ذلك فهذا لا حرج فيه أما أن تذهب إلى قبور الأنبياء وتطلبها من الأنبياء حال موتهم في هذه الدنيا فإن هذا الشرك الأكبر المخرج عن الملة

المتن "كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته، فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره "

وهذا بالإجماع أن الصحابة رضي الله عنهم كانت من عادتهم أن يأتوا إلى النبي ﷺ ويسألونه؛ ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: فَبَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ)[١٦] وهذا أمر جائز بإجماع أصحاب النبي ﷺ .

وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فإنه لا يجوز بإجماع الصحابة وسيذكر الشيخ الآن أشياء كثيرة مما يدل على عدم الجواز فالصحابة كانت تصيبهم المصائب الجسيمة والوقائع

(١٦). أخرجه البخاري في صحيحه | | كِتَابٌ: الْجُمُعَةُ | بَابُ الِاسْتِسْقَاءِ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ (٩٣٣) (١٢/٢).

الأليمة من القحط وغيرها وقبر النبي عليه الصلاة والسلام بجوارهم ولم يكن أحد منهم يتكلف المجيء إلى قبره ودعائه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وهذا بإجماعهم هذا بالإجماع فقد كان يصيبهم في المدينة الوقائع الأليمة وغير ذلك وكذلك الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا شديدي الحرص شديدي الحرص على ألا يفعل أي شيء من العبادات عند القبور من عبادات الدعاء والاستغاثة ولذلك كانوا حريصين على تسوية القبور فلما فتحوا أرض الشام والعراق وغيرها وجدوا قبرا يقصد للدعاء عنده وغيبوه وأخفوه كما لما فتحوا بيت المقدس أيضا لم يقصدوا قبر الخليل عليه السلام ولم يدعوا عند قبر الخليل عليه الصلاة والسلام ولا غيره من الأنبياء هذا بإجماع الصحابة ما كانت حول الصحابة أنهم يستغيثون بالأموات أو يدعونهم من دون الله جل وعلا أو يقترحون عند عتبات قبورهم حتى ولو كانت قبور الأنبياء بل إذا رأوا أحدا ينتابه مكانا معين للصلاة فيه أو ذكر الله جل وعلا فيه فإنهم كانوا ينهونه ومن ذلك أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد رأى الصحابة أو بعض الصحابة ينتابون شجرة قد بايع عندها النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يصلون عندها فأمر بقطعها ، ومن ذلك ما فعل الصحابة رضي الله عنهم بقبر ذلك الرجل الذي يقال له دانيال– ويقال إنه نبي ، فقد روى ابن أبي شيبة بإسناده عن أنس رضي الله عنه : أنهم لما فتحوا تستر قال: وجدنارجلا أنفه ذراع في التابوت، كانوا يستظهرون و يستمطرون به، فكتب أبو موسى إلى عمر ابن الخطاب بذلك، فكتب عمر: إن هذا نبي من الأنبياء والنار لا تأكل الأنبياء، و

الأرض لا تأكل الأنبياء، فكتب إليه أن انظر أنت و رجل من أصحابك -يعني أصحاب أبي موسى- فادفنوه في مكان لا يعلمه أحد غيركما، قال: فذهبت أنا وأبو موسى فدفناه)[١٧].

(١٧). أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب البعوث والسرايا | ما ذكر في تستر (٣٦٠٨٤) (٦٢/١٩).

كشف الشبهات

بشرح فضيلة الشيخ

وليد بن راشد السعيدان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

الدرس الثالث عشر

وقد أنكر السلف رحمهم الله على من كان يحرص على القرب من قبر النبي ﷺ للدعاء كما ورد عن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيدخل فيها فيدعو، فنهاه فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قال "لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني"(١) فإذا الأدلة في ذلك كثيرة بل هذا بإجماع الصحابة.

والسلف أيضا:

فقد ثبت عن مالك رضي الله تعالى عنه "أنه كان لا يرى الوقوف عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا إطالة الوقوف عنده"

وقال مالك لأن هذا هو المنقول عن ابن عمر فقد كان ابن عمر إذا دخل المسجد المدينة يأتي ويسلم على قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يسلم على النبي عليه الصلاة والسلام ثم يسلم على أبي بكر ثم يقول: السلام عليك يا أبتاه، ثم يذهب وينصرف مباشرة ولا يدعو عند القبر لا مستقبل القبر ولا مستقبل القبلة.

"هذه أحوال السلف عند القبور ما كانوا يدْعون ولا كانوا يستغيثون بالأموات، لا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا بغيره" ،ولكن أبى أهل الشرك إلا أن يشبهوا علينا بآية من القرآن تدل على جواز المجيء إلى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته والاستغاثة

(١). أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الجنائز باب من كره القبور (٧٧٥٠) (٥/١٢٠).

والاستغفار عند قبره من القرآن قالوا من القرآن وهي شبهة تستحق أن توضع في من جملة الشبه العظيمة قال الله ﷻ(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ)[٢] فلاك واحد منهم لسانه كما تلوك البقرة ،بقاعدة أصولية قال "وإن الله قد أطلق المجيء هنا ولم يقيده لا بالمجيء في حياته ولا بالمجيء بعد مماته والأصل بقاء المطلق على إطلاقه ولا يقيد إلا بدليل هذه شبهة عظيمة كما أنه يجوز المجيء إليه في حياته فكذلك يجوز المجيء إليه في الممات"

فترد أن هذه الشبهة قاعدة الفهم المعتمد عندنا وهي كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في مسائل العقيدة والعمل فإنه باطل، وهل فهم الصحابة هذا الفهم الذي فهمه هذا الماجن الفاجر؟ الجواب لا، فبإجماع الصحابة أنهم مجمعون على عدم جواز المجيء للدعاء عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك كانوا إذا قحطوا في المدينة كما في البخاري من حديث أنس رضي الله عنه نادى عمر رضي الله عنه العباس وقال: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا، فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُسْقَوْنَ)[٣]ومن ذلك ندرس مسألة مهمة أو مسألتين مهمة في باب التوسل وما كانت والله في الذهن لكن رأيت أن فيها فائدة عظيمة

المسألة الأولى: ما أقسام التوسل بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

---

(٢). سورة النساء آية (٦٤)

(٣). أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابُ الِاسْتِسْقَاءِ | بَابُ سُؤَالِ النَّاسِ الْإِمَامَ الِاسْتِسْقَاءَ إِذَا قَحَطُوا. (٣٧١٠) (٥/٢٠).

الجواب: التوسل بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قسمان "توسل جائز وتوسل زائغ".. "توسل سائغ وتوسل زائغ" يعني "توسل مشروع وتوسل ممنوع"

ما التوسل المشروع؟

التوسل المشروع قسمان:

١. أن نتوسل إلى الله بالإيمان به ومحبته وطاعته واتباع شريعته فهذه وسيلة عند الله سواء في حياته أو بعد مماته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" لأنها أصل الدين هذه وسيلة مستمرة ما تنقطع أبدا لا في حياته ولا بعد مماته التوسل إلى الله بمحبته والأيمان به وأتباع شريعته واقتفاء أثره هذه ما تنقطع هذه الوسيلة أبدا .

٢. "النوع الثاني أو القسم الثاني من التوسل الجائز": التوسل إلى الله بطلب الدعاء منه التوسل إلى الله بطلب الدعاء منه هذه وسيلة انقطعت أم لا تزال باقية؟ انقطعت، بماذا؟ بموته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذًا التوسل به قسمان

١. "نوع جائز في حياته وبعد مماته وهو التوسل إلى الله بالإيمان به ومحبته وطاعته"

٢. "ونوع لا يجوز إلا في حياته فقط وهو التوسل إلى الله بطلب الدعاء منه هذا في حياته فقط"

يقول الناظم عفا الله عنه

إن التوسل بالنبي لدلؤ لا سلف على سنن الهدى نوعان

بدعائه وقد انتهى بوفاته وكذا بطاعته مدى الأزمان

وأما النوع الثاني من أنواع التوسل فهو "التوسل المذموم" ويدخل تحت ذلك عدة صور

الصورة الأولى: التوسل إلى الله بذاته وهي بدعة بإجماع السلف (التوسل إلى الله بذات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعة بإجماع السلف)

الصورة الثاني: التوسل إلى الله بجاهه وهي بدعة بإجماع السلف وكل حديث (خذوها قاعدة حديثية) وكل حديث في التوسل بجاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو موضوع مكذوب عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

"إذًا هذه نوعان من أنواع التوسل الممنوع بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"

المسألة الثانية وهي مهمة وخطيرة جدا "أعلم أن لفظ التوسل يختلف باختلاف من أطلقه"

- فإذا كان المتكلم به هو الله فللتوسل معنى.
- وإذا كان المتكلم به هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فللتوسل معنى.
- وإذا كان المتكلم به هو الصحابة فللتوسل معنى.

كم صار للتوسل من معنى " ثلاث معاني يختلف إطلاقها باختلاف المتكلم بها "

فإذا كان المتكلم بها هو الله فالمقصود: بالوسيلة فعل الأوامر وترك النواهي فقط، الوسيلة في لفظ القرآن واصطلاح القرآن هي فعل الأوامر واجتناب النواهي وقد ذكرت الوسيلة في القرآن في موضعين:

قال الله جل وعلا (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب)(٤) يعني يفعلون أوامره ويجتنبون زواجره ويقول الله جل وعلا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) (٥).

إذا كان المتكلم به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو يختلف المعنى تماما ، يقول "معنى الوسيلة تلك المنزلة العالية في الجنة التي لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله "كما ثبت ذلك في صحيح الإمام مسلم من حديث عبد الله ابن عمر ابن العاص رضي الله عنهما مرفوعا "إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ"(٦)، وهذه هي الوسيلة في لسان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وإذا كان المتكلم بلفظ الوسيلة الصحابة المعنى يختلف تماما قال "طلب الدعاء من المتوسل به" فقط طلب الدعاء من المتوسل به وعلى ذلك قول عمر اللّهم إنا كنا نتوسل بنبيك وش معنى نتوسل بنبيك؟ المبتدعة يفهمون إنها التوسل إلى الله بذاته أو توسل إلى الله بجاهه وهذا خطأ لأن المتكلم من هو صحابي والصحابة في لسانهم وعرفهم إذا

---

(٤). سورة الآسراء آية (٥٧).

(٥). سورة المائدة آية (٣٥).

(٦). أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ: الصَّلَاةُ | بَابٌ: اسْتِحْبَابُ الْقَوْلِ مِثْلِ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ (٣٨٤) (٤/٢).

أطلق التوسل فإنما يريدون به التوسل إلى الله بطلب الدعاء منه اللّٰهم إنا كنا نتوسل بنبيك يعني كنا نطلب الدعاء من نبيك وها نحن نتوسل بعم نبيك يعني نطلب الدعاء من عم نبيك وعلى ذلك حديث الأعمى الذي رواه الترمذي وغيره من أهل العلم وفيه سند في مقاله ولكن على التسليم بأنه صحيح وهو أن أعمى دخل المسجد فجاء إلى النبي ﷺ فتوسل فقال :إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ-فالمراد بقوله (تَوَجَّهْتُ بِك)[٧] أي أطلب منك أن تدعوا ، وخير ما فسرت به السنة هي السنة وقد ورد في بعض الروايات يا محمد قم فادعوا الله أن يرد على بصري ،[٨] فأمره ﷺ أن يقوم يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يتوجه إلى الله بهذا الدعاء ، ثم يقوم ﷺ فيدعوا بعده ، فقام فدعا فلم يخرج من المسجد إلا وهو يبصر ، فكلمة التوسل هنا ليس التوسل إلى الله لا بذاته ولا بجاهه وإنما التوسل إلى الله بطلب الدعاء منه ،إذًا المشكلة عند هؤلاء أهل البدع المشكلة عندهم الفهم المغلوط وأعظم قاعدة تصحح لنا الفهم هي أن نقول كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في مسائل العقيدة والعمل فإنه فهم باطل

متن "بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه"

(٧). أخرجه الترمذي في سننه | أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ | بَابٌ (٣٥٧٨) (٥/٥٣٦).

٨

"السلف رحمهم الله ينكرون مجرد دعاء الله عند قبر أحد من الصالحين فكيف في دعاء هذا الصالح ولذلك يقول الشيخ محمد رحمه الله باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده من باب أولى"

"أجمع السلف على بطلان هذا الفهم"، والذي أشكل على بعض السلف وقد كنت في الإمارات يوم من الأيام فحجَّني رجل بها وجاء بتفسير ابن كثير فذكر ابن كثير رحمه الله رواية العتبي عند هذه القصة ومضى عنها ابن كثير ولم يضعفها ولم يبطلها رواية العتبي تعرفون رواية العتب ارجعوا إلى تفسير ابن كثير تجدونها

متن "ولهم شبهة أخرى، وهي: قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء، فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا. قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا لم يعرضها على إبراهيم"

هذه الشبهة الخامسة عشر وهي "أن جبريل عرض على إبراهيم خدماته إبراهيم لما كانوا يستعدون في أن يلقى في النار جاءه جبريل فعرض عليه قال (فقال له: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا)[٩] قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا لم يعرضها على إبراهيم)

يقول لو كان في الاستغاثة بالملائكة شرك لما عرضها جبريل على إبراهيم يا سبحان الله ولا يزالون هؤلاء الناس في غيهم يترددون"

---

(٩). أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٢٠).

أولا: "أنبه على بعض التنبيهات المهمة وهي أن هذه الرواية قد ورد فيها بعض الألفاظ الضعيفة"

من الألفاظ الضعيفة في هذه الرواية

١. هي قول ما ينقل عن إبراهيم أنه قال لما قال يعني "ألك حاجة عند الله قال حسبي علمه بحالي" أو كما قال "حسبي منه أو حسبي بحاجة علمه بحالي" وقد حكم "أبو العباس على هذه اللفظة بأنها موضوعة باطلة منكرة" قال "حسبي من السؤال علمه بحالي" قال ابن تيمية رحمه الله: وأما قوله وحسبي من سؤال علمه بحالي فكلام باطل لأنه خلاف ما ذكره عن إبراهيم الخليل وعن غيره من الأنبياء من دعائهم الله ومسألتهم إياه)[١٠]

٢. وكذلك اللفظ الثاني قوله" أما إليك فلا وأما إلى الله فنعم" فهي أيضا زيادة ضعيفة لا تصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولوجود الجهالة في إسنادها فقد أخرجها الإمام ابن جرير في تفسيره وفي تاريخه أيضا من طريق الحسن قال حدثنا المعتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه إذًا في جهالة.

فإذًا هذه الرواية لا تصح عن النبي ﷺ، والصحيح في ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله من حدث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ"[١١] وأما

---

(١٠). مجموع الفتاوى (٥٣٨/٨).

(١١). أخرجه البخاري في صحيحه | كِتَابُ التَّفْسِيرِ. | سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ. | بَابٌ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ. الْآيَةَ (٤٥٦٣) (٣٩/٦).

قوله" أما إليك فلا" هذه كلها زيادات ضعيفة هذه زيادات ضعيفة لا تصح وقد نسب ابن كثير رحمه الله أول هذا الأثر لبعض السلف يقول الإمام "الألباني رحمه الله" عن هذه الزيادة "إما إليك فلا وأما إلى الله فنعم" يقول لا أصل لها وأوردهم بعضهم من قول إبراهيم عليه السلام وهي من الإسرائيليات ولا أصل لها في المرفوع.

"قول هذا المشرك فلو كانت الاستغاثة بجبرائيل شرك لم يعرضها على إبراهيم" أجاب عنه الشيخ رحمه الله بنفس الجواب عن الشبهة التي قبل هذه وهي

الأمر الأول "أن جبريل قادر على إنقاذ إبراهيم، فلو سلمنا جدلا أن إبراهيم سأل جبريل عليه السلام أن ينقذه، هل هذا من الاستغاثة الممنوعة؟ الجواب لا، ما الاستغاثة الممنوعة أن تدعوا غائبا وجبريل حاضر ما هو بغائب ".

الأمر الثاني "أن تدعوا عاجزا وجبريل قادرا على تحقيق ذلك فإذًا هذا من نوع الاستغاثة الجائزة ولا الممنوعة؟ الجواب من نوع الاستغاثة الجائزة قوله فإن جبريل عليه السلام عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه إلى قوله إلى آخر الكلام هذا المعنى ذكره بعض السلف كما في تفسير الآية" ولعلكم ترجعون إلى تفسير ابن كثير رحمه الله جل وعلا وصف جبريل بأنه "**شديد القوة وأنه رفع القرى اللوطية فإذا هو شديد القوة، قوي يستطيع أن ينقذ إبراهيم وأن يمنع سقوطه في النار فنفرق هذا جمعا ولكن إبراهيم من كمال توحيده لا يريد أن يحتاج قلبه ولا أن يتعلق قلبه بمخلوق**"

متن "وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا، فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئا يقضي به حاجته فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟

هذا مثال تقريبي وهي أن الشيخ رحمه الله يبين أنه لو كان عندنا رجل غني وعندنا رجل فقير فعرض الغني خدماته على الفقير فأبى ذلك الفقير الجواب ما في مشكلة.

لو أن الفقير طلب من الغني أن يعطيه شيئا من المال، هل هذا استغاثة شركية الجواب لا.

فجبريل هو ذلك الرجل الغني وإبراهيم هو ذلك الرجل الفقير إلى الله جل وعلا طبعا فعرض جبريل خدماته على إبراهيم عليه الصلاة والسلام فأباها حتى لو طلبها إبراهيم سلمنا جدلا أنه طلبها فلا حرج في ذلك ولا إشكال فيه.

متن "ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما"

وهذه المسألة ذكرتها لكم قاعدة وهي أن الدين مبني على ثلاثة أركان:

" اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح " والأركان يقول الناظم

إيماننا عقد وقول هكذا عمل فتلك ركائز الإيمان

فأجمع العلماء رحمهم الله تعالى على هذه القضية ما "الدليل على أن الدين اعتقاد بالجنان ما الدليل على أن الإيمان إيمان القلب شرط" قول الله جل وعلا (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ)[١٢] إذًا الإيمان لا بد أن يكون داخلا للقلوب مستقرا فيها وقال الله جل وعلا أيضا عن اليهود (الَّذِينَ قالُوا آمَنّا بِأفْواهِهِمْ ولَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهم)[١٣]إذًا الإيمان قول بالقلب اعتقاد بالقلب وقال الله جل وعلا(أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ)[١٤]فإذا هذا دليل على أن الإيمان اعتقاد بالجنان.

طيب ما "الدليل على أن الإيمان قول باللسان" كثيرة منها: ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"[١٥]وقوله " قَوْلُ" دليل على أن القول داخل في مسمى الإيمان، وقد أجمع العلماء رحمهم الله على "أن من لم ينطق بالشهادتين بلسانه مع قدرته فإنه لا يُحكم له بالإسلام بمجرد اعتقاد وحدانية الله بقلبه نعم آمن قلبك لكن لا بد أيضا أن يؤمن لسانك فهي ثلاثة أمور لا بد منها"

(١٢). سورة الحجرات آية (١٤).

(١٣). سورة المائدة آية (٤١).

(١٤). سورة المجادلة آية (٢٢).

(١٥). أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ: الْإِيمَانُ | بَابٌ: بَيَانُ عَدَدِ شُعَبِ الْإِيمَانِ (٣٥) (٤٦/١).

الأمر الثالث العمل بالجوارح ما "الدليل على أن العمل بالجوارح داخل في مسمى الإيمان" الدليل على ذلك قول قول النبي ﷺ"الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"[١٦]فإماطة الأذى عن الطريق عمل فأدخلها في مسمى الإيمان وجعلها من شعبه.

وقال الله جل وعلا (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) [١٧] ما المراد بإيمانكم هنا؟ يعني: صلاتكم.

ونحن بهذا المذهب قد خالفنا جُملًا مِن الطوائف:

الطائِفة الأولى: طائفة مرجئة الفقهاء الذين يقولون "إن الإيمان اعتقاد ونطق ولكن ليس عملًا.. إذًا أسقطوا العمل.." إذًا هم مرجئة لكن أخف إرجاءً من الأشاعرة "الأشاعرة" يقولون "الإيمان إنما هو اعتقادٌ بالقلب ليس قولًا ولا عملًا.." إذًا أسقطوا بعد واحد.

"بعض الطوائف" قالوا لا "الإيمان إنما هو نطقٌ باللِسان فقط لا عمل ولا اعتقاد.." جاك "الجاهمية" مطفين النور أصلًا خالصين ما عندهم شي من الإيمان قالوا "الإيمان أصلًا لا قول ولا عمل ولا اعتقاد وإنما هو مطلق المعرفة فمن عرف الله مطلق المعرفة فهو مؤمن كامل الإيمان" هؤلاء فهو مؤمن كامل الإيمان

---

(١٦). أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ: الْإِيمَانُ | بَابٌ: بَيَانُ عَدَدِ شُعَبِ الْإِيمَانِ (٣٥) (١/٤٦).

(١٧). سورة البقرة آية (١٤٣).

وقيل كل هذه المذاهب باطلة والحق هو ما قررته الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع السلف أن الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقاد.

وقول العلماء "إن الإيمان اعتقاد الجنان" يدخل في إعتقاد الجنان "قولُ القلب وعمل القلب "

قولُ القلب المقصود به: العلم والتصديق والمعرفة

وعملُ القلب المقصود به: الالتزام والانقياد للتوحيد

هذه المسألة التي ختم الشيخ بها كلامه وهي مسألة عظيمة ومهمة

متن" لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس، ويقولون هذا حق، ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق، ولكنا لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار"

المؤلف رحمه الله ذكر"أن الناس ينقسمون باعتبار التوحيد علمًا وعملًا أربعة أقسام":

الطائفة الأولى: أناس عرفوا التوحيد وعملوا به باطنًا وظاهرًا؟ هؤلاء هم المؤمنون هذه أعظم طائفة وأكرم طائفة عند الله جل وعلا طائفة عرفت التوحيد وعملت به باطنًا وظاهرًا.

الطائفة الثانية: طائفة عرفت التوحيد وعملت به ظاهرًا وكفرت به باطنًا هؤلاء المنافقون هم عرفوا التوحيد وعملوا به لكن اقتصر عملهم على عمل الظاهر دون عمل الباطن.

الطائفة الثالثة: أناسٌ عرفوا التوحيد ولم يعملوا به لا باطنًا ولا ظاهرًا هؤلاء هم الكفار الخلَّص الكفار الأصليون الذين لا ينتسبون للإيمان أصلًا.

الطائفة الرابعة: أناسٌ عرفوا التوحيد وعملوا به باطنًا **-انتبه!-** لا ظاهرًا، وهؤلاء أيضًا كفار ومرتدون لأن العمل لا بد أن يكون بالتوحيد باطنًا وعملٌ ظاهر لكن المؤلف استثنى من القسم الرابع من ترك العمل بظاهر التوحيد من باب الإكراه (**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**)[النحل:١٠٦]فهذا قلبٌ مطمئنٌ بالإيمان لكن نطق بكلمة الكفر إكراهًا فهذا يعذر ،هو عمل بالتوحيد باطنًا ولكن ترك العمل ظاهرًا ولكن سبب ترك العمل بالظاهر إنما هو الإكراه فهذا هو المستثنى فقط.

من الممدوح من هذه الأقسام؟ إنما هو "القسم الأول" الذي عرفوا التوحيد واقبلوا على الإيمان به باطنًا والعمل بمقتضياته ظاهرًا خذوها قاعدة مني يا جماعة قاعدة "**لا يكفي معرفة الحق بل لا بد من الالتزام به**" لا يكفي معرفة الحق كونك تعرف الحق فقط

ولا تلتزم به وتخالفه هذا ما يكفي بل هذا حجةٌ عليك عند الله زيادة حجة عليك عند الله ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام في دعائه (اللّٰهم أرنا الحق حقًا وارزقنا أتباعه) فهي نعمتان أن تعرف الحق وطريق الحق ثم يرزقك الله بعد ذلك اتباع الحق.

وأما الإيمان بالحق باطنًا وعدم العمل به ظاهرًا هذا دليل على أن القلب ليس عنده انقيادٌ في ذلك.

وإن هناك من الناس والعياذ بالله من يعرف التوحيد ويؤمن به باطنًا لكن يترك العمل به ظاهرًا ثم يحتجُ على ترك العمل بالظاهر بحجج واهية. ذكر الشيخ رحمه الله جملًا كثيرة من هذه الحجج وأنا أذكرها لكم سردًا

من هذه الحجج التي ذكرها الشيخ رحمه الله مختصرتًا

١. ترك التوحيد ظاهرًا للخوف من نقص الدنيا هو يؤمن بالتوحيد باطنًا لكن ما يعمل به ظاهرًا خوفًا على دنياه أن تنقص والعياذ بالله وهذا يمثل له بالذين يحرصون على الملك والرئاسة وغيرها فهؤلاء يعرفون التوحيد باطنًا ولكنهم لا يعملون به ظاهرًا خوفًا على دنياهم أن تنقص. هل هذا عذرٌ سائغ عند الله جل وعلا؟ الجواب لا.

يجب عليك أن تترك الدنيا بأسرها وتعمل بالتوحيد.

٢.العذر الثاني عند هؤلاء المشركين في ترك العمل بالتوحيد ظاهرًا: ترك العمل بالتوحيد من أجل خوف نقص الجاه كأن يكون لهم مثلا مكانه أو منزلة اجتماعية فإذا

عمل بالتوحيد وأنكر الشرك نزلت مكانته الإجتماعية فهو يترك العمل بالتوحيد والأمر به ظاهرًا خوفًا على جاهه. هل هذا عذر عند الله جلَّ وعلا؟ الجواب لا.

إذًا إما خوف الدنيا أو خوف الجاه

٣. الثالث من أعذارهم الواهية التافهة السخيفة: ترك العمل بالتوحيد مداهنةً كأن يعمل شيئًا من المكفرات لإرضاء أحد من الناس كبعض الناس الذين يسافرون في بعض البلدان ثم يفتحون فيعلق بعضهم الصليب على صدره أو يدخل الكنيسة ويقوم ببعض العبادات استحياءً ومداهنةً لملوك هذه البلاد هذا كله من الكفر ولا ينفعه ذلك وليس بعذر عند الله

٤. **ومن الأعذار** التي يتحجج بها أيضًا على ترك التوحيد ظاهرًا: "ترك العمل بالتوحيد مشحةً بالوطن" كأن يكون وطنه غاليًا عليه فلو أنكر الشرك اضطر لترك بلاده وهو يحب بلاده والبقاء فيها فيؤثر السكوت عن التوحيد والعمل بالتوحيد ظاهرًا تقديمًا لمحبة الوطن هل هذا عذر عند الله؟ ولذلك يقول الله جل وعلا (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)[١٨] (ألم تكن أرضي واسعة فتهاجروا فيها) مالك حق هذا ليس بعذر كلها أعذار واهية .

٥. **ومن الأعذار أيضًا**: "ترك التوحيد والعمل به مشحةً بالأهل والعشيرة فيؤدي حبه لأهله وعشيرته ومخافة تركهم إلى عدم العمل بالتوحيد وإنكار الشرك" هل هذا سائغ عند الله؟ الجواب لا

---

(١٨) سورة العنكبوت آية (٥٦).

٦. ومن الأعذار أيضًا: "ترك التوحيد خوفًا على الملك" كما فعله هرقل فإنه آمن بأن هذا هو النبي الحق لكن تركه خوفًا على ملكه ولذلك يقول (منَّ الخبيثُ بملكه)

٧. ومنها أيضًا: "ترك العمل بالتوحيد على وجه المزح واللعب" وهذا لا يجوز أن يترك شيئًا من مسائل التوحيد أو يقع في شيء من المكفرات على وجه المزاح واللعب هذا كله لا يجوز.

هذه الأمثلة التي نص عليها المؤلف كلها أعذار غير صحيحة لعدم العمل بالتوحيد وإنكار الشرك فيها إذًا ما العذر فقط في ترك التوحيد ظاهرًا؟ ما العذر المقبول؟ "**الإكراه فقط هذا هو العذر المقبول**".

هناك قواعد كثيرة تجعل الإنسان يترك الحق غير هذه أنا جمعتها لكم في أربعة عشر باعثًا ولكن أنا أشوف والله أعلم أن الوقت أضيق من أن نقولها.

إن القاعدة الكبرى عند المشركين هي ترك التوحيد بقصد تقليد الآباء والأسلاف كما ذكرت لكم سابقًا في قضية مخالفة النص للقياس..

المتن "ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار)

يعني ما في أحد ترك الحق ليس وثمة أحد يترك الحق إلا وله عذر لكن هل هذا العذر مقبول عند الله أم غير مقبول؟ هذا هو الذي يكون الكلام فيه..

(قال تعالى: { اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } [التوبة: ٩]، وغير ذلك من الآيات كقوله: { يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ } وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه.{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه.

ذكرت لكم كل هذا في أسباب ملخصة.

١. ترك التوحيد لخوف الدنيا

٢. ترك التوحيد لخوف نقص الجاه

٣. ترك التوحيد مداهنةً

٤. ترك التوحيد مشحةً بالوطن

٥. ترك التوحيد مشحةً بالأهل والعشيرة

٦. ترك التوحيد خوفا على المُلك

٧. ترك التوحيد على وجه المزاح واللعب

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

قول الشيخ أو مدارة لعل الشيخ رحمه الله يريد بالمداراة هنا المداراة المذمومة التي بمعنى المداهنة وإلا فالمداراة مأمور بها شرعًا أحيانًا في حال الحاجة والضرورة إليها فلا حرج في ذلك

فإذًا يريد الشيخ تلك المداراة المذمومة التي تكون بمعنى المداهنة عندنا مداراة وعندنا مداهنة فالمداراة منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم فالمذموم منها يسمى مداهنةً..

متن "وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه".

إذا هذه خلاصة أقسام الناس من الناس من يعرف التوحيد إلى آخره كما ذكرت هي أربعة أقسام ذكرهم الشيخ وذكرنا الكلام عنها. ثم قال الشيخ لا بد أن نختم هذا الكلام بفهم آيتين عظيمتين مهمتين

الآية الأولى قال الله جل وعلا فيها

متن "ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله: أولاهما قوله تعالى (لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)

إذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزَوا الروم مع رسول الله صل الله عليه وسلم في غزوة تبوك كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب هذا يوجب أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفًا من نقص دنيًا أو من نقص جاهٍ أو مالٍ أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة المزاح فينطبق عليه الحكم من باب أولى.. هذه خطيرة

إذا كان الذي قالوا كلمة الكفر مزاحًا كفروا فكيف بمن يقول كلمة الكفر مداراة لأحد أو يقول كلمة الكفر خوفًا من أحد يعني خوف غير معذور فيه أو يقول كلمة

الكفر خوفا على دنيًا تذهب أو رجاءً تحصيل مال فإذا كان المازح يكفر فمن باب أولى أن يكفر هؤلاء فاحذر من ذلك الحذر الكبير إياك أن تترك التوحيد أو تقع في شيء من الكفر بسبب شيءٍ من هذه الأعذار الواهية..

متن "فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأخذ أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها"

.. يقول الشيخ رحمه الله في موضع آخر يقول إذا عرفت أن أعظم أهل الإخلاص وأكثرهم حسناتٍ لو قال كلمة الكفر مع كراهيته لها ليقود غيره بها إلى الإسلام حبط عمله وصار من الخاسرين فكيف بمن أظهر أنه منهم وتكلم بمئة كلمة مو بكلمة واحدة وتكلم بمئة كلمة لأجل تجارة أو لأجل دنيا أو لأجل أن يرضي أحدًا كل ذلك مما يجعل الإنسان يحذر الحذر الكبير من النطق بكلمة الكفر

متن "والآية الثانية قوله تعالى (مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

هذه الآية الكلام عليها في مسائل

المسألة الأولى: عرف العلماء الإكراه بأنه حمل الغير على أمر لا يريد مباشرته

المسألة الثانية: متى يكون الإكراه عذرًا شرعيًا؟ الجواب: يكون الإكراه عذرا شرعيا بشرطين:

الشرط الأول: قدرة المكره على تحقيق ما تهدد به.

الشرط الثاني: عجز المكره عن دفع هذا الإكراه.

فإذا توفر هذان الشرطان فإن الإكراه حينئذٍ يكون من جملة الأعذار وبالمناسبة إذا قيل لك ما الأعذار المسقطة للتكليف فقل هي ثلاثة أعذار:

العذر الأول: الجهل فإنه يسقط التكليف.

العذر الثاني: النسيان.

العذر الثالث: الإكراه؛ كما قال النبي ﷺ "إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ"[١٩]

المسألة الثالثة: متى يجوز النطق بكلمة الكفر حال الإكراه؟ الجواب بشرطين:

الشرط الأول: الاطمئنان أن يكون القلب مطمئنًا بالإيمان لأن المكره إنما يستولي على ظاهره وأما باطنه فلا يستولي عليه.

الشرط الثاني: وجود الإكراه

فلا يجوز النطق بكلمة الكفر بحال من الأحوال إلا بوجود الإكراه مع وجود اطمئنان القلب بالإيمان فإذا نطق الإنسان بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان هل يترتب عليه مقتضاها؟ الجواب: لا.

---

(١٩). خرجه ابن ماجه في سننه | كِتَابُ: الطَّلَاقُ. | بَابٌ: طَلَاقُ الْمُكْرَهِ وَالنَّاسِي (٢٠٤٣) (٣/٤٤٤).

مسألة أخيرة كيف نجمع بين هذه الآيات الدالة على أن الإكراه عذر في جواز النطق بكلمة الكفر مع حديث الذباب وهو حديث طارق ابن شهاب رضي الله عنه "دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ"؟(٢١)

أجاب العلماء رحمهم الله تعالى عن الجمع بينهما بأجوبة أصحها عندي والله تعالى أعلى وأعلم أن حديث طارق بن شهاب إنما هو في شرع من قبلنا وأما هذه الآيات فإنها تبين شريعتنا وقد تقرر عند العلماء قاعدة مهمة أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد ناسخه في شرعنا.

مسألة: لو أكره الإنسان على النطق بكلمة الكفر هل الأفضل له الموافقة أم الصبر؟ فيها خلاف بين أهل العلم وأصح الأقوال فيها أن ذلك يختلف باختلاف تحقق المصالح والمفاسد فإذا كان المصلحة الخالصة أو الراجحة بالصبر والثبات وعدم الموافقة فحينئذٍ يكون هو المشروع وإذا كانت المفسدة الخالصة أو الراجحة إنما هي في عدم الموافقة فحينئذٍ على الإنسان أن يوافق، فهذا أمر يحتاج إلى اجتهاد وهذا الاجتهاد يخضع للنظر في المصالح والمفاسد.

مسألة: ما الحكم لو أكره الإنسان على شيء فزاد؟ كأن يكون ثمة رجل لا يريد زوجته فأكره على طلاقها طلقة واحدة قال وربك وطلقتين بعد هل يؤاخذ على هذا

---

(٢٠). النحل ١٠٦.

(٢١). أخرجه أحمد في الزهد (٨٤) (١٧).

القدر الزائد ولا يؤاخذ على ما أكره عليه جميعا؟ الجواب: يؤاخذ على الجميع لأن زيادته هذي دليل على رغبة قلبه في إيقاع هذا المحرم.

قوله رحمه الله والآية الثانية قول الله جلّ وعلا (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ)[٢٢] وهذه والله خطيرة جدًا يجب علينا أن نتدبرها وأن نتأملها فقفوا معي بقلوبكم أيها الإخوان "صرَّح الله جلّ وعلا أن هذا الكفر المحكوم على هذه الطائفة به والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر وإنما سببه أن له في ذلك حظًا من حظوظ الدنيا فكفر لتقديم حظ الدنيا" على مرضات ربه مشكلة ذي(ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) أي حكم عليهم بالكفر لأنهم قدموا حظًا من حظوظ الدنيا فآثروه على الدين وجرى هذا لأناس كثيرين تركوا الالتزام بالشريعة والدين وأمور التوحيد في الظاهر لا كرهًا له ولا بغضًا ولا تكذيبًا لما جاء به الرسول بل هم يعلمون في قرارة أنفسهم صدق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن تركوا الانقياد له في الظاهر لرئاسة أو لدنيا أو مداراة أو طلب ملكٍ أو رئاسة أو مال أو بسبب تقليد أعمى أو غير ذلك، فمَن ترك الحق وترك إظهار التوحيد من أجل دنيا مؤثرة فإنه مرتد عن الإسلام لأنه يدخل في قول الله جلّ وعلا (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة)[٢٣]فليس بعذرٍ عند الله أن تترك التوحيد في الظاهر وتطبيق التوحيد في الظاهر والانقياد للتوحيد في الظاهر بحجة أنك تريد شيئًا من حطام الدنيا وشهواتها

---

(٢٢). سورة النحل آية (١٠٧).

(٢٣). سورة النحل آية (١٠٧).

،ولعلنا نختم هذا الكلام بقواعد في الإيمان بما أن الشيخ تكلم عن قاعدة واحدة من قواعد الإيمان فأنا أحب في الحقيقة ألا نختم

نقول إذًا القاعدة الأولى: الإيمان قولٌ باللسان واعتقاد بالجنان وعملٌ بالجوارح والأركان لا يحتاج أن نكرر إعادة هذه القاعدة لكنها من جملة القواعد العظيمة في الإيمان وهي أصل القواعد.

القاعدة الثانية: الإيمان يزيد وينقص وهو يزيد إذا تحقق مقتضيات زيادته وينقص إذا تحققت مقتضيات نقصه وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة وقد اتفق المرجئة على أن الإيمان هي كتلة واحدة كالحصاد لا يزيد فيها شيء ولا ينقص منها شيء ولكن أهل السنة يعتقدون أن الإيمان يزيد وينقص.

القاعدة الثالثة: الأعمال جنس الأعمال ركن في الإيمان لا آحاده إلا بدليل قاعدة طيبة وعظيمة وتميز بين مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب الوعيدية جنس الأعمال ركن في الإيمان لا آحاده إلا بدليل نحن نقول إن من أركان الإيمان العمل جنس العمل بمعنى أن من قال لا إله إلا الله واعتقدها بقلبه وقالها بلسانه ثم اقتصر على ذلك فلم يصلِ ولم يصم ولم يربِّ لحيتًا ولم يقصر ثوبًا ولم يفعل شيئًا من.. ترك جنس الأعمال هل هو مسلم؟

الجواب: لا، لكن من عنده جنس العمل وخالف في بعض الأعمال فهذا من أصحاب الكبائر كأن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ثم يصلي ويصوم

ويزكي لكن يشرب الخمر ويسبل ثيابه ويسرق ويلوط بالغلمان وغير ذلك من الأمور المحرمة. هل هذا كافر؟

الجواب: لا، لأن عنده جنس العمل، فإذًا العمل الذي هو ركن في الإيمان ليس آحاد العمل وإنما هو جنس العمل.

أنا أعطيكم لفتة بسيطة جدًا ولعلكم تفهمونها إن شاء الله وهي "أننا نتفق مع الوعيدية في أركان الإيمان فأركان الإيمان عندنا كم ركائز الإيمان ثلاثة وركائز الإيمان عندهم ثلاثة والوعيدية يعني الخوارج والمعتزلة فالإيمان عندنا قولٌ باللسان وعندهم قولٌ باللسان الإيمان عندنا اعتقاد بالجنان وعندهم اعتقاد بالجنان الإيمان عندنا عمل بالجوارح والأركان عندهم بعد الجوارح بالأركان" لكن مذهبهم بدعي ومذهبنا سني شلون مذهبهم بدعي ومذهبنا سني، "الأعمال التي هي شرط عندنا في الإيمان ليست آحاد العمل بمعنى أن من خالف في واحد من الأعمال كفر لا وإنما جنس العمل فالذي يترك جنس العمل هذا هو الكافر وأما من عنده بعض الأعمال وعنده خلل في بعض الأعمال الأخرى فهذا من أصحاب الكبائر وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فالركن عندهم هو واحد الأعمال ولذلك لو فعل الزنا خالف في واحد من الأعمال فيكفر عندهم ولذلك كفروا مرتكب الكبيرة".

لأن الركن عندهم في الأعمال هو واحد آحاد الإعمال طيب أكمل القاعدة قال جنس الأعمال ركن في الإيمان لا آحاد العمل إلا بدليل لماذا قلنا إلا بدليل؟ نعم حتى

تخرج الصلاة لأن الدليل دل على أن هذا العمل لوحده من تركه فإنه يخرج يخلع ربقة الإسلا من عنقه بالكلية.

وبهذا نكون قد أتينا على مجمل مسائل هذه الرسالة المباركة أسأل الله أن يغفر للشيخ محمد رحمه الله وأن يعلي قدره وأن يرفع ذكره وأن يخلد ذكره إلى أن تقوم الساعة ونجعل قبره روضة من رياض الجنة وأن يجزيه عنا وعن المسلمين خير الجزاء على هذا التيسير وعلى هذا التوضيح والشرح وعلى هذا الحرص وعلى تلك الدعوة الصافية النقية وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.